الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العـــالي والبحـــث العلمـــي
جـــامعة وهـــران

كلية العلوم الإنسانية
والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ
وعلم الآثار

العنوان

الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من إعداد الطالب:
زرهوني نور الدين

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
بن نعمية عبد المجيد

السنـــة الجـــامعية:
1422 - 1423هـ
2001 -2002م

الإهـــــداء

إلى والدتي مهجة روحي التي حرمني منها القدر وإلـــى شريكة عمري التي قاسمتني مرارة الحياة وحلاوتها وإلـــى قرّة عيني فوزي، نادية وصغيرهم زهير.

إلى أستاذي الجليل الدكتور بن نعمية عبد المجيد الـــذي أتقدم إليه بجزيل الشكر والتقدير والعرفان علـــى تفضلـــه بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وبكل أشكال المســـاعدة التي قدمها إلي من خلال النصح والتوجيه للمضي قدما فـــي هذا البحث.

إلى هؤلاء جميعا أقدم ثمرة جهدي.

والله وليّ التوفيق

المقدمة

لعب العرب المشارقة دورا كبيرا في ازدهار العلوم وتطور الفكر والحضارة، ولقد فتح هؤلاء صدورهم للثقافات والحضارات المختلفة السابقة من يونانية وبيزنطية وفارسية وهندية، وكان للإسلام في ذلك دور إذ صبغ عقول معتنقيه بصبغة العلم والسعي ورائه، فاستمدوا من الحضارات المذكورة علومها إلا أنّ نشاطهم العلمي لم يتوقف عند هذا الحد بل لقد ساهموا بدورهم في تطوير العلوم -بما في ذلك الطب - ولم يقتصروا على النقل عمن سبقوهم بل بحثوا فيه هم أيضا مبدعين ومؤلفين كتبا تستند على تجاربهم في هذا الفرع من العلوم، وتبرز إسهاماتهم وإضافاتهم فيه والتي سبقوا في بعضها أطباء العصر الحديث، حتى بقيت العديد من مؤلفاتهم الطبية مصدرا من مصادر الطب في أوربا لقرون عديدة، فأثروا بذلك الحضارة العربية الإسلامية وبخاصة في الأندلس وقاموا في الوقت نفسه بدور لا يستهان به في تطوير الحضارة الغربية والتي لهم عليها فضل كبير.

ساهم المسلمون المغاربة هم أيضا إلى جانب إخوانهم المشارقة في إثراء الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، ومن المعروف أن الحضارة الإسلامية في هذا الجانب الغربي من العالم الإسلامي لم تنشأ فجأة بل مرت بأدوار مختلفة. فخضعت بداية لمؤثرات حضارية مشرقية تربطها بالوطن الأم باعتبارها جزءا منه، كما خضعت لمؤثرات مغربية بحكم ارتباط المغرب بالأندلس جغرافيا.

ولقد تعددت الدراسات حول المؤثرات الحضارية المشرقية القادمة من الشام والحجاز والعراق ومصر إلى الأندلس، إلا أن المؤثرات الحضارية المغربية على الأندلس لم تحظ بالعناية نفسها التي حظيت بها المؤثرات المشرقية.

وفي الحقيقة فإنّ الحضارة الإسلامية بالأندلس هي مزيج بين حضارات سابقة رومانية وقوطية، وحضارة لاحقة سواءً مشرقية أو مغربية. ومما ينوه إليه في هذا المقام، أنّ المسلمين المغاربة قد لعبوا دورا لا يستهان به في رص وتثبيت الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس وإثرائها في الوقت نفسه، مساهمين بذلك في تطوير الحضارة الغربية والتي لهم عليها هم أيضا فضل كبير. ومما يؤكد ذلك، أنّ

المرابطين منهم والموحدين من بعدهم، وعلى الرغم من عبورهم إلى أرض الأندلس في أصعب الظروف السياسية لدولة الإسلام بهذه المنطقة، كادت خلالها هذه الدولة أن تزول وتنهار بسبب تراكم الأحداث السياسية المضطربة والممزقة، من صراع بين ملوك الطوائف -والذين أرادوا أن يرثوا ملك بني أمية بالأندلس بعد سقوط خلافتها بها سنة 422 هـ/1031م- من جهة، وحركة الاسترداد المسيحي الموحد الصفوف والمتضافر الجهود والتي كانت هي الأخرى تنهش في دولة الإسلام بهذه المنطقة نهشا من جهة أخرى، محاولة استرجاع الأندلس وبخاصة بعدما تفاءلت بذلك على إثر سقوط مدينة طليطلة الحاضرة الإسلامية الكبرى على يد "ألفونسو السادس" سنة 478هـ/1085م، وتخاذل ملوك الطوائف في الدفاع عنها.

وفي خضم هذه الظروف السياسية الصعبة التي كانت تتخبط فيها أرض الأندلس والتي كان للمرابطين المغاربة مواجهتها وإنقاذ دولة الإسلام من الانهيار فيها، وللموحدين المغاربة من بعدهم أيضا بسبب سقوط أرض الأندلس من جديد في فتن داخلية ممزقة وحركة استرداد مسيحي والتي كانت جهودها متواصلة لضرب المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى.

أمام هذه المسؤولية السياسية والعسكرية التي وقعت على عاتق هؤلاء المغاربة، فإنّهم لم يهملوا الاهتمام بالجانب الحضاري ورعايته، والذي لا يعكس إلا ما توصل إليه هؤلاء المغاربة من استتباب للأمن بالأندلس وإقرار دولة الإسلام في هذا الجانب الغربي من العالم الإسلامي.

وقد اهتم كل من المرابطين والموحدين بالحركة العلمية وبخاصة بعلم الطب، فنال في عهدهم أي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي من الازدهار والتفوق حتى بلغ الذروة، ولحرصهم الشديد على الدلو بدلوهم في المدّ الحضاري بالأندلس والمضي قدما بالحضارة الإسلامية بهذه المنطقة، فإنّ حركة الاسترداد المسيحي لم تستطع أن تقف كحجرة عثرة أمام صمود هؤلاء على تحقيق هذا الدور الحضاري بالأندلس. فشهدت هذه المنطقة في عهدهم أبرز

الأطباء الصيادلة والذين لم يتألق نجمهم في علم الطب بهذه المنطقة فحسب، بل وحتى خارجها. وأكثر من ذلك، فإنّ صيت بعضهم ما زال باقيا لحد الساعة بفضل ما كان لهم من تأثير على علم الطب وتطويره ليس في العصور الوسطى فقط بل وحتى في العصر الحديث.

وعلى الرغم من هذا الدورّ الحضاري الذي ساهم به هؤلاء المغاربة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي للمضي قدما بالحضارة العربية الإسلامية في هذا الجانب الغربي من العالم الإسلامي، ومساهمتهم في تطوير الحضارة الغربية، فإنّ جل الدراسات التي ظهرت عن تاريخ الأندلس خلال هذه الفترة قد ركزت على التاريخ السياسي لها، وبخاصة وأنّ دولة الإسلام ومصيرها خلال هذه الفترة بهذه المنطقة كان مهددا بالانهيار كما سبق الذكر.

ومما تجدر الإشارة إليه ظهور دراسات لموضوع الحضارة الإسلامية بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، ولكنها قليلة مقارنة بالدراسات التي خصصت للتاريخ السياسي لهؤلاء بهذه المنطقة.

ولقد ظهرت دراسات حول الطب بالأندلس، ولكن بعضها عام وأخرى أدرجت موضوع الطب بالأندلس ضمن بقية الجوانب الحضارية، كما أنّ بعضها الآخر قد ركزت على موضوع الطب بالمغرب بصفة خاصة، ومن بين هذه الدراسات أذكر تلك التي قام بها الأستاذ الدكتور حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين). وقد تطرق صاحبها لموضوع الطب مركزا على المغرب، وتناول الموضوع بكامله في أربع صفحات فقط.

وثمة دراسات أخرى قام بها الأستاذ عبد الهادي أحمد الحسيسن : مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي (554-594هـ/1159-1198م). وهي في جزئين، تناول المؤلف في الفصل الأول من الجزء الأول منها الحركة العلمية في عهد الخليفة يعقوب المنصور، وأدرج ضمنها موضوع الطب مركزا على الطب في المغرب، ثم ذكر مجموعة من الأسماء لأطباء ظهروا في عهد الخليفة

الموحدي، كما ذكر عناوين لبعض المؤلفات الطبية مع ذكر أسماء أصحابها، كان من بينها مؤلفات للطبيب الأندلسي "أبي الوليد محمد بن رشد" الحفيد (520-595هـ/1126 -1198م). أما في الفصل الثاني من الجزء الأول، فلقد أدرج المؤلف ترجمة للطبيب الأندلسي "أبي الوليد بن رشد" الحفيد مركزا على ذكر إنتاجه العلمي في علم الحديث والفقه وليس في علم الطب.

كما قامت الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش، بدورها بدراسة علمية، جمعت بين التاريخ السياسي والحضاري للأندلس : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510-546هـ/1116-1151م (تاريخ سياسي وحضارة). تناولت فيها بالدراسة الوضع السياسي للأندلس في أواخر عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين، دون إهمال الجانب الحضاري لهذه المنطقة خلال هذه الفترة الانتقالية، وضمن هذه الدراسة أدرجت الباحثة في القسم الخاص بالعلوم العقلية موضوع الطب، فتناولت بالدراسة عائلة ابن زهر.

وإلى جانب هذه الدراسات التي أدرجت موضوع الطب ضمن المواضيع السياسية و الحضارية، ظهرت دراسات أخرى قيمة تناولت موضوع الطب بالأندلس دون أن يدرج ضمن المواضيع الأخرى، من بينها تلك التي قام بها الأستاذ محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم ونصوص.

وهي في جزئين، تناول الباحث في الجزء الأول تراجم أطباء الأندلس من القرن الثاني للهجرة/ الثامن ميلادي إلى القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر ميلادي، مع إدراج ترجمة وبعض النصوص الطبية لأبرز أطباء الأندلس لفترات متباينة، كالطبيب الأندلسي "أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي" (ت404هـ/1013م) والطبيب "أبي مروان عبد الملك بن زهر الايادي" (ت557هـ/1162م)، فضلا عن الطبيب "أبي الوليد محمد بن رشد" الحفيد.

وقام أيضا الدكتور فرانشيسكو فرانكو سانشث بدراسة عنوانها : تطور الطب بالأندلس. وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة بالنسبة لموضوع البحث، فإن

عنوانها يوحي بأنّها دراسة تفصيلية لموضوع الطب بالأندلس، إلاّ أنّها في الحقيقة تناولت هذا الموضوع باختصار شديد للحقبات والمراحل التي مر بها هذا العلم بهذه المنطقة.

فضلا عن هذه الدراسات قام الدكتور لوسيان لوكليرك بدراسة علمية حول موضوع الطب بعنوان :

LUCIEN LECLERC : Histoire de la medicine arabe – les sciences en Orient, leur transmission a L`occident par les traductions latines.

وهذه الدراسة بدورها في جزئين، وهي عبارة عن تراجم لأشهر الأطباء في المشرق والمغرب والأندلس، ولقد كان صاحب هذه الدراسة منصفا في بحثه، حيث أشار إلى أهمية كثير من أطباء الأندلس وفضلهم على علم الطب ليس في العصور الوسطى فحسب، بل وحتى في العصر الحديث.

إنّ هذه الدراسات والبحوث وعلى الرغم من أهميتها بالنسبة لموضوع بحثي، إلاّ أنّها لم تتناول موضوع الطب بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بدراسة شاملة ومفصلة تبرز ما لهذا الفرع من العلوم من علاقة بالواقع السياسي والاجتماعي مما يساعد على فهم الظروف والأسباب السياسية والاجتماعية التي أحاطت به حتى تطور وبلغ الذروة في هذه الفترة التاريخية، على الرغم من أنّ دولة الإسلام في الأندلس خلال هذه الفترة، كانت تتخبط في حركة الاسترداد المسيحي وكانت على شفة الانهيار.

لهذا السبب، وبسبب رواج فكرة أنّ المرابطين لم تكن لهم صلة بالحضارة، ولم يقدموا خدمات علمية جليلة كالتي قدمها الغرب، كان اختيار موضوع هذا البحث، وذلك قصد محاولة تتبع علم الطب بالأندلس وتطوره، وعلاقته بالظروف السياسية وبالواقع الاجتماعي للأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تناول هذا، تطلب من الباحث الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي.

أما عن المشكلات التي واجهت الباحث، فأنّ أبرزها كون أغلب مصادر موضوع الطب بالأندلس غير محققة، وأنّ كتب التراث العلمي العربي مازال

العلمية بالأندلس من جهة، على أساس أنّه الوعاء الذي يظهر مكانة الطب بهذه المنطقة. ومن جهة أخرى على أساس أنّ هناك ارتباط بين مجمل مجالات المعرفة والعلم. فلا يمكن أن يكون هناك اهتمام بجميع العلوم دون الاهتمام بالطب.

أما العنصر الثاني من هذا المبحث فقد تركز على حركة الترجمة، مبرزا أهميتها في تطور علم الطب بالأندلس، وكيف أصبحت هذه الترجمة بعد ذلك حافزا للبحث في علم الطب والتعمق فيه.

المبحث الثاني تركز حول اهتمام الحكام بالطب باعتبار أنّ موضوع البحث يتناول الطب والخدمات الطبية خلال فترة تناوب فيها المرابطون والموحدون على حكم هذه المنطقة. إن اهتمام هؤلاء بالطب علما ومهنة، دليل على مكانة الأطباء لديهم، مع ما لذلك من انعكاس على علم الطب .

أمّا حول اهتمام الموحدين بالطب، فقد مهدت له بذكر الأسباب السياسية التي أدت إلى عبور هؤلاء إلى الأندلس، والنتائج المترتبة عن ذلك من إقرارهم للأمن، واهتمامهم بالجانب الحضاري، مركزا على ولعهم بالطب علما ومهنة وبالأطباء، مع ذكر انعكاس ذلك على واقع الطب بالأندلس في عهدهم.

أما في المبحث الثالث فقد تم تناول المجتمع الأندلسي ومكانة الطب لديه. حاول من خلاله الباحث توضيح دور المجتمع في الأندلس للمضي قدما بعلم الطب، إذ لا يمكن أن يكون لأمراء فترة موضوع الدراسة اهتمام بهذا الفرع من العلوم دون أن ينعكس ذلك على المجتمع فيشجعه على الاهتمام بهذا النشاط العلمي. وقبل توضيح ذلك، تم عرض العناصر العرقية التي كونت المجتمع الأندلسي قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مع إبراز الوضع المادي لهذا المجتمع.

في الفصل الثاني تمت دراسة "المنشآت الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي". لما لذلك من علاقة مباشرة بتطور علم الطب بالأندلس، إذ لا يمكن أن يتطور الطب علما أو مهنة دون وجود مؤسسات تعليمية ومهنية. وأنجز هذا العمل في ثلاث مباحث.الأول حول التعليم ومؤسساته.

مثل المحاضر والمساجد والمدارس والدور الأميرية أو قصور الأمـــراء كمـا تناول بالتوضيح نظام التعليم بالأندلس، والشروط التي يجب أن تتوفر في المعلـم، والمراحل التعليمية التي يمر بها الطالب حتى يتحصل على الإجازة والتي بفضلـها يسمح له بممارسة مهنة الطب.

أما المبحث الثاني فقد كان حول المكتبات العامة والخاصة ودور كل مـن المرابطين والموحدين في إنشائها وتعميرها لتكون مكملة للمؤسسـات التعليميـة. هذا الموضوع مرتبط باهتمام كل من المرابطين والموحديـن بصناعـة الـورق وعملية النسخ.

وخصص المبحث الثالث للمؤسسات الاستشفائية بالأندلس باعتبار أنّها تمثـل أيضا مراكز لتقديم الدروس التطبيقية . هذه المؤسسات تتمثل في البيمارسـتانات والقصور الأميرية، والعيادات الخاصة وكذلك الصيدليات.

وفي الفصل الثالث تناول الباحث بالدراسة "الأمراض والأوبئة في الأندلـس وطرق علاجها". والذي قسم إلى ثلاثة مباحث، الأول حول الأمـراض والأوبئـة الأكثر انتشارا في الأندلس، وبعض الأمراض الجديدة التي تم اكتشافها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. أما المبحث الثاني فتعرض إلى المـداواة بالأدوية المفردة أو المركبة، وبخاصة بعد ما تم اكتشاف أدوية جديدة خلال فـترة الدراسة.كما تمّ إبراز أهمية الطب الوقائي، والنظام الغذائي وما للرياضة وللبيئـة من دور في حفظ الصحة.

أما المبحث الأخير من هذا الفصل فقد تطرق إلى المداواة بالجراحـة ،ومـدى تطورها بالأندلس . كما تم التركيز على أبرز الأمـراض التـي كـانت تعـالج بالجراحة ودور أطباء الأندلس في ذلك.

أما في الفصل الرابع والأخير "الأطباء والصيادلة". فقد خصـص لأشـهر الأطباء والصيادلة الذين أنجبتهم أرض الأندلس، والذين كان لـهم الفضـل فـي التجديد في علم الطب والصيدلة خلال فترة الدراسة. والذين بفضلهم تقدم الطـب فـي الأندلس تاركين آثارهم في الأجيال اللاحقة . المبحث الأول من هذا الفصـل

تركز على دراسة أشهر الأطباء الأندلسيين ممن عاشوا خـــلال فـــترة موضـــوع الدراسة، كالطبيب "أبو مروان عبد الملك بن زهر"، و"أبو الوليد محمد بن رشد".

أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة أشهر الأطباء الصيادلة، وهم : "أبو جعفـــر أحمد بن محمد بن سيد الغافقي" (ت 560هـــ/1165م) و"أبو الصلت أمية بن عبـــد العزيز بن أب الصلت الداني الاشبيلي" (ت 529هـــ/1134م) ثم "أبو العباس أحمـــد بن محمد بن مفرج بن الرومية " (ت637هـــ/1239م).

ثانيا: التعريف بأهم مصادر البحث ومراجعه :

اعتمد الباحث في إعداد هذه الدراسة على مجموعة من المصادر العربيـــة وعلى عدد من المراجع العربية والأجنبية. من أهمها نذكر

1- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) : "البيان المغـــرب فـــي أخبار الأندلس والمغرب" وهو لمؤرخ مغربي، عاش في عصر الموحدين. ويعـــد هذا المؤلف من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس وهذا لكون صاحبه اعتمد في رواياته على مصادر مغربية أندلسية، وأنّه ينقل رواياته من مؤرخين عـــاصروا القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي .وعلى الرغم أنّ هذه الفترة سابقة لفترة موضوع الدراسة، إلا أنّ طبيعة موضوع البحث قد اقتضت ذلك.

ولقد اعتمد الباحث على الجزء الرابع الخاص بتاريخ المرابطين، وكذا الجزء الخامس المتعلق بتاريخ الموحدين، والجزئين يتضمنان مادة غنيـــة عـــن التـــاريخ السياسي لفترة موضوع الدراسة.

2- محي الدين عبد الواحد المراكشي: (ت 669هـــ/1270م) : "كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مـــع مـــا يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب"، تحقيق محمـــد ســـعيد العريان، القاهرة، 1383هـــ/1963م. إنّ أهمية هذا المصدر لا يقـــل فـــي درجـــة الاعتماد عليه في موضوع البحث عن كتاب البيان المغرب للمؤرخ المغربي ابـــن عذاري المراكشي، وتتجلى أهمية هذا المصدر في كون صاحبه مـــؤرخ مغربـــي عاش في عصر الموحدين وهو جزء من فترة موضوع الدراسة، فالمؤلف عـــليش

بعض أحداث الفترة وأسردها، ومما يلفت الانتباه في هذا المصدر، أن صاحبه لم يكتفي بسرد الأحداث السياسية للمغرب والأندلس لفترة موضوع الدراسة وما قبلها، وإنّما تناول أيضا بعض الأخبار التي لها علاقة بالجوانب العلمية.

لقد ساعد هذا المصدر الباحث على إزاحة الستار عن كثير من النقاط في موضوع البحث، كدور الموحدين العلمي في الأندلس، وعلاقة بعض خلفائهم بالأطباء وتشجيعهم لإقامة المجالس العلمية. ومما ينوه إليه، أن المؤلف في حد ذاته يعد من المقربين لبعض أمراء الموحدين، كالأمير إبراهيم بن يعقوب المنصور والي إشبيلية، بل وأكثر من ذلك، فلقد أتيحت له الفرصة وهو في الرابعة عشرمن عمره أن يجالس الطبيب الأندلسي أبا بكر بن زهر(ت 595هـ/1198م).
ومما زاد من قيمة هذا المصدر، أنّ صاحبه تجول في المغرب والأندلس، فضلا عن ذلك فقد ألف كتابه وهو بعيدا عن مؤثرات أصحاب السلطة، فكان تأليفه له بعد مغادرته بلاد المغرب والأندلس ورحيله إلى المشرق عام 613هـ/1216م.

وخلاصة القول، فإنّ هذا المصدر دون غيره من المصادر قد أفاد الباحث بمعلومات قيمة عن الجانب العلمي لفترة موضوع الدراسة، وإن كان المؤلف مركزا في ذلك ومهتما بوجه خاص بعصر الموحدين. ومن المآخذ التي سجلت عليه أنه يسرد أحداثا معينة ثم ينتقل إلى أخرى ليعود إلى ما بدأ في سرده من قبل وهكذا، مما صعب تتبع بعض الأحداث. وعلى الرغم من ذلك فالمصدر كان قيّما ومعينا لتتمة موضوع الدراسة في كثير من جوانبه.

فضلا عن المصدرين سالفي الذكر، اعتمد في إعداد البحث على مجموعة من كتب التراجم، والتي تتجلى أهميتها في التعريف بأسماء الفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء، فتقدم هذه المصادر بذلك مادة غزيرة تساعد على إلقاء الضوء على الحركة العلمية التي كثيرا ما تبخل بها الحوليات السياسية، ومن أبرزها :

3- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي) (ت703هـ/1303م) : "الذيل والتكملة". وقد تم الاعتماد على العديد من أجزائه،

والتي تناولت بعض الأخبار عن الجوانب العلمية لموضوع البحث كالحديث عن الطبيب الأندلسي الشهير أبو مروان عبد الملك بن زهر من حيث مولده ونشأته وعلمه، والطبيب الجراح أبو الوليد محمد بن رشد وكذا الطبيب العشاب أبي العباس أحمد محمد بن مفرج بن الرومية الإشبيلي (ت 637هـ / 1239 م). وبعض الإشارات عن المكتبات الخاصة في الأندلس أثناء فترة حكم المرابطين والأجرة التي كان يتقاضاها الشيوخ المدرسين وأسلوب التدريس في الأندلس.

4- ابن القطان المراكشي (أبومحمد حسن بن علي بن محمد الكتامي) (ت 628هـ/1230م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان .

إن أهمية هذا المصدر بالنسبة لموضوع البحث تتجلى في كون صاحبه مؤرخ مغربي، عاش مدة من الزمن من فترة موضوع الدراسة وبالتالي عايش أحداثها بدليل أنه يبدأ كتابه هذا بعنوان: " الجزء السادس من الكتاب في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن السادس الهجري وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة مما ينشوف إليه"، ومما يزيد هذا المصدر أهمية، أن صاحبه قد دون أحداث مؤلفه المذكور، ترتيبا تاريخيا مما يسهل على تتبع الأحداث وتحليلها، وإن كان المؤلف يعرض أثناء ذكره للأحداث التاريخية للمغرب والأندلس أخبارا عن المشرق، فإن سرده للأحداث متتابعة تاريخيا قد سهل الأمر لتتبع الأحداث دون صعوبة تذكر.

وتكمن أهمية المصدر بالنسبة لموضوع البحث أيضا، في كون والد صاحبه كان على صلة وثيقة بالأمراء الموحدين، الأمر الذي جعل المؤلف للمصدر المذكور على دراية واسعة بالأحداث السياسية لفترة موضوع الدراسة حتى ولو لم يعايشها من قبل، ولكن كون الأب عايشها وكان صاحب حظوة عند أمراء الموحدين قد مكن "ابن القطان" الابن على معرفة الأحداث عن طريق والده.

لقد أمد هذا المصدر الباحث بمعلومات قيمة خدمت موضوع البحث، وإن كانت أغلبها سياسية، إلا أن كون البحث مرتبط أيضا بالأحداث السياسية لفترة موضوع الدراسة، فإن ما أتى به هذا المصدر من معلومات حول بعض الأحداث السياسية خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قد ساعدت على

الربط بينها وبين موضوع البحث وبخاصة فيما يتعلق بالحصار المتكرر للمدن الأندلسية من طرف النصارى وما نتج عن ذلك من نقص في المياه وانتشار المجاعة، وبالتالي ظهور الأوبئة.

5- اعتمد الباحث أيضا على وثيقة تاريخية بعنوان : وثائق تاريخية جديدة عن دولة المرابطين، تحقيق د. محمود علي مكي.

على الرغم من أنّ هذه الوثيقة قد ركزت على بعض الجوانب السياسية لفترة المرابطين، فإنّ ما أمدته من مادة ولو قليلة عن علاقة هؤلاء بالعلم، قد ساعدت على تأكيد ظلم وتحامل بعض المستشرقين على المرابطين، واتهامهم بعدم تذوقهم للحضارة، وبأنّهم جفاة غلاظ لا يقدرون العلم والعلماء. أفادت هذه الوثيقة إضافة إلى ما سلف ذكره في مواضع عدة من البحث منها، موضوع تزايد تحرش النصارى على المدن الأندلسية وكثرة حصارهم لها، وما ترتب عن ذلك من نقص في المياه وتزايد المجاعة وكثرة الأوبئة. كما أمدت بمادة تاريخية هامة حول حرص بعض الأمراء المرابطين على تلقين أبنائهم العلوم وبخاصة علم الطب. إلى جانب هذا التراث التاريخي السالف الذكر، فلقد ترك الأطباء العرب تراثا حضاريا طبيا ثريا، وإن كانت أغلب النصوص الطبية المشهورة غير محققة، وأن كتب التراث الطبي العربي ما زال معظمه مخطوطا والبعض الآخر مفقودا، فإنّ القلة القليلة من هذا التراث الذي وصل للقارئ فيه ما يؤكد على براعة الأطباء العرب المسلمين في علم الطب وإبداعهم فيه، سواءً كانوا من المشرق أو المغرب والأندلس، والذين لم يبلغ صيتهم هذه المناطق فحسب، بل وصل إلى أوربا، والأكثر من ذلك فإنّ بصماتهم في علم الطب ما تزال باقية لحد الساعة. ومن أبرز هؤلاء الأطباء والذين ظهروا بأرض الأندلس خلال فترة موضوع الدراسة :

6- الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهرالايادي الإشبيلي (ت557هـ/1162م). ترك هذا الطبيب تراثا طبيا لا يقدر حجما وعددا بقدر ما يقدر بأهميته العلمية، من بين ذلك مؤلفه : "التيسير في المداواة والتدبير"، تحقيق د. ميشيل الخوري، وتقديم محي الدين صابر .

يقع هذا المصدر في سفرين، يتعلق محتواهما بالأمراض وعلاجها، ويعتبر من المصادر الأساسية لموضوع البحث، إذ قدم معلومات عن الأمراض وأساليب علاجها. والمؤلف في حد ذاته طبيبا أندلسيا عاش خلال فترة موضوع الدراسة، وتميز دون غيره من أطباء عصره بالأندلس باهتمامه الكبير بالأمراض وعلاجاتها، كما تميّز بمنهجه الخاص في علم الطب والمتمثل في اعتماده الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض وعلاجها، فهو يتتبع المرض وعلاماته وأسبابه وأعراضه، ثم يعرض طرق علاجه مركزا على أكثر الأدوية نفعا، وكل ذلك مستنبطا من تجاربه الشخصية، فانفرد هذا الطبيب الأندلسي بهذا الأسلوب الطبي الجديد في تشخيص الأمراض ومعالجاتها.

ومما زاد هذا المصدر أهمية ما احتواه من معلومات في غاية الدقة حول ما اكتشفه أبو مروان ابن زهر من أمراض لم تكن معروفة من قبل وعرض علاجها، فمكنت الباحث من التأكيد على ما بلغه الطب بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي من تطور وإبداع في تشخيص الأمراض وعلاجها.

ولأهمية هذا المصدر، فإنّه ترجم العديد من المرات إلى اللغة العبرية واللاتينية، مؤثرا على علم الطب وتطوره في الغرب الأوروبي وبخاصة بعد اتخاذه كمصدر للتدريس هناك.

كما أمد هذا المصدر أيضا بمعلومات حول اهتمام الأمراء المرابطين بالأطباء ومجالسهم، وقد بدأ هذا الطبيب مصدره بمادة علمية حول الطب الوقائي وما يحفظ الصحة من نظام غذائي جيّد.

وخلاصة القول، فإنّ هذا المصدر قد يؤكد على ما بلغه الطب في الأندلس من تطور خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وأنّ صاحبه يعد من أشهر أطباء الأندلس إبداعا في هذا الفرع من العلوم خلال الفترة المذكورة، كما يعد هذا المصدر، وعلى حد تعبير محققه أعظم الكتب الطبية التي عرفت في تاريخ الطب.

7- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس): (ت 688هـ/1289م) "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، تحقيق د. نزار رضا.

اهتم هذا الطبيب المؤرخ المشرقي بأطباء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فترجم لهم وذكر أخبارهم. ولا تقتصر قيمة موسوعته التاريخية العلمية هذه فيما تتضمنه من مادة تاريخية حول أطباء فترة موضوع الدراسة فحسب، ولكن لما تتضمنه من مادة تاريخية حول علم الطب والأطباء لفترة سابقة، فالمصدر يعد موسوعة تاريخية حضارية لا غنى عنها لإنجاز موضوع البحث وتغطية كثير من جوانبه، ولإنجاز أي بحث حول موضوع الطب، وذلك بسبب ما أورد فيه صاحبه من تراجم لكبار الأطباء من عهد الإغريق والرومان إلى غاية القرن السابع الهجري.

ومما يزيد هذا المصدر أهمية كون صاحبه طبيبا، نشأ في بيت علم وأدب، وأن والده كان طبيبا أيضا اشتهر في بغداد ببراعته في معالجة أمراض العيون، وبذلك يكون ابن أبي أصيبعة قد نشأ نشأة علمية في بيئة اهتمت بعلم الطب. الأمر الذي دفعه لأن يهتم بعلم الطب وبالأطباء.

أعان هذا المصدر الباحث في الجزء الخاص بتراجم الأطباء الصيادلة، والمجالس الخاصة لبعض أطباء فترة موضوع الدراسة، وعلاقتهم بالحكام، والعيادات الخاصة وماله علاقة بها، إما كمراكز استشفائية أو تعليمية، فضلا عن المؤلفات الطبية.

إن هذا المصدر يعد فعلا ذخيرة زاخرة بالمادة التاريخية الخاصة بفترة موضوع البحث، ولم يبخل هذا المصدر بما بخلت به الحوليات السياسية، بل يعد مكملا لها من الجانب الحضاري- مع العلم أنه قد تناول من حين لآخر بعض الأخبار السياسية التاريخية الهامة- شأنه في ذلك شأن كتاب التيسير في المداواة والتدبير للطبيب الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن زهر.

8- ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت 646هـ/1248م): "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية".

يعتبر هذا المصدر من المصادر المهمة لموضوع البحث، وعلى الرغم من أن الإعتماد عليه كان أقل بكثير مما تم الاعتماد عليه في مصدر "التيسير في المداواة والتدبير" لأبي مروان عبد الملك بن زهر، وكذا مصدر "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة، إلا أن ما حفظه ابن البيطار من مادة تاريخية كانت دليلا قاطعا على ما بلغه الطب في الأندلس من تطور خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولما بلغته الصيدلة على وجه الخصوص من التطور والازدهار، فلابن البيطار الفضل في حفظ ما ضاع من كتاب "الأدوية المفردة" للطبيب الصيدلي الأندلسي أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الإشبيلي، وما ضاع من كتاب "الأدوية المفردة" لأبي جعفر أحمد بن أحمد بن سيد الغافقي، وما ضاع من كتاب "الرحلة المشرقية" للطبيب الصيدلي أبي العباس أحمد ابن محمد بن مفرج بن الرومية الإشبيلي، وكلهم أطباء صيادلة عاشوا في فترة موضوع الدراسة، مما ساعد على معرفة ما كان لهؤلاء الأطباء الصيادلة من فضل على علم الطب والصيدلة وتطويره، والمؤلف في حد ذاته قد أشار في مقدمة مصدره أن عند تأليفه له لم يعتمد إلا على أشهر الأطباء الصيادلة، وهذا يؤكد مرة أخرى على نبوغ هؤلاء في علم الطب والصيدلة في الأندلس.

والمصدر خاص بالأدوية وماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها. ولقد أفاد في شرح بعض الأدوية النباتية والمعدنية التي استعملت من قبل أطباء فترة موضوع الدراسة.

أما ما تعلق بالمراجع فقد أنجز هذا العمل بالاعتماد على مجموعة من المراجع، تناولت في مجموعها موضوع الطب في الأندلس، إلا أن ذلك كان ضمن "تاريخ الطب والصيدلة عند العرب" أو ضمن "العلوم عند العرب" أو ضمن موضوع "الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس"، وقد عرضت هذه الدراسات موضوع الطب في الأندلس، وحتى المراجع التي خصصت لدراسته لم تتناوله بدقة وشمولية لجميع جوانبه العلمية والمهنية، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المراجع كانت مفيدة لموضوع البحث . من بينها نجد دراسة :

1-الأستاذ محمد العربي الخطابي :

أ- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم ونصوص.

إن هذا المرجع يعد من المراجع القليلة المتخصصة في موضوع الطب في الأندلس. وتكمن أهميته في احتوائه على عدد من النصوص في علم الطب بالأندلس لأطباء فترة موضوع الدراسة، لم يسبق لأكثرها أن نشرت من قبل، وحتى الذي نشر منها لم يحقق أو يصحح، ولقد انتقاها الأستاذ محمد العربي الخطابي من مصادرها الخطية، ومن أبرزها وأهمها كتاب "الكليات" لأبي الوليد بن رشد الحفيد(ت 595 هـ/ 1198م)، ومما تجدر الإشارة إليه أن الأستاذ محمد العربي الخطابي قد اختار من هذا الكتاب "الأبواب المتعلقة بالتشريح ووظائف الأعضاء" مع مقارنتها بأقاويل الطبيب الأندلسي الجراح أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت 404هـ/ 1013م).

إن هذه الدقة في الاختيار، كانت في غاية الأهمية، حيث أفادت الباحث في معرفة التطور الذي أحدثه الطبيب الجراح أبوالوليد بن رشد في علم التشريح والجراحة.

أورد الأستاذ محمد العربي الخطابي أيضا في مرجعه هذا ثلاث رسائل في الطب للطبيب الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن زهر الإيادي، وهي "التذكرة" و"القانون المقتضب" ومقالة في "تفضيل العسل على السكر"، ولقد كان ذلك مهما أيضا، إذ ساعدت هذه الرسائل في معرفة براعة هذا الطبيب الأندلسي في الطب، وبصفة خاصة في وصف الأمراض بدقة، والتي تدل على خبرته وتجاربه، ولقد استنتاج ذلك من خلال كتابه القانون المقتضب.

أما كتابه "التذكرة" فقد مكنت الباحث من معرفة دقة هذا الطبيب في وصف العلاج ودعوته لضرورة التدرج من الأدوية المفردة إلى الأدوية المركبة، فضلا عن رسالة "تفضيل العسل على السكر" والتي كشفت عن اهتمام هذا الطبيب بالنظام الغذائي والطب الوقائي.

إن ما أورده الأستاذ محمد العربي الخطابي من نصوص طبية قد ساعدت على معرفة بعض الابتكارات والإبداعات الطبية لبعض أطباء الأندلس لفترة موضوع الدراسة، سواء أكانت ابتكارات في الأمراض أو العلاج أو التشريح والجراحة، أو حتى في المنهاج وأسلوب المداواة، كما كشفت هذه النصوص على مساهمة بعض أطباء الأندلس لفترة موضوع الدراسة في التأليف الطبي.

لقد أورد الأستاذ محمد العربي الخطابي النصوص الطبية السالفة الذكر في مؤلفه "الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية"، وهو في جزئين، وكان الاعتماد بالدرجة الأولى على الجزء الأول منه، ولقد بدأه المؤلف بمدخل حول تاريخ الطب في الأندلس، وإن كان المؤلف قد ركز على ثبت لتراجم أشهر أطباء الأندلس -وبشكل مختصر- من أيام الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/756-785م) إلى غاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، إلا أن ذلك قد ساعد على تتبع نشأة علم الطب وتطوره في الأندلس. وعند سرده لنصوص الطبيب الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن زهر وأبي الوليد بن رشد، فإن المؤلف قد خص هذين الطبيبين بترجمة أوسع أفادتني في الفصل الرابع والذي خصص لدراسة مفصلة لأشهر الأطباء الصيادلة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

وللأستاذ محمد العربي الخطابي كتاب آخر بعنوان :

ب- الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، مدخل ونصوص . يعد هذا المرجع من المراجع التي لها صلة مباشرة ببعض جوانب البحث، وبخاصة وأن صاحبه قد أورد فيه بعض النصوص الطبية لأبرز أطباء الأندلس لفترة موضوع الدراسة منها "كتاب الأغذية" لأبي مروان عبد الملك بن زهر الإيادي، و"القول في أشخاص الأغذية" لأبي الوليد محمد بن رشد الحفيد، فضلا عن كتاب "الأدوية المفردة" لأمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الداني، وكذا أصناف الأدوية المركبة ومنافعها من معاجين وأدهان وأشربة لأبي مروان عبد الملك بن زهر، ولم يقتصر الأستاذ محمد العربي الخطابي على سرد هذه النصوص الطبية، بل قام

أيضا بتحقيقها معتمدا في ذلك على النسخ المخطوطة، ولقد استفيد من هذه النصوص في جوانب كثيرة وفي مواضع عدة من البحث، وبخاصة وأن هذه النصوص قد كشفت ما لأصحابها من دور وفضل على الطب وتطوره بالأندلس، وبخاصة في صناعة الأدوية. كما كشفت بعض النصوص السالفة الذكر أيضا، ما لأصحابها من دور في إبراز دور الطب الوقائي وأهمية النظام الغذائي في حفظ الصحة.

وخلاصة القول، فإن للأستاذ محمد العربي الخطابي الفضل الكبير في بروز بعض التراث الطبي لبعض أطباء الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهي فترة الإبداع الطبي في هذه المنطقة، وفترة العصر الذهبي لصناعة الأدوية. وبفضل النصوص الطبية التي حفظها هذا المؤلف سواء أكان ذلك في مؤلفه "الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية" أو في كتابه "الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي"، فإنه قد ساعدني على الوصول إلى بعض المصادر المتعلقة بموضوع البحث، ودراسة أخرى قام بها :

2- الأستاذ الدكتور محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين .

تتميز هذه الدراسة عن سابقتها كونها دراسة عميقة، تناولت قبل الحديث عن العلوم وتطورها في عهد الموحدين، مناهج التعليم وأساليبه في المدارس والجوامع متطرقة للتعليم الإجباري وكتب الدراسة. انتقل بعد ذلك صاحب هذا المؤلف بدراسة العلوم، سواء النقلية منها أو العقلية في عهد الموحدين مدرجا علم الطب والصيدلة، ولكن اقتصرت دراسته لهذه العلوم ببلاد المغرب، مع الإشارة من حين لآخر للأندلس. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا المرجع قد أفاد الباحث في نقاط عديدة من موضوع البحث، كإجبارية التعليم والذي يرجع الفضل فيه للموحدين، وموضوع اهتمام أمراء الموحدين بالطب علما ومهنة، واهتمامهم أيضا بالأطباء وتقريبهم لهم، واستظهار بعضهم بكتب بعض أطباء الأندلس لفترة موضوع الدراسة.

كما أمد المرجع أيضا، بمعلومات هامة حول اهتمام الموحدين بصناعة الورق ومعرفة علاقة ذلك بالكتب والمكتبات العامة. ومما ينوه إليه، فإن أهمية مرجع الأستاذ الدكتور محمد المنوني تكمن في اعتماده على عدد من المخطوطات، من بينها مخطوطات لبعض أطباء القرن السادس هجري/ الثاني عشر الميلادي.

وإلى جانب المراجع المذكورة، والتي كان لها صلة وثيقة بالبحث من الجانب العلمي على وجه الخصوص، اعتمد الباحث على مرجعين كانا على أهمية كبيرة لما لهما من علاقة بالجانب الاجتماعي لموضوع الدراسة، وهما لـ :

3- الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش :

أ- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين.

ب- المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع الذهنيات الأولياء.

والمرجعان يتعلقان بالدراسة الاجتماعية للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، وهما من الدراسات الاجتماعية القليلة بالنسبة لتاريخ المغرب والأندلس، حيث انصب جل اهتمام الباحثين كما سلف الذكر على دراسة التاريخ السياسي للمنطقة وبخاصة تاريخ المرابطين السياسي بالأندلس، حيث كان التركيز على توضيح دورهم السياسي بهذه المنطقة بسبب ما كان يهدد مصير دولة الإسلام بها من الخطر المسيحي ورد فعل المرابطين على ذلك، فغطى دورهم السياسي بالمنطقة الدور الحضاري لهم بها، والذي حاول الباحث أن يبرز جانبا منه من خلال موضوع البحث.

أما بالنسبة للدكتور إبراهيم القادري بوتشيش، فله الفضل في توضيح كثير من الجوانب الاجتماعية للمغرب والأندلس من خلال الدراستين السالفتي الذكر. ففي دراسته "المغرب والأندلس في عصر المرابطين مجتمع الذهنيات الأولياء" حاول صاحبها توضيح عقلية المجتمع في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، وقد تناول ذلك في ثلاثة محاور رئيسة ،من بينها نجد جزئية عالج فيها المؤلف موضوع الشؤون الصحية، الأمراض ووسائل العلاج التقليدية . ولقد قدم الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش في هذه الجزئية توضيحا دقيقا، للعلاقة بين

الدخل المادي للفرد وصلته بالتردد على الأطباء، وقد ساعدتني هذه الجزئية في فهم علاقة الجانب الاقتصادي بالجانب الصحي لأهل الأندلس، وإن كان تركيز المؤلف في ذلك على أهل المغرب.

أفادت هذه الجزئية أيضا في معرفة أبرز الأمراض التي كانت سائدة في الأندلس وطرق علاجها، ومما ينوه إليه ويزيد لهذا المرجع أهمية، كون صاحبه قد اعتمد في إعداده له على مجموعة كبيرة من المخطوطات من بينها مخطوطات طبية لأطباء فترة موضوع الدراسة. أما في الدراسة المعنونة بـ :

ب- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، فقد تناول فيها الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش العناصر العرقية المكونة للمجتمع في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، وتوضيح بنائه الطبقي. ولقد كانت هذه الدراسة مهمة وبخاصة وأن المجتمع في الأندلس خلال عصر المرابطين قد حدثت فيه تحولات جديدة، بسبب دخول عنصر اجتماعي جديد إلى المجتمع الأندلسي ويتمثل في المرابطين، فضلا عن التحول الذي حدث لهذا المجتمع من الناحية الاقتصادية بحسب التوجه الاقتصادي الجديد الذي تبنته دولة المرابطين بالمنطقة والذي كان مرتبطا بالوضع السياسي لها، ويتمثل في اقتصاد المغازي، فانعكس ذلك على المجتمع وتكوينه الطبقي وواقعه الصحي.

لقد ساعدت هذه الدراسة على معرفة التفاوت الطبقي الذي عرفه المجتمع الأندلسي خلال عصر المرابطين. وأمدت الباحث أيضا بمعلومات قيمة حول الوضع الطبقي لأطباء الأندلس خلال تلك الفترة.

أما ما تعلق بالمراجع الأجنبية التي ساعدت أيضا على إنجاز موضوع البحث فإننا نجد من بينها المترجمة إلى العربية وما بقي على لغته الأصلية .من أهم هذه الدراسات :

1- المستشرق الإسباني الدكتور فرانشيسكو فرانكو سانشت : تطور الطب في الأندلس، تعريب د. جمعة شيخة، و أ. الشاذلي النفطي، المجلة العربية للثقافة، تونس، ع 27، 1415هـ/1994م.

ولقد مهد لها صاحبها بمقدمة حول التطور التدريجي للطب في المشرق، مما أفادت في تتبع نفس الخطوات لعلم الطب بالأندلس.

ومما يستحق الذكر فإن هذا المستشرق على الرغم من إشادته بفضل أطباء المشرق على علم الطب، إلا أنه قد أرجع ذلك إلى كثرة عددهم مقارنة بعدد النصارى واليهود، يعد هذا انتقاصا منه لدور أطباء المسلمين في تطوير علم الطب، وفي نظر الباحث فإن العبرة ليست بالكم والعدد، وإنما بالكيف، فإن كان القرنان الرابع الهجري والخامس الهجري/ العاشر الميلادي الحادي عشر الميلادي يعتبران العصران الذهبيان للعلوم الطبية في الثقافة الإسلامية، إنما يعود ذلك لجهود الأطباء المسلمين وإبداعهم.

انتقل بعد ذلك صاحب هذه الدراسة إلى الحديث عن الطب في الأندلس، إلا انه تناول ذلك بالتدريج المختصر، وتحدث بصفة خاصة عن الطب كمهنة وممارسة وليس كعلم، مشيرا إلى تعاون الأطباء المسلمين وغير المسلمين في ذلك بالأندلس، ويذكر أثناء تناوله لهذه النقطة وهو مدفوعا بنزعته الاستشراقية أن : "...الأطباء المستعربون برزوا في امتهان الطب خلال القرنين الثامن والتاسع... كانوا العارفين بالمعرفة وبالعلوم التقليدية اليونانية إلا أنه وبفضل التراجم التي وقعت في الشرق أصبح الطب الإسلامي في مرتبة أعلى وأرقى. هؤلاء الأطباء المسيحيين كانوا يعملون إلى جانب المسلمين خلال الفترة الأولى للفتح الإسلامي وبداية من القرن التاسع سنلاحظ عندهم زعامة أكبر إلى أن يأخذوا المشعل من الأطباء المسلمين للأندلس ".

إن هذا التصريح من طرف هذا المستشرق ليس صحيحا، بدليل أن عند دخول الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس كان بصحبة الطبيب المشرقي الوليد المذحجي، ومنذ ذلك الوقت أخذ الاهتمام بعلم الطب في الأندلس يخطو خطوات واسعة بفضل مجهودات أمراء بني أمية وتشجيعهم للحركة العلمية وللطب والأطباء بهذه المنطقة، إلى ان ظهر المشعل الأول للطب خلال خلافة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) وابنه الحكم المستنصر (350-

366هـ/961-976م)، وبلغ هذا الطب الذروة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

يشير صاحب هذه الدراسة في إطار تناوله لموضوع تطور الطب بالأندلس أيضا إلى أن عند انتهاء الطالب من دراسته تعطى له إجازة تسمح له بممارسة الطب، معقبا على ذلك بأنها كانت تعطى أحيانا بدون كفاءة، وفي نظر الباحث فإن هذا التعقيب منه ما هو إلا تعقيب استشراقي، فلو كانت الإجازات تعطى بدون كفاءة لما أنجبت أرض الأندلس أمثال الطبيب الأندلسي الشهير أبي مروان عبد الملك بن زهر، والطبيب الجراح أبا الوليد بن رشد، بدليل أن هذا المستشرق قد أشاد شخصيا ومباشرة بعد ذكره لموضوع الإجازة والتي كانت تعطى بدون كفاءة في نظره ببراعة هاتين الشخصيتين في علم الطب بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

وقد أفادت هذه الدراسة ببعض المعلومات حول اهتمام الأطباء المسلمين بالطب الغذائي قبل اللجوء إلى المداواة بالأدوية البسيطة أو المركبة، وبالمعلومات الخاصة ببعض الأطباء الصيادلة لفترة موضوع الدراسة، وعلم الجراحة، مشيرا إلى براعة الطبيب الأندلسي الجراح أبي القاسم الزهراوي. وإن كان هذا الجراح قد عاش في فترة سابقة لفترة موضوع الدراسة – ما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين- إلا أن ما اخترعه من الآلات في علم الجراحة هي نفسها التي كانت تستعمل خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وبذلك يكون هذا الجراح ذا علاقة مباشرة بفترة موضوع الدراسة، وأن ما أورده الدكتور فرانشيسكو فرا نكو سانشت من معلومات حول هذه الشخصية كانت مهمة بالنسبة لموضوع البحث. ولقد أشاد هذا المستشرق بهذا الجراح الأندلسي وأشار إلى ابتكاراته في علم الجراحة بالتفصيل، على الرغم من أنه مهد لموضوع الجراحة الإسلامية قبل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بقوله: "...لقد كان علم التشريح ميدانا غير مكتشف من طرف المسلمين أو أن المسلمين في هذه المادة بالذات لم يكونوا مبدعين... ". صرح هذا

المستشرق بهذه المقولة، في نظر الباحث، وهو مدفوع بنظرته الاستشراقية بدليل أنه ناقض نفسه عند ذكره لبراعة الطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي في علم الجراحة.

تضاف إلى هذه الدراسة، دراسة للمستشرق الفرنسي :

Lucien Leclerc : histoire de la médecine arabe, les sciences en orient leur transmission à l`occident par les traductions latines , T1, T2,

وإن كانت هذه الدراسة تتعلق في العموم بتاريخ الطب عند العرب، وأن تناول صاحبها لموضوع الطب بالأندلس كان ضمنيا، إلا أنها كانت في غاية الأهمية بالنسبة لموضوع البحث وتطرقت لمواضيع لم تشر إليها المراجع الأخرى. وقبل الإشارة إلى ما أفادت به هذه الدراسة فإن الباحث يقر أن صاحبها كان أكثر إنصافا لفضل العرب على علم الطب، وأشاد بذلك في أماكن عدة من مؤلفه.

تناول في الجزء الأول، الطب عند العرب قبل الإسلام إلى نهاية عهد بني أمية بالمشرق، وعرض خلال ذلك تراجم لبعض الأطباء العرب في العصر الإسلامي مشيرا إلى الطب النبوي.

كما درس حركة الترجمة للتراث الطبي الإغريقي بالمشرق، مع ذكر معلومات واسعة حول أبرز المترجمين لهذا التراث.

ومما ينوه إليه، فإن هذا المستشرق قد تتبع في دراسته لموضوع الطب عند العرب التسلسل التاريخي، فبعد التمهيد لموضوع الطب قبل الإسلام والطب النبوي والطب في عهد بني أمية، تناول بالدراسة للطب من القرن الثالث للهجرة إلى القرن الخامس للهجرة/ التاسع الميلادي إلى الحادي عشر الميلادي في كل من بلاد فارس والعراق ومصر والمغرب وإسبانيا، مركزا على دراسة تراجم أبرز الأطباء لهذه الفترة في هذه المناطق.

ولقد خص لوسيان لوكليرك الأندلس بتمهيد حول اهتمام خلفاء بني أمية بعلم الطب، ثم أعطى بعض المعلومات حول أطباء الأندلس، من أبرزهم الطبيب

الأندلسي أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، فساعد ذلك على معرفة فضل هذا الطبيب الأندلسي على علم الطب والجراحة.

ختم لوسيان لوكليرك الجزء الأول من مؤلفه "تاريخ الطب العربي" بموضوع هام وهو المؤسسات التعليمية و المراكز الاستشفائية عند العرب، وقد تم الاستفادة من هذه الجزئية في موضوع البحث، حيث أشار هذا المستشرق إلى أهمية هذه المؤسسات وضرورة تناولها بالدراسة سواء تعلق الأمر بالمستشفيات أم المدارس أم المكتبات، ولكن عند حديثه عن المستشفيات بالأندلس يشير إلى ضآلة المصادر حول هذا الموضوع.

كما أفاد هذا المرجع بما تضمنه من معلومات حول الوضعية الاجتماعية لبعض أطباء فترة موضوع الدراسة والمراتب العليا التي حضوا بها لدى أمراء الأندلس.

أما في الجزء الثاني، فقد واصل فيه لوسيان لوكليرك دراسته لموضوع الطب عند العرب من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/ الثامن عشر الميلادي، مركزا في ذلك على دراسة تراجم أبرز أطباء هذه الفترة، وفي آخر دراسته تناول التراث العلمي بما في ذلك التراث الطبي العربي وانتقاله إلى الغرب بفضل ترجمته من العربية إلى اللاتينية واليونانية. وفي سياق حديثه عن هذا الموضوع أفاد هذا المستشرق بذكره لدور الطبيب الأندلسي الشهير ابن جلجل (أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي) في مشاركته للترجمة التي تمت لكتاب ديسقوريدوس في الطب بالأندلس، ولقد أشاد بهذا الطبيب إشادة كبيرة، الأمر الذي يزيد تأكيدا على إنصاف هذا المستشرق لفضل العرب على علم الطب. ولقد ذكر لوسيان لوكليرك الزيادة التي أضافها الطبيب ابن جلجل في الأدوية والتي لم يذكرها ديسقوريدوس. كما أكد على تطور الطب في الأندلس وذلك بمجيء الملك سانشت ليعالج بهذه المنطقة من مرض أصيب به.

مهد لوكليرك لجزئه الثاني من مؤلفه بتمهيد تاريخي لموضوع واقع العلوم بما في ذلك علم الطب خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وتأثير

حركة الحروب الصليبية على هذه العلوم وبخاصة في المشرق. ولقد أشاد المؤلف بما بغلته الأندلس من تقدم علمي خلال هذه الفترة خلافا للمشرق. كما أن القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي يعد القرن الذهبي للعلوم بهذه المنطقة وذلك في ظل المرابطين والموحدين. كما تناول المؤلف أيضا فضل عائلة ابن زهر في الطب، على امتداد ثلاثة قرون، فضلا عن الطبيب أبي جعفر أحمد الغافقي والطبيب أمية بن أبي الصلت،و الطبيب الجراح أبي الوليد بن رشد، والطبيب العشاب أبو العباس بن الرومية الاشبيلي.

وخلاصة القول، فإن هذه الدراسة العلمية التي قام بها المستشرق الدكتور لوسيان لوكليرك كانت مهمة بالنسبة لموضوع البحث، والأهم من ذلك أن المؤلف احترم التسلسل التاريخي لموضوع دراسته " تاريخ الطب العربي". وعلى العموم فإن دراسة لوسيان لوكليرك كانت أكاديمية بعيدة كل البعد عن بعض الدراسات الاستشراقية التي تعمل دائما على طمس كل ابتكار علمي للعرب المسلمين.

تـــمـــهـــيـــد

الطب في الأندلس قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

لم يكن الفتح الإسلامي لإسبانيا مجرد تحول سياسي في تاريخ الدولة الإسلامية في العصور الوسطى، بل كان حدثا حضاريا امتزجت فيه حضارة سابقة كالحضارة الرومانية والقوطية مع حضارة جديدة لاحقة وهي الحضارة العربية الإسلامية. فما أن وطئت أقدام المسلمين هذه الأرض، حتى بدؤوا في اقامة الحضارة الإسلامية بجميع جوانبها، مساهمين بذلك في بناء الحضارة الغربية، والتي ما زالت بصمات الحضارة الإسلامية واضحة عليها.

فبعد عبور كل من طارق بن زياد 92هـ/711م[1] وموسى بن نصير 93هـ/712م[2]، بجنود المسلمين إلى هذه الأرض حتى أقبل هؤلاء على مصاهرة الأسبان والتزاوج من نساء إسبانيات، ولقد شجع هذه الظاهرة العديد من قادة المسلمين بالأندلس وفي مقدمتهم عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي تزوج بأرملة لذريق القوطية والتي تسمى أم عاصم[3]. ومع مرور الوقت أصبح الزواج من النساء الإسبانيات تقليدا وظاهرة شائعة عند أهل

---

[1] – مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1401هـ/ 1981م، ص 16.

– ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله): فتوح إفريقية والأندلس، حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964، ص 16.

– د. حسين مؤنس: فجر الأندلس– دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية، (711هـ/756م)– الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1405هـ/1985م، ص ص 67– 69.

[2]– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 24.

– ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر):تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1980م، ص 23.

– د. محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1398هـ/1979م، ص ص 251، 255.

[3] – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص ص 83– 84.

– ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج2، ص 23.

– د. سحر السيد عبد العزيز سالم:" ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس في العصر الإسلامي"، بحث مطبوع مقدم إلى ندوة المسلمين في أوربا،الذي عقد في جامعة القاهرة من 2الى5 مارس 1991، ص 1.

الأندلس، بما في ذلك أمراء بني أمية وخلفاؤهم الذين تغلغل إلى عروقهم هم أيضا قدر غير قليل من الدم الإسباني، بدليل أن أمهات معظمهم كن من أصول إسبانية[1]، فرسخت بذلك أقدام المسلمين الفاتحين على هذه الأرض، واستقروا بها[2].

عمل المسلمون بعد ذلك، في هذا الجانب الغربي من العالم الإسلامي، على بناء صرح دولة عربية إسلامية مستقرة سياسيا ومتطورة حضاريا. ويعتبر الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (138-172هـ/ 756-798م)، والذي يرجع له الفضل في إحياء دولة أجداده بني أمية على أرض الأندلس بعد سقوطها بالمشرق عام (132هـ/750م)[3]، أول من بدأ بنشر بدور الحضارة العربية الإسلامية بهذه المنطقة، كما حرص في الوقت نفسه على إحياء وتجديد ما زال منها، فعمل على ترتيب الإدارة المركزية بالأندلس وتثبيتها معتمدا على رجال من موال لبني أمية تأصلت في بيوتهم الخبرة بالإدارة والقيادة وشؤون الحكم[4]، كما اهتم أيضا بالبناء والعمران: "...فاستقر بقرطبة وتبث قدميه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر في

---

[1] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق،ج2، ص ص 156، 158، 253.

– عبد الواحد المراكشي(محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التجيبي): المعجب في تلخيص أخبار المغرب- من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب- تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م، ص ص 44، 48- 49، 52- 54.

– د.سحر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص1- 3.

- Levi Provincal: Histoire de L`Espagne Musulmane, TI, La Conquete et L`Emirate Hispano Umaiyade, Paris, Leiden, 1950, P 76.

[2] – المقري التلمساني (أحمد بن محمد): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب،

– د. عبد الواحد ذنون طه: "استقرار القبائل البربرية في الأندلس"، مجلة أوراق، تصدر عن المعهد الإسباني العربي الثقافي في مدريد، ، العدد 4، 1981 ، ص ص 35- 36.

– د. مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (91-422هـ/710-1031)، الدار البيضاء، 1983م، ص 40.

[3] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص ص 40- 47.

– د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس – من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1961، ص ص 173- 208.

[4] – المرجع نفسه، ص ص 206- 207.

– د. السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998م، ص 13.

قرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار..."[1]، فبدأ بذلك أكبر أثر معماري في تاريخ الغرب الإسلامي[2]، ثم بنى مدينة الرصافة في الجانب الغربي من قرطبة، وأقام بها قصرا تفنن في زخرفته وأحاطه بشتى أنواع الغراس والأشجار، ولكي يحقق ذلك فإنه لم يتردد في جلب الحبوب والنوى المختلفة من بلاد الشام[3].

إن الاهتمام ببناء الحدائق، في نظر الباحث، يعد بادرة طيبة لتطور علم الطب والصيدلة بالأندلس، حيث تزايد مع الوقت الاهتمام بالنباتات والأعشاب والزراعة التطبيقية في ميدان الطب والصيدلة[4].

هكذا إذن غرس عبد الرحمن الداخل بذور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، وجاء أمراء بني أمية وخلفاؤهم من بعده لتثبيت هذه الحضارة على هذه الأرض وتطويرها، فاهتموا بالحركة الفكرية وبمختلف العلوم[5] بما في ذلك علم الطب[6].

بدأ واقع هذا العلم يتغير بالأندلس منذ استقرار عبد الرحمن الداخل بالمنطقة، حيث كان برفقته عند دخوله إليها الطبيب الوليد المد حجي، فاهتم هذا الطبيب بالطب وكان الطبيب الخاص للأمير عبد الرحمن الداخل والمدبر لعلاجه وحفظ صحته[7]. ومما تجدر

---

[1] – المقري: المصدر السابق، ص 329.

[2] – تركت العمارة الإسلامية بالأندلس بصماتها في تاريخ العمارة في الغرب الإسلامي، وللمزيد من المعلومات حول العمارة الإسلامية بالأندلس ارجع إلي: – د.السيد عبد العزيز سالم: مالا يعرفه المسلمون عن حواضر الأندلس الإسلامية، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص ص557، 610. ؛ مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة د/ السيد عبد العزيز سالم ود. لطفي عبد البديع، راجعه د. جمال محمد محرز، مؤسسة شباب الجامعة، [د.ت]، [د.ط]، ص ص 16، 487.

[3] – المقري: المصدر السابق، ج1، ص 487.

[4] – د. أحمد مختار العبادي: الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، مقال نشر ضمن ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1415هـ/1995م، ص ص 107– 111، 122– 129.

[5] – صاعد الأندلسي(أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي): طبقات الأمم، تحقيق حيلة العيد بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص ص 158– 197.
– د. شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص ص 59–67.

[6] – ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م، ص ص97– 98، 100– 115.
– د. عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994م، ص ص 159– 160.

[7] – ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، د/ عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م، ج4، ص 151.

الاشارة اليه أن الأندلس قبل ذلك كانت تعتمد في الطب: "...على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الإبر يشم... وكان قوما من النصارى يتطببون، ولم تكن لهم بصارة بصناعة الطب..."[1]، ويؤكد ذلك صاعد الأندلسي بقوله: "...وكان الناس ... يعولون في الطب على قوم من النصارى لم يكن عندهم تحقق ولا شيء من سائر العلوم، وإنما كانوا يعولون على كتاب بأيديهم من كتب النصارى يقال له الإبر يشم..."[2]، ويضيف قائلا أن : "...صناعة الطب فلم يكن بالأندلس من استوعبها ولا من يلحق بأحد من المتقدمين فيها وإنما كان غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة في فروعه فقط دون الكتب المؤلفة في أصوله مثل كتب أبقراط وجالينوس..."[3].

بعد فترة حكم الأمير عبد الرحمن الداخل أخذ علم الطب بالأندلس يسير بخطى واسعة، حيث بدأ يظهر على أرضها أسماء لأطباء حاولوا المضي قدما بهذا الفرع من العلوم من بينهم الطبيب القرطبي الحاذق حمد بن أبا الذي ظهر خلال فترة حكم الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238-273هـ/852-886م)[4]، بل وأكثر من ذلك، وخلال هذه الفترة أي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بدأت تظهر بالأندلس بعض المؤلفات الطبية، حيث ألف الطبيب أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي (238هـ/852م) كتابا في الطب ضمنه أخبارا عن الطب العربي القديم وأحاديث شريفة وأصولا فقهية في التطبب، كما حوى الكتاب معلومات حول الأدوية والأغذية[5].

---

[1] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص 92.

[2] – طبقات الأمم، ص 186.

[3] – صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 185.

[4] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص92- 93.

– صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص186.

[5] – ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي): تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، القسم1، ص ص 269- 272.

– الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص ص 282، 284.

- **فضل المشرق على ظهور الطب بالأندلس:**

إن الحياة العلمية بالأندلس كانت في البداية تعتمد على التراث الإسلامي بالمشـــرق، وكان ذلك يتم عن طريق استقدام العلماء المشارقة إلى الأندلـــس لتلقيـــن أهلـــها العلـــوم والمعارف، بما في ذلك علم الطب. وقد قدم إلى أرض الأندلس في عهد الأمير الأمـــوي محمد عبد الرحمن الأوسط الطبيب المشرقي يونس الحراني الذي ذاع صيته بـــالأندلس بسبب علمه بالطب، والذي أفاد أهلها[1] به. وفضلا عن ذلك، فإن أطباء الأندلـــس كـــانوا بدورهم يرحلون إلى المشرق لتلقي مختلف العلوم بما في ذلك علم الطب، ثم يعودون بـــها إلى أرض الأندلس ليفيدون بها أهلها. ولقد رحل إلى المشرق العديد من أطباء الأندلـــس وكان من بينهم الطبيب أبو مروان عبد الملك حبيب السلمي الذي رحل إلى مصر، فحـــل بها سنة 207هـــ/822م، ثم توجه إلى المدينة المنورة، وبعد ثلاث سنوات من رحلته هـــذه عاد إلى أرض الأندلس سنة 210هـــ/825م، فذاعت شهرته العلمية بها حتى قربـــه إليـــه الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني بن الحكم (206-238هـــ/221-852م)[2].

وفي نظر الباحث، فإن هذا الطبيب قد استفاد استفادة كبيرة من رحلته العلمية هـــذه وتأثر بها، ومما يدل على ذلك تأليفه لكتاب في الطب ذكر فيه أخبارا عن الطب العربـــي القديم وأحاديث نبوية شريفة وأصولا فقهية في التطبب كما سلف الذكر، لما لذلـــك مـــن علاقة بالدين الإسلامي الذي يحث على التعلم وطلب العلم حتى يتمكن المسلمون مـــن أداء شعائر دينهم وأمور دنياهم على بصيرة.

ـــ - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإســـلامية-دراســـة وتراجـــم ونصـــوص- دار الغـــرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1، ص 11.

[1] - ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 94- 95.

- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 186.

- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاســـم): عيون الأنبـــاء في طبقات الأطباء، تحقيق د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، [د.ط]، [د.ت]، ص ص486- 487.

- د. السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 283.

- د. السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات العراقية في البناء الحضاري الأندلسي في عصر الدولـــة الأمويـــة، بحـــوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـــ /1991م، ص 454.

[2] - ابن الفرضي: المصدر السابق، القسم 1، ص ص 269- 272.

- الحميدي: المصدر السابق، ص ص 282- 284.

- محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص ص 85- 86.

كان الأطباء في الأندلس في هذه الفترة يجمعون إلى جانب علمهم بالطب، العديد من العلوم الأخرى كالفقه واللغة والحديث والفلك والكيمياء، ومما يدل على ذلك قول المقري عن الطبيب الفقيه أبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي :"...أيّ شرف لأهل الأندلس وأيّ مفخر وأيّ بحر من العلوم يزخر خلّدت منه الأندلس فقيها عالما أعاد مجاهل أهلها معالما وأقام فيها للعلوم أسواقا... وتصرف في فنون العلوم... حتى صار أعلم من بها..."[1].

- تطور الطب بالأندلس على عهد خلافة بني أمية:

كان أطباء الأندلس يجمعون شتى العلوم كما سبق الذكر،وقد ساعدهم على ذلك خصوصا إلمامهم باللغة العربية في المضي قدما بعلم الطب في الأندلس، مواكبين في ذلك ركب المشارقة في ترجمة التراث الطبي الإغريقي، ولقد تحققت هذه النقلة العلمية في علم الطب بالأندلس على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/912-961)[2] الذي ما إن تولّىعرش الإمارة بهذه المنطقة، حتى بدأ يعمل على إقرار الأوضاع السياسية المضطربة محاولا القضاء على بؤر التوتر فيها، فاستتبت له الأمور واستقرت له الأوضاع، حتى تلقب بالناصر لدين الله، ثم نادى بنفسه خليفة عام 316هـ/928م[3]، تأكيدا منه على ما حققه من أمن وأمان للأندلس بعدما عاشت قرابة ثلثي قرن من الزمن 238-300هـ/852-912م في الفوضى والاضطراب[4] .

---

[1] - المقري: المصدر السابق، ج2، ص 2.

[2] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 493- 494.

[3] - ابن عذاري : المصدر السابق، ص 198.

- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 353.

- د. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، [د.ط]، [د.ت]، ص 70.

- د. عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة والوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص 137- 138.

[4] - استطاع أمراء بني أمية بالأندلس، والذين حكموا بعد الأمير عبد الرحمن الداخل وهم هشام الرضى(172-180هـ/788-796م) والحكم الأول بن هشام الرضى (180-206هـ/796-821م) وكذا الأمير عبد الرحمن الأوسط، (206-238هـ/821-852م) أن يحافظوا على أملاك المسلمين بالأندلس، ويحافظوا أيضا علىما حققه بنو أمية ـــ

انعكس هذا الاستقرار السياسي الذي حققه الخليفة عبد الرحمن الناصر على واقع العلوم بالأندلس في تلك الفترة، فنالت الحركة الفكرية في عهده ازدهارا كبيرا، ولقد اهتم هو شخصيا بهذه الحركة العلمية وشجعها، وحرصا منه على المضي قدما بها انتدب ابنه الحكم المستنصر 350-366هـ/961-966م لرعايتها، فسمح له بالإغداق على العلماء داخل الأندلس، كما سمح له أيضا إكرام العلماء الوافدين من المشرق إلى الأندلس لينشروا فيها علومهم، فكان من أبرزهم العالم اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي الذي وصل إلى قرطبة سنة 330هـ/941م، وقاد بها حركة لغوية ضخمة بها بمؤلفاته اللغوية، فرحب به الخليفة الحكم المستنصر وكرّم مثواه، ورفع من منزلته عنده[1].

وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على تواصل الرحلات الفكرية والعلمية بين المشرق والأندلس، والتي لم تتوقف عند قدوم العلماء المشارقة إلى الأندلس فحسب، بل وتتمثل أيضا في وصول مؤلفاتهم العلمية إليها.

ومما ينوه إليه هنا أن المؤلفات الطبية المشرقية، خلال خلافة بني أمية، قد عرفت طريقها إلى الأندلس، واستفاد أهلها منها، وكان من أبرزها وأهمها مؤلفات الطبيب أبي

ـــ بهذه المنطقة من إحياء لصرح دولتهم التي سقطت بالمشرق، فأخمدوا الثورات والفتن الداخلية، كما أوقفوا التوسع والمد المسيحي بالأندلس، ولكن ما إن توفى الأمير عبد الرحمن الأوسط وتولى من بعده عرش الإمارة أمراء ضعاف وهم محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238-273هـ/852-886م) والمنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، (273-275هـ/886-888م) وعبد الله بن محمد بن المنذر (275-300هـ/888-912م)، حتى تمزقت الأندلس من جديد وقام المتمردون في أنحاء الأندلس بشق عصا الطاعة على الحكومة المركزية لإمارة بني أمية بقرطبة حتى أصبحت سلطة هذه الحكومة لا تتعدى مدينة قرطبة. وتحت هذه الظروف السياسية المضطربة فضلا عن حركة الاسترداد المسيحي الذي كان ينهش هو الآخر أرض الأندلس، أصبحت دولة الإسلام بهذه الأرض على شفة حفرة من الهاوية، ولقد امتد هذا الوضع السياسي الممزق بالأندلس قرابة ثلثي قرن من الزمن، امتد من سنة (238-300هـ/852-912م) حتى اعتلى عرش الإمارة بالأندلس الأمير الشاب "عبد الرحمن" الذي قضى زهرة شبابه لإعادة الاستقرار لدولة أجداده بالأندلس حتى أصبح خليفة بني أمية بها بدون منازع.

- ابن حيان(أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي): المقتبس، قطعة من عصر عبد الرحمن الناصر، نشر شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورينطي، وم. صبح وغيرهما، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م، ص 256.

- ابن عذار المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص ص 93- 233.

- د. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، ط1، 1980م، ص ص 261، 331.

[1] - الحميدي: المصدر السابق، ص 164- 165.

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 55- 61.

- المقري: المصدر السابق، ج1، ص386.

- د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 64.

بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 320هـ/932م)[1]، ولقد اعتمد عليها الطبيب الأندلسي الشهير أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (ت404هـ/1013م)[2]. وفضلا عن ذلك، فلقد استمر عبور طلبة الأندلس وأطبائها إلى المشرق لطلب العلم خلال هذه الفترة. ومن بين أطباء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق أحمد بن يونس الحراني وشقيقه عمر. رحل هذان الرجلان إلى بغداد في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وتلقيا علم الطب على يد الطبيب ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة (ت 365هـ/976م)، فقرآ عليه كتب جالينوس المترجمة إلى العربية، ثم عادا إلى الأندلس، فأفاد أهلها ممّا جاءا به من علم في الطب، وما لبثا أن أصبحا من الخاصة والمقربين للخليفة الأموي الحكم المستنصر[3].

---

[1] – أبوبكربن محمد زكرياالرازي:أحدأئمةالطبفي العصورالوسطى، ولد بمدينة الري جنوب طهران، سنة250 هـ/864م. اهتم بدراسة الطب فتفوق في ذلك مؤلفا عدة كتب من أهمها كتاب "الحاوي"، بحث فيه صاحبه كل فرع من فروع الطب، ظل هذا الكتاب ولعدة قرون أهم مرجع في الطب. ولقد ترجم إلى اللاتينية بعنوان "Liber Continens"، أما صاحبه فيعرف في أوربا باسم Rhesus. توفي هذا الطبيب سنة 320هـ/ 932م.أنظر ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص ص 414،426.

– ابن القفطي(جمال الدين أبي الحسن على بن القاضي الأشرف يوسف): كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المتنبي، القاهرة،[د.ط]، [د.ت]، ص ص 178– 182.

– د. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1987م، ص ص 296، 308.

[2] – أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي: طبيب أندلسي، من أهل الفضل والدين والعلم، برع في علم الطب وبخاصة في الجراحة، مخترعا ومكتشفا أشياء جديدة فيها.ألف في الطب عدة كتب، من أهمها كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، وموضوع هذا الكتاب حول الطب والصيدلة، ولقد كانت لهذا الطبيب أيضا دراية بصناعة الأدوية. ترجمت كتبه الطبية إلى اللغة اللاتينية، وكان يعرف عند الأوربيين بـ Abulcasis أما وفاته فكانت سنة 404هـ/1013م.

– الحميدي: المصدر السابق، ص ص 208– 209.

– ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك): كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م ، ج1، ص ص 165– 166.

– د. محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، [د.ت]،[د.ط]، ص ص 104، 106– 216.

– د. أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997، ج2، ص ص 9– 47.

- Lucien Leclerc: Histoire de la Medecine Arabe , Les Siences En Orient Leur Transmission A L`Occident par Les Traductions Latines , TI, Reedite Par Le Ministere des Habous et des affaires Islamiques, Royaume du Maroc- Rabat, 1980, P P 437- 457.

[3] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 112–113.

– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 487..

– د. السيد عبد العزيز سالم: التأثيرات العراقية في البناء الحضاري الأندلسي في عصر الدولة الأموية، ص ص 454– 455..

وفضلا عن هذا التبادل العلمي بين المشرق والأندلس فقد كان هناك تبادل علمي بين المغرب والأندلس أيضا، ففي الوقت الذي عرفت فيه كتب الطبيب المشرقي أبي بكر بن زكريا الرازي طريقها إلى الأندلس فإن كتب الطبيب المغربي أبي جعفر أحمد بن الجزار القيرواني[1] قد عرفت هي الأخرى طريقها إلى الأندلس، فتم الاعتماد عليها هي أيضا في علم الطب بهذه المنطقة[2]. ولم يتوقف هذا التبادل العلمي بين المغرب والأندلس عند هذا الحد، بل لقد رحل بعض الأندلسيين إلى القيروان أيضا من أجل التحصيل العلمي، ومن بينهم الطبيب الأندلسي عمر بن حفص بن برتق الأندلسي الذي لازم الطبيب أبا جعفر أحمد بن الجزار القيرواني لمدة، ثم عاد إلى الأندلس بما تحصل عليه من رصيد علمي على يد أستاذه ليفيد منها أهلها، ولبراعته في علم الطب دخل في خدمة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[3].

وفي نظر الباحث، فإن هذا الأمر يؤكد أن المغاربة قد أدوا دورهم هم أيضا، خلال هذه الفترة، في تطوير علم الطب بالأندلس.

لقد كان للحركة اللغوية، التي قام بها اللغوي المشرقي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، أثرها البالغ وانعكاسها الكبير على تقدم علم الطب بالأندلس. ومما يدل على ذلك أنه في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وبأمر وتشجيع منه، تشكلت لجنة من الأطباء الصيادلة واللغويين، عملت على ترجمة كتاب الحشائش للطبيب اليوناني العشاب

---

[1] – أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار: طبيب مغربي ولد بالقيروان عام 285هـ/ 898م من عائلة مشهورة بالعلم، وبخاصة الطب، فبرع فيه هذا الطبيب إلى جانب معرفته بالعديد من العلوم الأخرى، وله في الطب عدة مؤلفات من أهمها "زاد المسافر وقوت الحاضر" و" كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة" فضلا عن كتاب"البغية في الأدوية المركبة" و"كتاب في الحيوان" و"في مصالح الأغذية". ذاع صيت هذا الطبيب في المغرب والمشرق، أما وفاته فقد كانت سنة 369هـ / 980م.

– ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 88– 90، 107.

– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 237.

– د. إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة،عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1991م، ص ص179– 192.

– د. رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج2، ص ص 25– 26.

[2] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص 107.

– محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 17.

[3] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 490.

ديسقوريدوس من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية[1]، ومما ينوه إليه هنا، أنّه منذ استقرار المسلمين بأرض الأندلس بدأت اللغة العربية في الانتشار بهذه المنطقة حتى أصبحت بمرور الوقت اللغة السائدة بها[2].

لم يتوقف اهتمام هذا الخليفة بعلم الطب بهذا الحد، بل لقد قرّب إليه أيضا العديد من الأطباء، فأكرمهم وأغدق لهم العطاء، ومن بينهم الطبيب حسداي بن إسحاق بن شبروط اليهودي[3]. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على التسامح الديني الذي كان يتميز به هذا الخليفة إزاء غير المسلمين من أهل الأندلس. بل وأكثر من ذلك فقد وصل بعض الأطباء في عهده إلى تقلد منصب الوزارة، نذكر منهم الطبيب يحيى بن إسحاق[4] الذي تخلى عن ديانته اليهودية دين أجداده فأسلم لما لاقاه من تسامح الخليفة و تواضعه ونبل أخلاقه[5].

قرب الخليفة عبد الرحمن الناصر إليه أيضا، أطباء آخرين من غير اليهود وأحسن إليهم، جازلا لهم العطاء، نذكر منهم أبا بكر سليمان بن باج الذي كان عارفا بالأمراض وصناعة الأدوية[6]، وله : "...نوادر في الطب محفوظة في البلد كثيرة..."[7]، ولبراعته في الطب، عينه الخليفة عبد الرحمن الناصر لأن يكون طبيبه الخاص، وقد ذكر ابن جلجل أن هذا الطبيب قد وفق في معالجة هذا الخليفة في أقصر مدة من رمد أصيب به[8].

هكذا إذن كان اهتمام الخليفة عبد الرحمن الناصر بعلم الطب والأطباء، ولقد عرفت الترجمة الجديدة لكتاب ديقوريدوس، التي تحققت على يده، رواجا كبيرا بالأندلس، حتى

---

[1] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 190– 191.
– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 493– 494.
- Lucien Leclerc: Op. Cit .t1 P 419.

[2] – د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، ط3، 1987م، ص 175.

[3] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 498.

[4] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص 100.
– صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص ص 186–187.

[5] – المصدر نفسه، ص 187.
- Lucien Leclerc: Op. Cit. t1. P 100.

[6] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص 102.

[7] – المصدر نفسه، ص 103.

[8] – المصدر نفسه، ص ص 102– 103.

أصبحت مصدرا طبيّا يُعتمد عليه في الطب والتداوي بدلا من الترجمة التي تمت في بغداد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[1]، ونال الطب بالأندلس في ظلها تقدما كبيرا، حتى أصبح هذا العلم لا يقتصر على الترجمة فحسب، بل توسعت آفاق الأطباء إلى تصحيح أخطاء سابقيهم في علم الطب مضيفين الجديد فيه. ومما يدل على ذلك ما قام به الطبيب الأندلسي سليمان بن حسان بن جلجل (ت بعد 384هـ/974م). من تصحيح ما وقع فيه بعض أطباء الأندلس من أخطاء في ترجمتهم لكتاب ديسقوريدوس، مؤلفا في ذلك مقالة، كما كتب مقالة أخرى في "الأدوية" لم يسبق للطبيب العشاب اليوناني ديقوريدوس ذكرها[2].

ومما يؤكد أيضا ما بلغه علم الطب بالأندلس من تطور في عهد الخليفة الحكم المستنصر، الذي حذا حذو والده في الاهتمام بالحركة العلمية والعلماء وبخاصة اهتمامه بعلم الطب[3]، هوتكليفه للطبيب الأندلسي أحمد بن يونس الحراني[4] إقامة خزانة بالقصر للطب لم يشهد مثلها بالأندلس من قبل[5]، والأكثر من ذلك فإن هذا الخليفة قد دعا إلى إنشاء ديوان للأطباء قيد فيه اسم كل طبيب يمتهن مهنة الطب والصيدلة ويزاولها، فإذا ما

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 494-495.

– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية، عند مؤلفي الغرب الإسلامي– مدخل ونصوص– دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ط1، ص ص 15– 17.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 495.

– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 45.

– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص 268– 269.

[3] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 110– 111، 113.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T1, P 420.

[4] – أحمد بن يونس الحراني: أحد مشاهير أطباء الأندلس في عصر الخلافة، حظي هذا الطبيب بأن يستفيد في علم الطب من الذين سبقوه ليس في الأندلس فحسب، بل وخارجها أيضا، فلقد رحل إلى بغداد سنة 330هـ/ 941م، وأخذ الطب عن الطبيب المشرقي ثابت بن سنان الذي اطلعه على كتب جالينوس الطبية، وبعد ذلك عاد هذا الطبيب إلى الأندلس سنة 351هـ/962م، ودخل في خدمة الخليفة الحكم المستنصر، ونال أيضا حظوة وجاه كبير لدى ابنه الخليفة "هشام المؤيد" (366-399هـ/976-1008م).كانت لهذا الطبيب معرفة واسعة بالأدوية المركبة، ولقد خدم بمعارفه الطبية الطبقة الخاصة والعامة دون أن يستثني من ذلك الفقراء، وكانت وفاته بسبب حمى أصابته.

– ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 112– 113.

– صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص ص 190– 191

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T1, P 425.

[5] – ابن جلجل: المصدر السابق، ص 113.

– د. رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق، ص 28.

ارتكب أحدهم خطأ يستحق العقاب أسقط اسمه من الديوان، ولا يسمح له بعد ذلك بممارسة مهنة الطب[1]، وهذا ما يؤكد في نظر الباحث، اهتمام هذا الخليفة بالطب علما ومهنة.

كان لهذا الاهتمام المفرط بعلم الطب والأطباء أثره في أن تشهد الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر ميلاد طبيب أندلسي شهير ما زالت بصماته واضحة في علم الطب، ألا وهو الطبيب الأندلسي الجراح أبو القاسم خلف الزهراوي (ت 1013/404م) الطبيب الخاص للخليفة الحكم المستنصر[2].

كان هذا الطبيب خبيرا بالأدوية وعالما بالأمراض وطرق علاجها، وبارعا في علم الجراحة، مكتشفا آلات جديدة فيها، ولقد أرسى هذا الطبيب الأندلسي المبادئ الأساسية لجراحة الفتوق، ويعد أول من وصف بالتفصيل خياطة جروح الأمعاء باستخدام خيوط مصنوعة من أمعاء الحيوان، كما يعتبر أول من أجرى عملية غسيل للمثانة البولية بواسطة جهاز اخترعه. وفضلا عن ذلك، فإنه يعد أول من وصف عملية تفتيت الحصاة مستخدما آلة ما زال اسمها باللغة الإنجليزية هو نفس الاسم الذي أطلقه هو عليها "الكلاليب Clamps"، كما يرجع له الفضل أيضا في اختراع المقص الحقيقي، ويعد أول الأطباء الذي حاول نقل الأعضاء. ألف هذا الطبيب العديد من المؤلفات الطبية أشهرها كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، ولقد كان لهذا الكتاب أبلغ الأثر في تطور علم الطب والجراحة في الغرب المسيحي بعد ترجمته إلى اللاتينية، وظل مرجعا يعتمد عليه في ذلك طوال قرون من الزمن[3].

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 492.

– د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس–دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي– مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، مصر، [د.ط]، [د.ت]، ج2، ص 208.

[2] – د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 408.

[3] – الحميدي: المصدر السابق، ص ص 208– 209.

– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 501.

– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ص ص 113– 128.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص ص 408– 411.

و بعد الخليفة الحكم المستنصر تولى الخلافة بالأندلس ابنه الخليفة هشام المؤيد (366-399هـ/976-1008م) الذي كان صبيا في الحادية عشرة من عمره[1]، فكان ذلك بادرة تنذر بما ستتعرض له الأندلس من اضطرابات سياسية، حيث استبد بالسلطة فيها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (366-392هـ/976-1001) وابنيه، عبد الملك المظفر (392-399هـ/1100-1108م) وعبد الرحمن شنقول (399هـ/1008م)[2]. فما أن تمادى هذا الأخير وأقدم على مطالبة الخليفة هشام المؤيد بأن يوليه العهد من بعده وصدور القرار الخلافي بولايته للعهد 3، حتى عصفت بالأندلس فتنة كبرى وصراع حول الخلافة دام قرابة ثلاث وعشرين سنة، أودت في النهاية بخلافة بني أمية بالأندلس (422هـ/1031م)[4]، وأدت إلى قيام عهد سياسي جديد بها، وهو عصر ملوك الطوائف (422-479هـ/1031-1086م)، تمزقت خلاله الأندلس إلى ست وعشرين دويلة مستقلة[5].

ـــ - د. عامر النجار: المرجع السابق، ص ص161- 221.
- Lucien Leclerc: Op.Cit. TI, P P 437- 457.

[1] - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص 253.

[2] - الحميدي: المصدر السابق، ص 17.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1967م، ج4، ص 321.

[3] - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص ص 38، 44- 46.
- ابن الخطيب: (لسان الدين أبو عبد الله محمد): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجري ذلك من شجون الكلام، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، رباط الفتح، 1353هـ/1934م، القسم2، ص ص 106، 108.
- ابن الأثير(الإمام علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1386، 1966م، ج8، ص 679.

[4] - الحميدي: المصدر السابق، ص ص 28- 36.
- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م، القسم 1، م2، ص 602.
- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ص 161- 162، 171- 172.
- د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص 108.

[5] - حول عصر ملوك الطوائف بالأندلس والصراع السياسي القائم بين ملوك الطوائف، ارجع الى:
- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص 153 وما بعدها.
- ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي الأندلسي): المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ج1، ص ص 25- 26. ـــ

وعلى الرغم من هذا الاضطراب السياسي الكبير الذي تعرضت له الأندلس، فإن النشاط العلمي بها لم يتوقف خلال هذه الفترة، فلقد حققت الحركة العلمية بالأندلس من الازدهار والتفوق في عهدي الخليفتين عبد الرحمن الناصر وابنهالحكم المستنصر كما سلف الذكر، حتى أصبحت هذه الحركة العلمية أقوى من أن يعصف بها هذا التمزق السياسي[1]، ومع هذا فإن ذلك لا يعني أن الحركة العلمية لم تتأثر بما أصاب الأندلس من الاضطرابات والتمزق، خلال تلك الفترة، بل إن أحداثها مست العلماء أيضا، نظرا : "...لما لهؤلاء من إحساس مرهف بالواقع ووعي عميق بمجريات الأحداث..."[2]، والذي دفع بعضهم إلى التوقف عن نشاطهم العلمي[3]، في حين لقي بعضهم الآخر حتفه مناصرا لجانب أو لآخر من المتصارعين حول الخلافة بقرطبة خلال هذه الفترة المضطربة، نذكر منهم الطبيب الأندلسي عبد الله بن محمد الثقفي (ت 403هـ/1013م)[4]، والطبيب أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي[5].

أما البقية من علماء الأندلس لهذه الفترة فقد آثروا الرحيل والفرار إلى الحواضر الأندلسية الكبرى باحثين عن الأمان وعن المحيط والبيئة التي تسمح لهم بمزاولة نشاطهم العلمي[6]. ولقد كان ملوك الطوائف يتصارعون فيما بينهم سياسيا ويتنافسون علميا[7]، فحال

ـــ - محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ تأسيسها حتى الفتح المرابطي، القاهرة، ط2، 1382هـ/1969م،ص ص20-284 .

[1]- Lucien Leclerc: Op. Cit. T 1, P .421.

[2] - د.عبد الوهاب خليل الدباغ: أثر الفتنة في الحركة العلمية بقرطبة (399-422هـ/1009-1031م)، مجلة أفاق الثقافة والتراث، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد، دبي، الإمارات العربية، 1420هـ/1999م، ع25، 26، ص103.

[3] - من العلماء الأندلسيين الذين تأثروا بأحداث الفتنة ووصل بهم الأمر إلى التوقف عن مزاولة نشاطهم العلمي المؤرخ الأندلسي الشهير "ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي".
- ابن بسام: المصدر السابق، القسم1، م2، ص 576.

[4] - ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 302.
- د. عبد الوهاب خليل الدباغ: المرجع السابق، ص 103.

[5] Lucien Leclerc: Op. Cit. T1, P P 542- 543.

[6] - د. عبد الوهاب خليل الدباغ: المرجع السابق، ص 103.

[7] - المقري: المصدر السابق، ج3، ص ص 189- 190.

ذلك، في نظر الباحث، دون موت الحركة الفكرية بالأندلس خلال هذه الفترة، كما كان ذلك دافعا لأن يواصل بعض العلماء نشاطهم العلمي بالأندلس من جديد. فظهر خلال هذه الفترة العديد من الأطباء من أبرزهم الطبيب الأندلسي أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر الأيادي (ت470هـ/1078م) الذي كان متفننا في علم الطب وغيره من العلوم حتى ذاع صيته بالأندلس[1]. ولقد أنجب نسله بهذه الأرض عددا من الأطباء تألق نجمهم في علم الطب وفي مقدمتهم الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر الأيادي(ت557هـ/ 1161م) العارف بالأمراض وعلاجاتها، وله في ذلك كتاب "التيسير في المداواة والتدبير[2]. وفضلا عن الطبيب أبو مروان بن زهرالجد ظهر بالأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشرالميلادي أحدمشاهير الأطباء الصيادلةوهو أبوعبيد الله البكري في(487هـ/1094م). ولقد كان لهذا الطبيب العشاب معرفة بالأدوية المفردة ومنافعها وأسمائها ونوعيتها، حتى أنه ألف كتابا في النبات بعنوان "أعيان النبات والشجيرات الأندلسية"[3].

هكذا إذن مر علم الطب بالأندلس بخطوات تاريخية، من نقل التراث الطبي الإغريقي المترجم إلى العربية عن المشارقة والاستفادة من خبرة هؤلاء في علم الطب، إما بوفود علمائهم إلى الأندلس، أو عبور أطباء الأندلس إلى المشرق، فضلا عن الاستفادة من خبرة المغاربة أيضا في ذلك.

تمكن أطباء الأندلس بعد ذلك، وبفضل الحركة العلمية التي قادها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر من الادلاء بدلوهم في حركة الترجمة في علم الطب، فكان لذلك أثره البالغ في تطور علم الطب بالأندلس وازدهاره حتى شهدت هذه

ـــ – د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 67.

[1] – صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص ص 196– 197. – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 517.
– عبد العزيز بنعبد الله: أسرة بني زهر، مدرسة رائدة، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م، ع9، ص28.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 519–521.

[3] –ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 500.

المنطقة ظهور العديد من الأطباء الأجلاء. ومع ذلك فإن العلوم الطبية بالأندلس قد بلغت ذروتها خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي لأسباب عديدة و التي ستوضح من خلال موضوع هذا البحث.

الـــفـــصـــل الأول

مكانة الطب في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

المبحث الأول: الحركة العلمية في الأندلس

1-تطور الحياة العلمية في الأندلس

2-حركة الترجمة والطب

المبحث الثاني: اهتمام الحكام بالطب

1-المرابطون واهتمامهم بالطب

2-اهتمام الموحدين بالطب

المبحث الثالث: المجتمع الأندلسي ومكانة الطب لديه

1-المستوى المعيشي للمجتمع الأندلسي وعلاقته بالطب

2-دور المجتمع الأندلسي في تطور الطب

لم يكن الاهتمام بالحركة العلمية بالأندلس خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر/ الميلادي بعلم الطب وليد فترة موضوع الدراسة، بل يرجع إلى فترة تاريخية سابقة. فقد اهتم أمراء بني أمية منذ الوهلة الأولى من تأسيس دولتهم على يد الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/755-758م) بالحركة العلمية. ومن أجل ذلك قررت الدولة إرسال البعثات العلمية إلى المشرق لتنهل مختلف العلوم من ينابيعها من هذه المنطقة. وأصبحت هذه الظاهرة تقليدا متبعا لدى الدولة الأموية.

لم يقتصر اهتمام الدولة الأموية على الحركة العلمية، بل إنّ أمراءها وخلفاءها كانوا قادة لهذه الحركة، نذكر منهم على سبيل المثال الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (275-300هـ/888-912م) الذي عرف عنه أنّه كان كثير التلاوة للقرآن، ملما بكثير من العلوم، وأنّ مجلسه كان أعمر مجالس الملوك لطبقات أهل العلم.

ترتب على اهتمام أمراء بني أمية بالحركة العلمية وبحبهم للعلم والعلماء، أن بلغت هذه الحركة الذروة في عهد الخلافة الأموية. فقد انتدب الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) ابنه الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) لرعاية هذه الحركة، ويعود له شخصيا الفضل في ترجمة كتاب ديسقوريدوس في الطب المهدى له من طرف ملك القسطنطينية أرمانيوس(رومانوس)، وأصبحت هذه الترجمة إلى العربية المصدر الأول بعد ذلك لأطباء الأندلس.

كما يعود الفضل لابنه الحكم المستنصر في تشجيع العلماء وفي مختلف الفروع سواءً الرياضيات أو الفلك أو الطب وغيرها من العلوم،على نشر نتائج أبحاثهم حتى يفيد منها الناس. فنتج عن ذلك أن ظهرت مدرسة مسلمة بن أحمد المجريطي (ت 398هـ/1007م) في علم العدد والفلك. ومدرسة أبي القاسم خلف الزهراوي (404هـ/1013م) في الطب.

في عصر الفتنة القرطبية وملوك الطوائف، وفي الوقت الذي كانت الأندلس تموج فيه بالفوضى والاضطراب، فإنّ الحركة العلمية في هذه الفترة كانت مستمرة. فبعد سقوط خلافة بني أمية بقرطبة سنة (422هـ/1031م)، وهجرة علمائها إلى المدن الأندلسية المختلفة، وخروج الكتب العلمية المختزنة من مكتبة الخليفة الحكم المستنصر، وخروج

غيرها من كتب مكتبات مساجد قرطبة. نشطت الحركة العلمية في المدن الأندلسية الكبرى التي تأسست فيها دول الطوائف، وفضلا عن هذا، فإنّ ملوك الطوائف في هذه الفترة كانوا يتنافسون فيما بينهم في العلم والفلسفة والأدب.

تجمعت هذه الظروف كلها، فنالت الحركة العلمية في هذه الفترة نصيبها من التطور والتوسع. فظهر أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (384-456هـ/994-1064م) الأديب العالم والفيلسوف، وعبد الملك بن محمد بن زهر الطبيب (ت470هـ/1078م).

في عصر دولتي المرابطين (483-542هـ/1090-1147م) والموحدين (542-629هـ/1147-1231م)، وعلى الرغم من قيام هاتين الدولتين وعلى كاهلهما مهمة الجهاد في الأندلس والحد من حركة الاسترداد المسيحي التي أخذت في التزايد وبخاصة بعد سقوط طليطلة (478هـ/1085م). فإنّ الحركة العلمية في هذه الفترة لم تخمد بل إنّ أمراء كلا الدولتين قد اهتموا بها اهتماما كبيرا، بما في ذلك اهتمامهم بعلم الطب. من ذلك ما قام به الأمير المرابطي علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1142م) من جمع تصانيف الطبيب أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان المعروف عند الأوربيين باسم "Alguazir"(ت 525هـ/1131م). أما عبد المؤمن بن علي الكومي (541-552هـ/1116-1162م) فلقد كان فقيها عالما، مشاركا في كثير من العلوم.

شهدت الأندلس أمام الاهتمام بهذه الحركة العلمية حركة ترجمة واسعة، ساعدت هي الأخرى على ازدهار هذه العلوم، فضلا عن اهتمام حكام الأندلس بها، الأمر الذي دفع المجتمع الأندلسي إلى أن يهتم هو الآخر بعلم الطب، فأقبل الكثيرون منهم على دراسته والتخصص فيه.

وفيما يلي عرض لمكانة الطب كفرع من فروع هذه الحركة العلمية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

المبحث الأول :

الحركة العلمية في الأندلس

شهدت الأندلس على امتداد الحكم الإسلامي نهضة علمية بارزة، وكان ذلك بفضل إسهامات العبقريات الفكرية الأندلسية. ولقد حظي علم الطب بنصيب وافر من هذا التطور والنقلة العلمية البارزة مقارنة بمجموع الحركة العلمية، وبخاصة في فترة موضوع الدراسة.

وقبل أن نخص بالدراسة علم الطب وتطوره بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي يجدر بنا إعطاء فكرة موجزة عن أبرز العلوم العقلية والنقلية في الأندلس وتطورها، لأن تطور الطب لم يكن منعزلا عن تطور مجموع ميادين العلم الأخرى.

1-تطور الحياة العلمية في الأندلس:

شهدت الأندلس حركة علمية واسعة، شاملة العديد من العلوم سواء العقلية منها أو النقلية، وفيما يلي عرض لأبرز العلوم وأهمها.

1-1-العلوم العقلية:

حظيت العلوم العقلية في الأندلس باهتمام كبير، ونتج عن ذلك أن عرفت هذه العلوم تطورا كبيرا، ومن أهمها:

1- 1-1-علم العدد والفلك:

لم يكن في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي شيء واضح عن علم العدد والفلك، ولكن بعد الفتح الإسلامي لهذه المنطقة، بدأ المسلمون يهتمون بهذا الفرع من العلوم وبدأ ذلك في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حيث جلبوا ما ترجم في بغداد عن اليونانية وغيرها[1].

---

[1] - ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ، القسم 1، ص 257.

- الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني): قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م ص 83

- د. شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات الأندلس، ص ص 72-73.

وتزايد الاهتمام بهذا العلم تدريجيا، فنتج عن ذلك ظهور علماء نـــالوا شـــهرة فيـــه وساهموا مساهمة كبيرة في تطويره، نذكر منهم أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطـــي (398هـــ/ 1007م) الذي يرجع له الفضل في تأليف المؤلفات المهمة في علم العدد والفلـك منها كتاب "ثمار علم العدد" الذي اتخذ كمصدر يتداوله الطلبة الأندلسيون[1].

أمـــا في علم الفلك فقد وضع جداول جديدة على أساس التقويم الـــهجري العربـــي الإســـلامي بعد أن كان الفلكيون يعتمدون على الجداول التي وضعت على أســـاس التقويم الفـــارسي[2].

كان لهذا العالم العديد من الطلبة الذين ساهموا هم أيضا في المضي قدما بهذا الفرع من العلوم بالأندلس، نذكر منهم أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح الغرنـــاطي (369-425هـــ/979 -1033م) الذي كان بارعا في الحساب والهندسة والفلك، آلف كتاب "مدخـل إلى الهندسة" و"ثمار العدد" كما ألف كتاب "الإسطرلاب" الذي تناول فيه الطرق المتبعة في تصميم هذا الجهـــاز والفوائد من استعمـــاله[3]. وكـــذا الفـــلكي والرياضي أبو إســـحاق إبراهيم بن يحي القرطبي المعروف بالزرقالي (ت472هـــ/1079م)[4]، الذي يعد أول مـــن صمم الآلة الكونية التي عرفت بالصفيحة العبا دية، والتي أهداها للمعتمد بن عباد أمـــير إشبيلية (461-488هـــ/1039-1095م)[5]، كما طور آلة محلقة بطلميوس، إذ أضاف إليـــها

---

[1] - صاعد الأندلسي:المصدر السابق، ص 169.

[2] - المصدر نفسه، ص 169.

- ابن أبي أصيبعة المصدر السابق ، ص ص 482ـــ483.

- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،نقله إلى العربية د.السيد يعقوب بكرـــ د.رمضان عبد التواب، دار المعـــارف، القاهرة،مصر، 1975م،ج4 ،ص 325.

[3] - صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص ص 169-170.

- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص 483 .

- أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القـــاهرة، مصـــر، ط3، 1955م، ص 451.

[4] - صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 181.

- د. شوقي ضيف:المرجع السابق، ص 75.

[5] - خوان فرنيه: العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس،مقال منشور ضمن منشورات مركز دراسات الوحـــدة العربية،تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي في كتاب الحضـــارة العربيـــة الأســـلاميةفي الأندلـــس،بـــيروت، لبنـــان، ط1،1998م،ج 2،ص1328.

ست حلقات إلى حلقات بطلميوس، وتتجلى أهمية هذا الجهاز في رصد النجوم[1] وتعيين خطوط الطول والعرض بالنسبة للشمس والقمر والكواكب والنجوم[2]. كما ابتكر هذا العالم أيضا نظرية عن الكواكب السيارة، وبيّن فيها أنّ مسارات الكواكب إهليليجية لا دائرية وأنّها تدور في مساراتها الأولى[3].

وفي عصر المرابطين (493-542هـ/1090-1147م) ظهر الفلكي والرياضي الكبير جابر بن أفلح الإشبيلي (ت 540هـ/1145م) ومن أعماله الإبتكارية في الفلك تصميمه لآلة من حلقة طويلة مدرجة لرصد الكواكب[4]. وطور آلة خاصة بقياس تحديد الارتفاع الزاوي للنجوم تعرف بالمزاوة[5]. كما أبدع في الرياضيات معادلة لا تزال تدعى بنظرية جابر وتستخدم في حل المثلثات القائمة[6].

وابن سهل الضرير (489-570هـ/1096-1175م) الذي كان رياضيا نابها، الأمر الذي جعله مقصد الطلبة الأندلسيين للتتلمذ عليه في غرناطة[7].

خلفت دولة المرابطين دولة الموحدين في الأندلس (542هـ/1147م)، وتألق في عهدهم العالم الفلكي أبو إسحاق نور الدين البطروجي (ت576هـ/1180م)[8]، ومن اكتشافاته أن كواكب السيارة تتحرك في مدارات إهليليجية أو بيضاوية حول الشمس، وهي التي عرفت عند الأوربيين بنظرية البطر وجي الفلكية[9]. وتعتبر هذه الأخيرة المصدر الأساسي الذي اطلع عليها الفلكي الألماني كيبلر (1571م-1630م) وصاغ منها نظريته

---

[1] - د. علي أحمد: المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوربي وكيفية انتقالها إلى الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، سلسلة مداولات ومناظرات ، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ط1، 1995م، العدد 48، ص 225.

[2] - خوان فرنيه: المرجع السابق، ص 1326.

[3] - زيغريد هو نكه: شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربا)، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، ط8، 1993م، ص ص152-153.

[4] - خوان فرنيه: المرجع السابق، ص 1326.

[5] - د. زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية في الأندلس والمغرب والجزائر وتونس وليبيا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1996م، ج5، ص 133.

[6] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[7] - أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 456.

[8] - د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 521.

[9] - خوان فرنيه: المرجع السابق، ص 1322

- د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص ص 75-76.

الفلكية التي استخرج منها العالم الفيزيائي والفلكي إسحاق نيوتن (ت1727م) قانون الجاذبية، وبذلك يعد البطر وجي الأب الحقيقي لعلم الفلك الحديث[1].

اهتم الموحدون هم أيضا بهذا الفرع من العلوم، إذ أن الخليفة يعقوب بن منصور الموحدي (580-595هـ/1184-1198م) بنى سنة 592هـ/1195م في المسجد الجامع بإشبيلية برجا جامعا ليكون مرصدا للفلكيين في الأندلس[2].

1-1-2- علم الكيمياء:

نال علم الكيمياء إلى جانب علم العدد والفلك حظه من الاهتمام والتطور بالأندلس على يد بعض العلماء، ومن أوائل المشتغلين به أبو القاسم عباس بن فرناس (ت274هـ/887م)[3]. ولقد دفعت به اهتماماته وتجاربه في الكيمياء إلى استنباط الزجاج من الحجارة في الأندلس، وبهذا النجاح الذي حققه هذا الكيميائي الأندلسي ظهرت بهذه المنطقة صناعة الزجاج من الحجارة[4]. ويؤكد ذلك قول ابن سعيد الأندلسي: "...هو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة ... وكان كثير الاختراع واسع الحيل حتى نسب إليه السحر وعمل الكيمياء."[5]

كما يعد أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي شيخ الأندلس في علم الكيمياء أو إقليدس الأندلس[6]، وقد ألف كتابا في علم الكيمياء سماه "رتبة الحكيم" وصف فيه تجاربه

---

[1] – د. شوقي ضيف :المرجع السابق ، ص 76 .

– أنخل جنثالت بالنثيا: المرجع السابق، ص ص456، 535.

[2] – يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة ا/ عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م، ج2، ص 259.

[3] – أبو القاسم عباس بن فرناس: عالم كيميائي من أهل قرطبة ومن موالي بني أمية بالأندلس، اشتهر إلى جانب علم الكيمياء بعلمه في الفلسفة والفلك وقرض الشعر، ولقد نسبت إليه بعض الاختراعات كصناعته لآلة الميقاتة (الساعة) لتحديد الأوقات. بنى في بيته قبة من زجاج ومثل فيها النجوم والبرق والرعد. توفي هذا العالم عام (274هـ/887م) إثر محاولته للطيران.

– الحميدي: المصدر السابق ، ص 318.

– ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 333.

[4] – المقري: نفح الطيب، ج3، ص 365.

[5] –ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق،ج 1،ص 333.

[6] – د. إدريس الخرشاف: عطاءات علماء الإسلام بالأندلس في مجال البحث العلمي،مجلة الحضارة الأندلسية في الزمان والمكان، مطبعة فضالة، المغرب، 1993م، ص 229.

في الكيمياء وما توصل إليه من مبدأ حفظ المادة وأكسدة الزئبق[1]، ويصف العلامة المؤرخ ابن خلدون براعة أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي في علم الكيمياء بقوله : "...هو مدونة هذه الصناعة وفيه استفاؤها وكمال مسائلها"[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن علم الكيمياء قد ساهم في تطور العقاقير وتركيب الأدوية وتنقية المعادن وتركيب الروائح العطرية[3].

وفي نظر الباحث فإنّ هذا يدفعنا إلى القول بأنّ علم الكيمياء قد نال تطورا كبيرا جنبا إلى جنب مع تطور الطب والصيدلة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

1-1-3- علم الفلسفة:

لم يكن للأندلسيين في العصر الأموي حظ كبير في علم الفلسفة[4]، حيث كانت هذه الأخيرة موضع اضطهاد ونفور لإباحتها التفكير في الوجود والعدم، وكان كل من يهتم بهذا العلم يتهم بالزندقة، وبناءً على ذلك لم تنل الفلسفة حظها من الاهتمام والتطور كالذي نالته العلوم الأخرى بالأندلس[5]، ومع ذلك فإنّ هذا لا يعني أن الأندلس لم تعرف هذا العلم، ومن الذين برعوا فيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مسرة القرطبي (269-319هـ/883-931م) أول فيلسوف أنجبته أرض الأندلس، وقد توصل في آرائه الفلسفية

---

[1] ـ كارل بروكلمان : المرجع السابق ،ج4 ،ص 323 .

- د. جورج وهبه العفى: الصيدلة علم وفن وإنسانية، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1966م، ص 101.

[2] - ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) المقدمة ، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج2، ص 627.

[3] - قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب، مكتبة مصر، 1956، ص 27.

[4] - علم الفلسفة : يقصد به القوانين التي يعرف بها الصحيح من الخطأ في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات. وتعتبر الفلسفة من العلوم العقلية.

أما علم الكلام فيقصد به البحث في أمور العقيدة الإسلامية كتوحيد الله والكلام في ذاته وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى. ثم الكلام في الأنبياء والرسل. وقد يتطرق هذا العلم للمسائل الغيبية كالبعث والجنة والنار إلى آخره، معرضا هذه المسائل على مقاييس العقل في إطار جدلي كلامي منطقي ويعد هذا العلم أساس الفلسفة الإسلامية وهو من العلوم النقلية

- ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص ص 557-567.

- د.حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي(العصر العباسي الثاني)، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1982م، ج4، ص 457.

[5] - المقري: نفح الطيب، ج1، ص 205.

- د. سيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 217.

إلى وجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات ما عدى الذات الإلهية[1]. وقد اتهم هذا الفيلسوف بالزندقة، الأمر الذي دفع به إلى إخفاء آراءه الفلسفية والتظاهر بالورع، فنتج عن ذلك أن سمع عنه الناس وتبنوا أفكاره[2]، وعلى الرغم من ذلك تعرضت كتبه للحرق من طرف الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)[3]. وفي عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر المعا فري (366-399هـ/976-1008م) زادت الحملة ضد أنصار هذا الفيلسوف، ويرجع السبب في ذلك في محاولة الحاجب دعم سلطانه الذي حظي به لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وتظاهرا منه للرعية بالورع والتدين حتى يزيد من سلطانه[4].

عرف علم الفلسفة في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) وعلى خلاف فترة عبد الرحمن الناصر نوعا من التسامح بسبب الحركة الفكرية التي سمح بها هذا الخليفة، فأنجبت الأندلس في فترة حكمه مجموعة من الفلاسفة الذين كانوا إلى جانب كونهم فلاسفة عارفين بالعلوم الأخرى[5]، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الفيلسوف الطبيب محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني (ت420هـ/1029م)[6]، وكذا إسماعيل بن عبد الله الرعيني (339-432هـ/950-1040م) الذي كان عارفا بالتاريخ إلى جانب كونه فيلسوفا[7].

بعد فترة حكم الخليفة الحكم المستنصر وبخاصة بعد سقوط خلافة بني أمية بالأندلس، طرأ على علم الفلسفة نوع من الاهتمام على خلاف ما كان عليه في عهد بني أمية. ففي عصر ملوك الطوائف (422-478هـ/1031-1085م) أقبل الأندلسيون على

---

[1] – أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص ص 326-327.
– كارل بروكلمان : المرجع السابق ،ج4،ص ص 153_154.
– د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص ص 82-83.
[2] – ابن الفرضي: المصدر السابق، القسم 2، ص 39.
[3] – د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 217.
[4] – المقري: نفح الطيب، ج1، ص 205. أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 65.
[5] – د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 218.
[6] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 491-492.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 49.
[7] – صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 174.

الفلسفة وأسهموا في إثرائها بآرائهم في مؤلفات عدة من بينهم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (384-456هـ/994-1064م) الذي عني بهذا العلم وألف كتابا بعنوان "التقريب لحدود المنطق"، نقد فيه هذا الفيلسوف آراء أرسطو[1]. والفيلسوف عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي (444-521هـ/1053-1127م) الذي ذهبت به اجتهاداته الفلسفية إلى طرح أول محاولة توفيقية بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني[2]، وهذا في مؤلفه "المسائل". كما اعتبر هذا الفيلسوف أن السعادة البشرية لا تتحقق إلا عن طريق العقل والمكتسب[3].

وفي عصر المرابطين، وعلى الرغم مما قيل في أن هذا العصر هو عصر الفقهاء المحافظين، إلا أنّ هذه الفترة عرفت ظهور عدد من الفلاسفة منهم، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (460-529هـ/1067-1034م) الذي عرض عصارة فكره الفلسفي في كتابه "تقويم الذهن"[4]. كما أسهم أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ الداني المعروف بابن باجة (462-533هـ/1070-1138م) في إثراء الفكر الفلسفي بنظريته الشهيرة المبنية على الشك[5]، وفكرة اتحاد العقل الفعال بالإنسان[6]. ولقد وصفه ابن أبى أصيبعة بقوله: "...إذا قارنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا بان لك الرجحان في أقاويله"[7]. ومن مصنفاته الفلسفية "رسالة الوداع" و"رسالة اتصال العقل بالإنسان" و"تدبير المتوحد"[8].

---

[1] - صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 182.

[2] - للمزيد من المعلومات حول علاقة الشريعة الإسلامية بالفكر اليوناني ارجع :
- ابن رشد (أبو الوليد): تلخيص السياسة لأفلاطون (محاورة الجمهورية) تحقيق، د/ حسن مجيد العبيد وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ط1، فبراير 1998م.
- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 334 وما بعدها.
- ميغيل كروز هيرناندس: الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبرية (دراسة شاملة)، مقال نشر ضمن منشورات مركز دراسات الوحدة العربية،تحرير د/ سلمى الخضراء الجيوسي،في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج2، ص 1099 وما بعدها.

[3] - أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 335. ميغل كروز هيرناندس: المرجع السابق، ص 1100.

[4] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 100.

[5] - د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني(510-546هـ/1116-1151م) تاريخ سياسي وحضارة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م، ص 411.

[6] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 516.

[7] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، الصفحة 516.

[8] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

في عصر الموحدين نالت الفلسفة حظا أوفر، وعلى الأخص في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1184م) الذي كان هو نفسه محبا للفلسفة مقبلا عليها جامعا لكثير من مؤلفاتها[1]، ولشدة حبه للفلسفة واهتمامه بها فإنه قرب إليه عددا من الفلاسفة من بينهم، أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي (506-581هـ/1110-1185م) الفيلسوف والطبيب القرطبي الذي برع في العديد من العلوم واشتهر بالفلسفة[2]، وله في ذلك عدة مؤلفات أشهرها كتاب "حي بن يقظان" الذي حاول من خلاله ابن طفيل التأكيد على العلاقة التوافقية بين الفلسفة والدين، وأن الفلسفة تخاطب الحكماء في حين الدين يخاطب العامة. ويعبر عن ذلك بقوله: "...إن الحكمة خاصة بالحكماء في حين يجب على العامة ملازمة ما هم عليه من التزام حدود الشرع والأعمال الظاهرة وقلة الخوض فيما لا يعنيهم..."[3]. كما ألف ابن طفيل كتاب "أسرار الحكمة المشرقية" والذي أفرد فيه قسما هاما لتاريخ الفلسفة في الإسلام، ممتدحا بعض ممن سبقوه من الفلاسفة المسلمين كالشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا (375-428هـ/985-1036م)[4].

والفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد (520-595هـ/1126-1198م) العلامة الأندلسي الكبير، برع هو أيضا في العديد من العلوم[5] منها الفلسفة وله فيها عدة مؤلفات كمؤلفه "الجوامع" وفيه قام هذا الفيلسوف بوضع شرح مبسط ومفصل لمؤلفات أرسطو

---

[1] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 315.

- أبو عبد الله الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز):سير أعلام النبلاء، تحقيق د/ شعيب الأرناؤوط- د/ محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ/1992م، ج21، ص ص 99-100.

- د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 218.

[2] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 311-312.

- د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص ص 456-458.

[3] - أبو بكر بن طفيل(محمد بن عبد الملك بن محمدالقيسي): حي بن يقظان، قدم له وعلق عليه د/ ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط2، 1968، ص ص 96 -97.

[4] - أبو بكر بن طفيل : المصدر السابق ، ص ص 16، 22 ، 24 ـ25 ؛ انخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 348.

[5] - ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1973، السفر6، ص 22.

- د. رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق، ص 68.

وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي : ".. رأيت تلخيص كتب أرسطو في كتاب مبسوط في أربعة أجزاء"[1]، كما دافع عن الفلسفة وأراء أر سطو في كتابه "تهافت التهافت"[2].

يعتبر أبو الوليد بن رشد من دعاة التوفيق بين الدين والفلسفة أو الشريعة والعقل، ولقد عبر عن ذلك بقوله: "الحكمة صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة وهما مصطحبتان بالطبع متحابتان بالجوهر والغريزة"[3]، ولقد شرح أبو الوليد بن رشد نظريته هذه في مؤلفه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"[4].

كان لمذهب أبي الوليد ابن رشد تأثير كبير في تاريخ الفكر الفلسفي إذ لم يقتصر تأثيره على المسلمين فحسب، بل أثر في الأوربيين أيضا، حتى إنّ بعضهم نادى بحرية الفكر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة التي نادى بها ابن رشد[5].

1-2- العلوم النقلية:

فضلا عن العلوم العقلية السالفة الذكر، فقد نالت العلوم النقلية هي الأخرى حظها من الاهتمام والتطور في الأندلس، ومن أبرزها:

1-2-ا-علوم اللغة والنحو:

لقد كان من الطبيعي بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، أن يهتم المسلمون بهذه المنطقة بنشر اللغة العربية وقواعدها لما لها صلة قوية ومباشرة بالدين الإسلامي، حيث تولى تعليم اللغة العربية وقواعدها بالأندلس عدد من المؤدبين الذين كانوا يرحلون إلى المشرق للقاء أئمة اللغة والأخذ عنهم، ومن بين المؤدبين اللغويين عثمان بن المثنى القيسي (ت 273هـ/886م) الذي درس ديوان أبي تمام بقرطبة[6]، كما أدى اللغوي الكبير

---

[1] - عبد الواحد المراكشي :المعجب، ص ص 315-316.

[2] - أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 357.
- ميغيل كروز هيرناندیس: المرجع السابق، ص 1112.

[3] - ابن رشد : تلخيص السياسة، ص 168.
- د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 87.

[4] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 6، ص 23.
- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 360-361.
- ميغيل كروز هيرناندیس: المرجع السابق، ص ص 1110-1112.

[5] - د. أحمد علي: المرجع السابق، ص 226.

[6] - ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص ص 68-69.

أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت 356هـ/966م) هو الآخر دورا كبيرا في تعليم اللغة العربية وانتشارها بالأندلس حتى كان عبوره إليها يمثل نهضة كبيرة في الدراسات اللغوية والأدبية بهذه المنطقة [1].

قام هذا الأديب بتدوين علوم اللغة والنحو بقرطبة، فدفع بذلك الأندلس إلى حركة لغوية خصبة، تمخض عنها ظهور العديد من اللغويين البارزين، من بينهم ابن القوطية محمد بن عمر (ت 367هـ-977م) صاحب كتاب "الأفعال وتصاريفها" وكذا كتاب "المقصور والممدود"[2]. واللغوي محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/989م) الذي قال عنه ابن خلكان: "... كان واحد عصره في حفظ اللغة وعلم النحو وأخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر"[3]، ولقد ذهب إلى نفس القول كل من ابن سعيد الأندلسي[4] وأبي عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي[5].

في عصر ملوك الطوائف ظهر عدد من اللغويين والنحويين أسهموا بدورهم في تطور اللغة العربية بالأندلس، من بينهم ابن إفليلي إبراهيم بن محمد (ت441هـ/1049م) صاحب كتاب "شرح ديوان المتنبي"[6]. وابن سيده علي بن إسماعيل الضرير (ت458هـ/1065م) الذي يعد أعظم اللغوين الأندلسيين، إذ وصفه ابن سعيد الأندلسي بقوله: "...لا يعلم بالأندلس أشد اعتناءً من هذا الرجل ولا أعظم تواليف"[7].

شجع المرابطون ومن بعدهم الموحدون علم اللغة والنحو، فترتب على ذلك أن برز في عهدهم عدد من علماء هذا الفرع من العلوم، من بينهم محمد ابن أحمد بن ظاهر

---

[1] - الحميدي: المصدر السابق، ص ص 164-166.
- د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 164.

[2] - الحميدي: المصدر السابق، ص 165.

[3] -ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1968،ج4، ص 372.

[4] -ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص ص 184-185.

[5] -الحميدي: جذوة المقتبس، ص ص 46-49.

[6] - ابن بسام:المصدر السابق، القسم1، م1، ص ص 281-288.
- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 93.

[7] -ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق،ج2، ص 211.

الأنصاري رئيس النحويين وصاحب كتاب "الطرر"[1]، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام الإشبيلي (ت 577هـ/1181م) مؤلف كتاب " تقويم اللسان" وكتاب "الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل" إلى غير ذلك من مؤلفاته القيمة [2]. فضلا عن أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله المعروف بالتدميري (ت 555هـ/1160م) الذي وضع العديد من المؤلفات أشهرها "التوطئة في العربية"[3].

1-2-2- علم التفسير:

لقد أسهم الأندلسيون جنبا إلى جنب مع المشارقة في تأليف كتبا في تفسير "القرآن الكريم". ومن أقدم التفاسير الأندلسية، ما ألفه العالم بقي بن مخلد (ت 276هـ/889م) وهو "تفسير القرآن"[4] والذي جعله "ابن حزم الأندلسي" أهم من تفسير محمد بن جرير الطبري[5].

وفيما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين وضع مكي بن أبي طالب (ت437هـ/1045م) تفسيرا ضخما وهو "الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه"[6]. ومن أهم التفاسير أيضا "الوجيز" لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية قاضي مدينة المرية بشرق الأندلس (ت 542هـ/1147م)، والذي يعتبره ابن خلدون من التفاسير المأثورة في المغرب والأندلس[7].

1-2-3- علم الحديث:

وإلى جانب علم التفسير برع الأندلسيون أيضا في علم الحديث، ومن بين محدثي الأندلس القاضي معاوية بن صالح (ت 172هـ/788م)[8]، والمحدث بقي بن مخلد الذي يقول فيه المقري: "ما أعلم أحد أسبق بقي بن مخلد إلى مثل ذلك مع تقته وضبطه وإتقانه

---

[1] - ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص 37.

- د. عصمت عبد اللطيف دندش:الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، ص 429.

[2] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص ص 70-75. ابن الأبار:التكملة، ج2، ص 51.

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص 60.

- د. عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 429.

[4] - ابن الفرضي: المصدر السابق،القسم 1، ص ص 91-93. الحميدي: المصدر السابق، ص ص 177-179.

[5] - د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 106.

[6] - ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 274.

[7] - ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص 533.

[8] - الحميدي: المصدر السابق، ص ص 339-341.

واحتفاله وجودة شيوخه فإنّه روى أحاديثه في مصنفه عن مائتي رجل وأربعة وثمانين ليس فيهم عشرة ضعاف وسائر أعلام مشاهير."[1]. وكذا محمد بن وضاح (ت 287هـ/900م) الذي عمل على نشر الحديث، ، إذ يقول فيه ابن حيان: "فاستوسع أهل الأندلس في الحديث من يومئذ وصارت دار حديث"[2].

من محدثي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ثابت بن عبد العزيز السرقسطي (ت 313هـ/925م) وابنه قاسم (ت303هـ/915م) اللذان ساهما في تدريس الحديث بقرطبة وتأليف كتاب غريب الحديث[3].

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ظهر أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس القرطبي (ت 402هـ/ 1011م) الذي اشتهر بحفظه للحديث ومعرفته لأسماء الرواة المعتدلين منهم والمجرحين[4]، فضلا عن المحدث الكبير أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي الحميدي (ت 488هـ/1095م) مؤلف "كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم"[5].

ومما لا شك فيه أن قيام كل من دولة المرابطين والموحدين على أساس ديني كان له دور في تطور علم الحديث بالأندلس، ومن بين رواة الحديث في هذه الفترة رزين السرقسطي (ت 524هـ/1129م) صاحب كتاب "التجريد في الجمع بين الموطأ والصحاح الخمس" ، ولقد لقي هذا المصنف شهرة كبيرة في المغرب والمشرق واعتمد عليه أبو الحسن علي بن أبي بكر الكرم محمد بن الأثير (ت 630هـ/1232م) في كتابه "جامع الأصول"[6]. كما ظهر العالم عبد الله بن علي الرشاطي (ت 540هـ/ 1145م) مؤلف كتاب

---

[1] – المقري : نفح الطيب، ج3، ص 183.

[2] – ابن حيان: (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي) المقتبس، قطعة من عصر عبد الرحمن الأوسط، والأمير محمد حققه د. محمود علي مكي، القاهرة، 1395، 1971، ص 264.

[3] – الحميدي: المصدر السابق، ص 185.

[4] – ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص ص 307، 312.

– الذهبي: المصدر السابق، ج17، ص ص 210–212.

[5] – السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل): طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1403هـ/ 1982م، ج1، ص 447.

[6] – ابن بشكوال: المصدر السابق، ص ص 186–187.

– د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص ص 110–111.

"أنساب رواة الحديث"[1]، فضلا عن المحدث إبراهيم بن يوسف بن قرقول (ت569هـ/1173م) صاحب كتاب "مطالع الأنوار"[2].

1-2-4- الفقه:

لقد كان للأندلس نشاط خصب في الفقه ودراساته، وكان المذهب المعتمد في السنوات الأولى للفتح الإسلامي مذهب الإمام الأوزاعي فقيه الشام المشهور (ت 157هـ/773م)، إذ كان أكثر العرب الفاتحين للأندلس القادمين إليها من الشام يحملون معهم فقه هذا الإمام[3].

وفي عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/755-788م) وابنه هشام (172-180هـ/788-796م) أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرسمي في الأندلس[4]. ومن أقدم الفقهاء المالكيين الذين عملوا على نشر المذهب المالكي بهذه المنطقة الغازي بن قيس أبي محمد القرطبي[5] والعالم عيسى ابن الدينار (ت 212هـ/827م) الذي لم يعرف في الأندلس أفقه منه[6]. والفقيه ابن عتيبة محمد بن أحمد (ت255هـ/868م) صاحب كتاب "المستخرجة" الذي ذاعت شهرته في المغرب والأندلس[7].

---

[1] - ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 297.
- ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص ص 106-107.

[2] - ابن الأبار: التكملة، ج1، ص ص 130-131.
- ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 62.
- عبد الحق بن أحمد العكري الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت [د.ت]، ج3، ص 329.

[3] - ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 114.
- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 417.

[4] - شجع كل من الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل وابنه هشام الطلاب الأندلسيين للرحلة إلى دار الهجرة للأخذ عن مالك بن انس (ت 179هـ/795م)، خاصة لما أصبح هذا الأخير من المعارضين للعباسيين أعداء الأمويين، بعدما أفتى بعدم شرعية الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136هـ/754م)، ومبايعة "النفس الزكية" "محمد بن عبد الله" سليل الحسن بن علي بن أبي طالب (ت 158هـ/775م)
- ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 137.
- د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 112.

[5] - ابن القوطية : المصدر السابق، ص 645.

[6] - ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق د. محمود علي مكي، ص ص 78-99.

[7] - ابن الفرضي: المصدر السابق، القسم 2، ص ص 6-7.
- الحميدي: المصدر السابق، ص 39.

ومن فقهاء المالكية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ابن أبـــي زمنيـن (ت 399هـ/1008م) صاحب كتاب "الشروط والشرح الكبير على الموطأ"[1].

أما في عصر ملوك الطوائف فقد برز عدد من الفقهاء المالكيين من بينـهم يوسـف النمري ابن عبد البر (ت 463هـ /1070م) مؤلف كتـاب "الاسـتذكار لمذاهـب علمـاء الأمصار فيما تضمن الموطأ من معاني الرأي والآثار" شرح فيه ابن عبد الـبر الموطـأ شرحا مبسطا[2]. كما احتضن القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الفقيـه أبـا الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ/1081م)، وله عدة تصـانيف منـها "كتـاب الإستيفاء شرح موطأ"[3].

وفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ظهر عدد آخر من أعلام الفقـه المالكي، وعلى رأسهم الفقيه القاضي أبو الوليد بن رشـد الجـد (ت 520هـ/1126م) صاحب "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليم"[4]، بسط فيه "ابن رشـد الجد " الأحكام الفقهية لمذهب مالك، كما ألف كتابا آخر بعنوان "المقدمات لأوائـل كتـاب المدونة"[5]. كما احتضن القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عالما جليلا في الفقه المالكي وهو أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله (ت 543هـ/1148م) صـاحب كتـاب "القبس في شرح موطأ مالك" وأيضا كتاب "ترتيب المسالك"[6]. ويختـم القـرن السـادس الهجري /الثاني عشر الميلادي بـأبي الوليد بن رشد الحفيد صاحب كتاب "بداية المجتـهد ونهاية المقتصد" والذي يعرفه ابن الأبار بقوله: "ذكر فيه أسباب الخلاف وعلـل ووجـه فأفاد وأمتع به، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقا"[7].

---

[1] – د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 115.

[2] – الحميدي: المصدر السابق، ص ص 367–369. ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج2، ص 407.

[3] – المصدر نفسه، ج1، ص ص327–328.

[4] – ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله): الأنيس المطرب لروض القرطاس في أخبار ملوك المغـرب وتـاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص 164.

[5] – ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص ص 576–577.

[6] – المصدر نفسه، ص ص590–591. ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 183.

– المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيـق د. مصطفـى السقا، القاهرة، ج3، ص ص 86،95.

[7] – ابن الأبار :التكمـلة، ج2، ص 74. ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق،ج1، ص 63.

هكذا إذن وبناءً على ما تقدم يتبيّن لنا أن العلوم بالأندلس سواءً العقلية منها أو النقلية قد نالت اهتماما وحظا كبيرين، فنتج عن ذلك التطور التدريجي لها.

ومما لا شك فيه أن علم الطب قد نال هو الآخر اهتماما وحظا كبيرين، فلا يعقل أن يكون الاهتمام بالعلوم السالفة الذكر دون الاهتمام بالطب، وذلك ما سوف يوضح فيما يلي.

2- حركة الترجمة والطب:

لم يكن الاهتمام بالحركة العلمية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وليد هذه الحقبة التاريخية، بل إنّ له جذورًا تاريخية سابقة لفترة موضوع الدراسة. فقد اهتم الأندلسيون من قبل كما سلف الذكر بكثير من العلوم سواء العقلية منها أو النقلية بما في ذلك علم الطب.

لقد كان لهذا الفرع من العلوم مكانة متميزة، ولقد صاحب الاهتمام به وبغيره من العلوم جملة، حركة ترجمة واسعة حظيت هي الأخرى باهتمام كبير وبخاصة من قبل خلفاء بني أمية، مما جعل الأندلسيين يسهمون فيها وبخاصة في علم الطب، بعدما كان اعتمادهم بذلك على المشارقة. وفيما يلي عرض لحركة الترجمة في علم الطب بالأندلس وإقبال العلماء على هذا الفرع من العلوم وتطويره.

لقد تميز القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بالمشرق الإسلامي بحركة ترجمة واسعة للمؤلفات الطبية اليونانية إلى العربية، ولا سيما كتب أبيقراط وجالينوس وديسقوريدوس[1]. وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بدأ الأطباء الأندلسيون

---

[1] - في عهد الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) تأسس بيت الحكمة أو ما يعرف بالمكتبة الملكية، التي احتضنت حركة ترجمة كبرى من اليونانية والفارسية إلى العربية، والذي بفضله تم الوصول والاطلاع على الرصيد العلمي للقدامى. ولقد أصبحت هذه المكتبة بعد ذلك مقرا للعلوم الطبية، وبها عملت عدة شخصيات بارزة كالكندي (ت 256هـ/270م) كبير الفلاسفة في الطب العربي، وأبو زيد حنين بن إسحاق العبادي (ت260هـ/873م) أكبر المترجمين للإرث اليوناني، وله الفضل في ترجمة مؤلفات جالينوس إلى العربية.
- ابن جلجل: (أبو داود سليمان بن حسن الأندلسي): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص 112.
- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص ص 15-16.
- د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: تطور الطب في الأندلس، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 27، تونس، سبتمبر 1994، ص ص 182.-184.
- د. عامر النجار :المرجع السابق، ص ص 64-71.

يساهمون هم أيضا في ترجمة أمهات الكتب الطبية الشهيرة، وبخاصة مع اهتمام بعض الخلفاء الأمويين بذلك. فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كان له الفضل في تكوين هيئة علمية من الأطباء الصيادلة واللغويين العارفين بأشخاص الأعشاب، عملت على ترجمة كتاب "الحشائش" لـ ديسقوريدوس[1]، والذي بعث به ملك القسطنطينية رومانوس ضمن هدية أهداها للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة 337هـ/948م. وكانت الهيئة تتألف من الراهب نيقولا العارف باللغة الإغريقية واللاتينية، والطبيب حسداي بن إسحاق بن شبروط ومحمد الشجار وأبو عثمان الجزار الملقب بـ "اليابسة" ومحمد بن سعيد الطبيب وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم وأبو عبد الله الصقلي[2].عملت هذه المجموعة من الأطباء على ترجمة الكتاب السالف الذكر إلى اللغة العربية معتمدة الطريقة العلمية الميدانية، وذلك بالوقوف على أنواع النباتات ومعاينتها، والتأكد في النهاية من صحة النقل من اليونانية إلى العربية.

ولقد عرفت هذه الترجمة بعد ذلك رواجا كبيرا في الأندلس حتى أصبح يعتمد عليها في الطب والتداوي[3] بدلا من الترجمة التي تمت في بغداد في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[4]، كما ساعدت على تطور علم الطب بالأندلس والبحث فيه، حتى أصبح نشاط الأطباء لا يقتصر على حركة الترجمة فحسب، بل توسعت آفاقهم إلى تصحيح ما وقع فيه سابقوهم من الأطباء من أخطاء، وتطويرهم للنظريات الطبية والإتيان

---

[1] – أورد صاحب هذا الكتاب كل ما جاء في مؤلفات سابقيه في الطب، ويعد الكتاب مرجعا من المراجع الأساسية على ممر الأجيال للمفردات الطبية، إذ ظل نبراسا للأطباء الصيادلة طيلة ستة عشرة قرونا متتالية، ولقد ولد مؤلفه الطبيب العشب اليوناني ديسقوريدوس في القرن الأول بعد الميلاد.

– ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 21–23.

– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 494.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 292 وما بعدها.

– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص 127.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 494.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. P 461.

[3] – د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 251.

[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 494.

– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص 15–17.

بالجديد في علم الطب، من ذلك ما قام به الطبيب الأندلسي سليمان بن حسان ابن جلجل (ت 384هـ/994م) حيث ألف مقالة في الأدوية لم يسبق لديسقوريدوس ذكرها مما يستعمل في صناعة الطب[1]، كما ألف مقالة أخرى حول ما وقع فيه بعض الأطباء من أخطاء[2]. كما قام أبو الوليد بن رشد الحفيد (ت 595هـ/1198م) أيضا بتوجيه النقد لمؤلفات جالينوس الطبية في التشريح، مع إبداء آراء مصححة لما جاء به الطب الإغريقي[3].

كان لترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدوس دور كبير وفعال في إظهار موجة من الحماس والتنافس بين أطباء الأندلس، فاقبلوا على دراسة الطب والنباتات الطبية، فاستلزم ذلك معرفة النباتات وجزئياتها وخاصياتها، وبالتالي عمل علماء الأندلس على التجول في السهول والجبال لمعاينة أنواع النباتات[4]، نذكر منهم أبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري (405-487هـ/1014-1094م)[5]، وأبي عبيد الله الشريف الإدريسي (ت560هـ/ 1164م)[6]. وقد ساعد على ذلك طبيعة الأندلس ووفرة نباتها وتنوع أشجارها[7].

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 493، 495.
يذكر الأستاذ محمد العربي الخطابي أنه لم يبقى من هذه المقالة سوى قطعة محفوظة بالمكتبة الوطنية بمدريد.أنظر كتاب الأغذية والأدوية، ص ص 117-118.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 495.
– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 237.

[3] – ابن رشد:"كتاب الكليات"، نشر ضمن كتاب "الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية" دراسة وتراجم ونصوص، محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1، ص 381 وما بعدها.

[4] – أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري: جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق د/ عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1968، ص 29.
– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية، ص 16،
– محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء، ج1، ص 19.

[5] – **أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري:** طبيب وعشاب أندلسي كانت له معرفة واسعة بعلم النبات وباللغة العربية، كما كان عارفا بالجغرافيا، وله كتاب "أعيان النبات والشجيرات الأندلسية".
– ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص ص 287-288.
– ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 500.

[6] – أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي الحسني: فلكي جغرافي ومؤرخ وعالم بالنبات والصيدلة، ولد في مدينة سبتة ودرس في قرطبة، ولقد اهتم بجغرافية العالم مؤلفا في ذلك كتابه الشهير "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" كما له كتاب "الجامع لشتات أصناف النبات".
– ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص 501.
– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص ص 485-487.

[7] – د. أحمد مختار العبادي: الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، ص ص 109-119.

تمكن بعض أطباء الأندلس بعد هذه المجهودات من اكتشاف نباتات دوائية جديدة وساهموا في الوقت نفسه على مواصلة حركة الترجمة، من ذلك ما قام به الطبيب الأندلسي أبو جعفر أحمد الغافقي (ت 560هـ /1164م)[1]، حيث تمكن هذا الطبيب العشاب من ترجمة خمسة وستين وستمائة اسما لنباتات طبية إلى اللغة العربية بعدما كانت تعرف بأسمائها الإغريقية والمذكورة في كتاب الحشائش لديسقوريدوس[2]، كما اكتشف إحدى عشرة نبات دوائي جديد[3]. وإن دل هذا على شيء إنّما يدل على أن لهذا الطبيب العشاب فضل في محاولة إتمام جهود وأعمال الهيئة الطبية التي كلفت بترجمة كتاب ديسقوريدوس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كما يؤكد أيضا على تواصل حركة الترجمة في علم الطب بالأندلس.

وللطبيب الأندلسي العشاب أبو العباس أحمد بن محمد بن الرومية (ت637هـ /1239م)[4] أيضا دور في محاولة "شرح أدوية ديسقوريدوس وجالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها"[5]. كما عمل الطبيب النباتي أبو محمد عبد الله بن محمد بن البيطار المالقي (ت 646هـ/1248م) بدوره على شرح وترجمة ما هو غامض في كتاب ديسقوريدوس، ولقد قام ابن البيطار في ذلك بعد وقوفه على أعيان النباتات التي ذكرها ديسقوريدوس في مواضعها وتحقق من أسماءها العربية في البلاد العربية نفسها، وللغرض نفسه لم يتوارى هذا الطبيب العشاب في إجراء رحلة علمية طويلة زار فيها بلاد اليونان وآسيا الصغرى وبلاد فارس فضلا عن زيارته لكافة البلاد العربية، ومما ينوه إليه أن هذا الطبيب قام في نهاية المطاف بكتابة مؤلفه "تفسير كتاب ديسقوريدوس"، ويعد

---

[1] – ستأتي دراسة مفصلة عنه في الفصل الرابع.

[2] – د/ إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 280.

[3] – ابن البيطار(ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن احمد الأندلسي المالقي): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ /1992م، م1، ص ص 8،24، 53، 79، 117، 121، 131، 153؛ م2، ص ص 497، 499، 518.

– د/ إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 280.

[4] – ستأتي دراسة مفصلة عنه في الفصل الرابع.

[5] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، ص 513.

– ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد السليماني ابن الخطيب): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1974، م1، ص 212.

هذا من أهم الأعمال التي قام بها أطباء وعشابي فترة موضوع الدراسة لكون صاحبه آخر الشارحين، وذلك يعني استفادته من أعمال سابقيه الذين قاموا بمراجعة وشرح كتاب الحشائش لديسقوريدوس[1]، وفي ذلك يقول ضياء الدين ابن البيطار المالقي : "لمّا وقفت من كتاب ديسقوريدوس على ما تقصر عنه همم جماعة من المتشوفين ورأيت استعجال أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المتعلمين... عزمت بعون الله تعالى على تقريب المرام في ترجمته وتسهيل المطلب في تفسير أسماء أدويته لأكشف عن وجه مقاصده قناع عجمته"[2]. ولقد استطاع هذا العشاب الأندلسي أن يترجم العديد من المصطلحات اليونانية فعربها بالأسماء العربية والتي كانت مجهولة في الترجمة التي تمت في بغداد لكتاب الحشائش لديسقوريدوس[3]، مؤكدا بذلك في نظر الباحث غنى اللغة العربية وقدرتها لأن تكون لغة علم.

إن مجهودات هؤلاء الأطباء الصيادلة الأندلسيين في محاولة تتممة حركة الترجمة لكناب الحشائش لديسقوريدوس، والتي بدأت في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في نظر الباحث، كان لها دور في تطور علم الطب والصيدلة في الأندلس، حيث بلغ بفضل ذلك هذا الفرع من العلوم أوّج ازدهاره خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حتى عرفت هذه الفترة بالأندلس بـ "العصر الذهبي للصيدلة"[4].

هكذا إذن كان لعلم الطب في الأندلس أهمية كبيرة، إذ لا يعقل أن يكون لسائر العلوم الأخرى هذا الاهتمام ولا يكون للطب، مع ما له من أهمية في المجتمع للراعي والرعية. ولعل ما يثبت هذه الحقيقة، هو اهتمام الحكام المرابطين والموحدين بالطب من جهة واهتمام المجتمع الأندلسي بمختلف فئاته وشرائحه بهذا المجال الحيوي من العلم من جهة أخرى.

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 601-602.

[2] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص270.

[3] – المرجع نفسه، ص ص 270-271.

[4] – د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 193.

إنّ الاهتمام الذي أبداه الحاكم والمحكوم على السواء للطب، هو الـــذي أدّى إلـــى احتلال هذا العلم مكانة هامة في الأندلس خلال القرن السادس الـــهجري/ الثـــاني عشـــر الميلادي.

المبحث الثاني

اهتمام الحكام بالطب

كان الفتح الإسلامي للأندلس علامة بارزة في التاريخ السياسي والحضاري لدولة الإسلام في هذا الجانب الغربي من العالم الإسلامي. ولقد عان الفاتحون الكثير من أجل الوصول إلى هذه المنطقة، فكان لابد عليهم فتح بلاد المغرب أولا، مما تطلب منهم مجهودا كبيرا، حيث واجه الفاتحون عند فتحهم لهذه المنطقة صعوبات كثيرة، تتمثل في طبيعة بلاد المغرب الجبلية ووعورة مسالكها، فضلا عن النعرة القبلية وما ترتب على ذلك من تضامن قبائل بلاد المغرب وتكتلهم ضد الفاتحين.

لهذه الأسباب استغرق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ما يقارب السبعين سنة، بدأها الفاتحون بمرحلة الغارات سنة 21هـ /640م. وتلتها مرحلة الفتح المنظم والذي تحقق سنة 90هـ /708م. ولقد ضحى الفاتحون خلال ذلك بكثير من الشهداء، أبرزهم عقبة بن نافع الفهري (ت 64هـ/683م) وزهير بن قيس البلوي (ت 71هـ/690م)، وبعد إتمامهم فتح هذه المنطقة توجهت أنظارهم بعد ذلك لفتح بلاد الأندلس.

كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس أقل صعوبة من فتح بلاد المغرب. فخلال عملية فتح هذه المنطقة زالت النعرة القبلية التي كانت تتميز بها قبائل بلاد المغرب. ونجح الفاتحون العرب نجاحا منقطع النظير في اكتساب القبائل البربرية إلى جانبهم حتى أصبحت هذه الأخيرة اشد حماسا لفتح الأندلس. ومن ثم تظافرت جهود كل من العرب والبربر، وعمل الطرفان جنبا إلى جنب على فتح بلاد الأندلس، فبدأ ذلك بحملة طريف بن مالك سنة 91هـ/ 710م، وتلتها بعد ذلك عدة طوالع، كان أبرزها طالعة طارق بن زياد سنة 92هـ /711م، وطالعة موسى بن نصير سنة 93هـ /712م.

تمكن هذان الرجلان، بالتعاون مع من كان معهم من المسلمين، على فتح هذه المنطقة التي كانت تتميز هي الأخرى بطبيعتها الجغرافية الصعبة، وبفضلهما وفضل غيرهما من المسلمين استقرت الأوضاع بهؤلاء بعد ذلك في هذه المنطقة من الأندلس.

فبذل هؤلاء جهودا كبيرة من أجل إقامة دولة إسلامية قوية، فتحقق لهم ذلك سنة 138هـ/756م وذلك على يد بني أمية.

وهكذا استطاع بنوا أمية إحياء مجد دولتهم السياسي والحضاري بالأندلس، بعد أن فقدوه بالمشرق على يد العباسيين سنة 132هـ/749م، وبذلوا من أجل ذلك جهودا مضنية دامت أكثر من قرنين (138-366هـ/755-976م).

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلت على مدار المدة الزمنية السالفة الذكر، إلا أنّ دولة الإسلام بالأندلس كادت أن تنهار وتسقط لسبب ضعف خلفاء بني أمية، الذين حكموا الأندلس بعد الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، وبسبب تنافس القادة والأمراء الأندلسيين على الخلافة والملك.

كما كان لتزايد حركة الاسترداد المسيحي دور في الإستنصار والاستنجاد بالمرابطين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فعبر هؤلاء إلى الأندلس. وبعد معركة الزلاقة 479هـ/1086م التي قادها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، وقضائه على ملوك الطوائف بالأندلس الواحد تلو الآخر[1]، أصبحت الأندلس خاضعة للحكم المرابطي 483هـ/1090م.

عمل المرابطون بعد ذلك بالأندلس على الاستقرار السياسي، وساهموا في دفع الحضارة الإسلامية قدما بهذه المنطقة، وذلك بتشجيع الحركة العلمية بما في ذلك علم الطب. ولقد قام الموحدون من بعدهم 542هـ/1147م بالدور نفسه.

وفيما يلي عرض لدور كل من المرابطين والموحدين في تطوير علم الطب بالأندلس.

---

[1] - تجزأت الأندلس في هذه الفترة والتي تسمى بعصر ملوك الطوائف (422-479هـ/1031-1086م) إلى ستة وعشرين دويلة لكل منها كيان سياسي.
للمزيد من المعلومات حول هذه الدويلات يمكن الرجوع إلى:
- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ تأسيسها حتى الفتح المرابطي، ص.ص 8-354.
- رينهارت دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط1، 1351هـ/1933م، ص ص12-168.

1-المرابطون واهتمامهم بالطب:

استطاع المرابطون بعد دخولهم إلى الأندلس، أن يحققوا استقرارا سياسيا كان لابد أن يكون له انعكاس على تطور العلوم وبخاصة علم الطب. فقد عان العلماء بالأندلس الكثير خلال الفتنة القرطبية وعصر ملوك الطوائف، سواء بقتل بعضهم مثل ما حدث لأبي محمد عبد الله بن أحمد قند اللغوي (ت 400هـ/109م)[1]، والطبيب الشهير عبد الله بن محمد الثقفي (ت 403هـ/1013م)[2]، أو بإيثار بعضهم الآخر الرحيل والابتعاد عن ميدان الصراع طلبا للأمان والسكينة والتفرغ للبحث[3]، ومن ذلك ما قام به الطبيب أحمد بن يحي بن سميق (ت 450هـ-1058م) حيث يذكر ابن بشكوال أنه: "نظر في الطب، وطالع منه كثيرا، وعني به، والتحق بطليطلة في الفتنة"[4].

في ظل الاستقرار السياسي الذي حققه المرابطون على أرض الأندلس، أقام العلماء ومن بينهم الأطباء، في المدن الأندلسية الكبرى كقرطبة وإشبيلية وغرناطة[5]، حيث فتحت لهم مجال الاحتكاك والأخذ والتنافس، الأمر الذي ساهم في إثراء علم الطب بالأندلس.

إن السبب السالف الذكر لم يكن الوحيد في إثراء علم الطب بالأندلس وتزايد عدد الأطباء فيها، بل إن رغبة المرابطين أنفسهم في الالتحاق بالركب الحضاري الذي شهدته الأندلس، ورغبتهم في حذو حذو الأندلسيين في ذلك، قد أسهمت في تزايد عدد العلماء وبخاصة الأطباء، فجذبوا إليهم العباقرة العظماء من مفكرين ورجال العلم والأدب، مغدقين عليهم العطاء وهم يسعون في ذلك إلى إيجاد مواهب جديدة[6]. ولقد خص المرابطون في ذلك الأطباء، فشملوهم برعايتهم وأتاحوا لهم في غالب الأحوال الأجواء المناسبة لممارسة نشاطهم العلمي والمهني[7].

---

[1] - ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 250.

[2] - ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 302.

[3] - ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 163.

[4] - الصلة، ج1، ص ص 56-58.

[5] - د. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1996، ص 372.

- Danielle Jacquart et francoise Micheau: la medecine Arabe et l'Occident Medieval, Maison neuve, Larose, Paris, P 142.

[6] - ليفي بروفنسال: محاضرات في الأدب الأندلسي وتاريخه، ترجمة د.عبد الهادي شعيرة ود.عبد الحميد العبادي، القاهرة، 1951، ص 16.

[7] - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 23.

هذا وتجدر الإشارة إلى ما حظي به الطبيب أبو العلاء ابن زهر وابنه أبو مروان عبد الملك من جزل وعطاء كبيرين لدى الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي (480-500هـ/1078-1106م)[1]. بل إن ابن الأبار يشير إلى أن عبد الملك بن زهر بلغ نفوذه لدى هذا الأمير درجة كبيرة حتى صار يقلد الوظائف ويعزل حسب مشيئته وهذا ما جعل الشعراء يقصدونه طمعا في وساطته[2]. وقد ذكر ابن أبي زرع أيضا أن أبا مروان عبد الملك بن زهر لقب بالوزير كما سبق ذلك لوالده تبجيلا وتقديرا لهما[3]. وفي نفس هذا الاتجاه نجد الفيلسوف الطبيب أبا بكر بن باجة الذي حظي بدوره بمكانة خاصة عند الأمراء المرابطين [4]، وتتمثل في تقلده لمنصب الوزارة للأمير المرابطي أبي بكر بن إبراهيم بن تفلويت أمير غرناطة وسرقسطة (500-510هـ/1106-1116م)[5].

لم يتوقف اهتمام المرابطين بالأطباء عند هذا الحد فحسب، بل إنهم حرصوا على تلقين أبنائهم علم الطب على يد أشهر الأطباء الأندلسيين، إذ تفيدنا إحدى الرسائل المرابطية الصادرة عن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م) إلى ابنه أبي بكر يحثه فيها على طاعة أستاذه الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر وأخذ المعارف عنه والعلم، ومما جاء في الرسالة قوله: "كتابنا ألهمك الله رشد نفسك... من حاضرة مراكشي... بعد وصول الوزير الجديد أبي مروان ابن الوزير أبي العلاء بن زهر محل أبينا... يشكو ما يكابده من تشغيبك ويقاسيه من تضريبك، فأمسك عليك رمقك، وخذ من الأمور ما يسر، وإلا أنفذناك إلى ما يورقة..."[6].

---

[1] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، ص 18.

[2] –ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 268. ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 65.

[3] –ابن أبي زرع: أنيس المطرب بروض القرطاس، ص 207.

– د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة على عصر المرابطين، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، 1959-1960م، م7- م8، ص 134.

[4] – ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج2، ص 94. د. عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص ص 45،88.

[5] – ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج2، ص 94. ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص ص 404-409.

– د. عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 45.

– أ. عبد الله كنون: المرجع السابق، ص ص 66، 72.

[6] – د. حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مجلة المعهد المصري بمدريد،1954، م2، ص ص 68-70.

وكذلك نجد اهتمام المرابطين بالتأليف في الطب وتشجيعه، حيث دعا الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين (540هـ/1145م) الطبيب أبا مروان بن زهر ليؤلف له كتابا يكون مرجعا لمجلسه، فاستجاب هذا الأخير لذلك، وألف كتابا بعنوان "الاقتصاد في إصلاح الأجساد"[1]. ولعل هذا الأمر هو الذي دفع الأستاذ ليفي بروفنسال وفرانشيسكو كوديرا وأنخل جنثالث بالنثيا إلى القول بان المرابطين قد نالوا هم كذلك حظهم في التطور والحضارة[2]، وهذا بالتالي ينفي ما إتهم به المؤرخ المستشرق رينهارت دوزي المرابطين من أنهم بدو رحل ليس لهم من أمور العلم شيء[3]. فإذا كانت روح البداوة قد غلبت على المرابطين، وبخاصة في المرحلة الأولى من قيام دولتهم، إلا أنهم ما لبثوا أن تحرروا من روح البداوة هذه، لا سيما بعد أن تأقلموا مع وضعهم الجديد بالأندلس، فآثروا الحياة الأدبية والعلمية بالمنطقة[4]. ولعل اهتمامهم بالطب دليل قاطع على ذلك، ومصداق له، فقد قال العلامة ابن خلدون إن: " الطب من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة"[5].

وفضلا عن الأسباب السالفة الذكر فإن هناك سببا آخر كان وراء ازدهار علم الطب بالأندلس في فترة موضوع الدراسة وتزايد عدد الأطباء فيها، ويتمثل في إحراق كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي (450-505هـ/1058-1111م)، وهذا بأمر من الأمير علي بن يوسف المرابطي[6]، الذي قام بذلك استجابة لطلب الفقهاء وعلى رأسهم

---

[1] – ابن الابار: التكملة، ج3، ص 81. د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 413.

- H.P.J Renant: trois etudes de la medecine Arabe en Occident, nouveaux manuscrits d`Avenzoar, Hesperis, 1933,T 12, PP 94-95.

[2] –انخيل جانثلث بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسي، ص ص 19، 21.

-levi provencal: Reflexions sur l`Empire Almoravide au dedut XII siecle (Cinqantenaire de la faculte des lettres d`Alger 1881-1931) , Alger, 1932, P P 314- 315.

[3] - Recherches sur l`Histoire et la litterature de l`Espagne pendant le moyen age, volume I, Leiden, 1881, P 348.

[4] – د. راوية عبد الحميد حسنين شافع: المرأة في الغرب الإسلامي من قيام دولة المرابطين حتى سقوط غرناطة (462-897هـ/1070-1492م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، غير منشورة، كلية الأداب، جامعة الإسكندرية، 1999، ص 164.

[5] – ابن خلدون:المقدمة، ج2، ص 619.

[6] – ابن القطان المراكشي (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص ص 70-71.

– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 237.

–عبد الله كنون: المرجع السابق، ص ص 69-70.

أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين قاضي قرطبة (ت 508هـ/1114م)[1]، فقد استند هذا الفقيه وغيره من الفقهاء لتبرير دعوتهم لإحراق هذا المؤلف إلى ما كان يحويه من علم الفلسفة[2]. وبما أن دولة المرابطين قامت على أساس المذهب المالكي[3]، فإن الأمير علي بن يوسف المرابطي لم يتأخر عن الاستجابة إلى دعوة الفقهاء الذين قاموا بذلك في الحقيقة، لما كان يحويه هذا الكتاب من هجوم على الفقهاء، الذين كانوا يتخذون من العلم والدين مطية لتحقيق أطماع دنيوية من ثراء وجاه ومال[4]، ولعل ما يؤكد ذلك أن زعيم دعوة الإحراق القاضي أبو عبد الله محمد بن حمدين كان من بين أغنياء فقهاء الأندلس، حتى وصفه الشاعر أبو جعفر بن محمد المعروف بابن البني بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب أولج في الظلام العاتم

فملكت الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن قاسم[5]

وأيا كان السبب الحقيقي وراء حرق هذا الكتاب، فإن إحراقه قد انعكس إيجابا على علم الطب بالأندلس، حيث دفع هذا الأمر العديد من علماء الأندلس في هذه الفترة إلى الإبتعاد عن الاشتغال بعلم الفلسفة والتوجه إلى علم الطب، ويمكن أن نذكر هاهنا على سبيل المثال أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بـ ابن باجة الذي تفرغ للطب[6] بعدما اتهم بالزندقة[7]، ولقد اتهم بذلك لدعوته في فكره الفلسفي ومن خلال مؤلفه "تدبير المتوحد" إلى إمكانية إقامة مجتمع مثالي يحكمه عادلون، يسمح بعد تحقيقه بالاستغناء عن القضاة، لأن سكان هذا المجتمع الجديد سيبحثون فقط عن الكمال،

---

[1] – ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص ص 73–74 ؛ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 59.

[2] – ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص ص 70–71.

– د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص 450–452.

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 236.

– د. إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع ، الذهنيات، الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 123.

– د. مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، مطابع الشويخ، تطوان، ط1، 1999، ص 14.

[4] – د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 452.

[5] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 235–236.

[6]- Lucien Leclerc: Op. Cit. T2 , P 76

[7] – المقري: نفح الطيب، ج3، ص 434.

ويحرصون على عدم الوقوع في الذنوب والإستسلام للأهواء الشخصية. ولقد اهتم هـــذا الفيلسوف أشد الاهتمام بالتكوين والإصلاح، وكان يعاني من مشاكل أمتـــه الاجتماعيـــة، فحاول من خلال كتابه السالف الذكر، طرح طبيعة مشاكل مجتمعه والسبل الممكنة لحلـــها وتحقيق السعادة له[1]، فاعتبر ذلك مساسا بالسلطة الحاكمة التي لا يمكنها أن تحقق العدالـــة، وكذا الفقهاء الذين سبق وأن ذكرنا، ما كان لهم من سلطة قوية لدى الحكام المرابطيـــن. وكانت النتيجة أن إتهم هذا الفيلسوف بالزندقة، فابتعد عن الفلسفة وتفرغ للطب[2]. وكذا عبد الله بن خلف الإيبيري (ت 537هـــ/1142م) الذي اشتغل بالطب بالرغم من براعته في علم الفلسفة[3].

هكذا اهتم المرابطون بعلم الطب فعلا، وساهموا في تطويره بالأندلس. ومما زاد من تطور هذا العلم، أن هؤلاء لم يهتموا به بوصفه علما فحسب، بل اهتموا بـــه اهتمامـــا كبيرا باعتباره مهنة، وأحاطوها برعاية كبيرة، فعملوا على وضع نظام وشروط تحكمـــها وتحافظ عليها، فأحدثوا منصب رئيس الصناعة الطبية[4] لمراقبة أعمال الأطباء الصيادلـــة، وكان صاحب هذا المنصب المسؤول الأول أمام الأمير المرابطي عن مهنة الطب ومـــا يتعلق بها من الأدوية والعقاقير[5]. قام الحكام المرابطون بوضع هذا النظام ليـــس للحفـــاظ بمهنة الطب فحسب، بل حفاظا للمجتمع الأندلسي كذلك من تصرفات بعض المشـــعوذين والدجالين الذين حاولوا ممارسة الطب دون معرفتهم به، فيذكر ابـــن بســـام أن الشـــاعر الأندلسي أبا حاتم الحجاري ادعى معرفته بعلم الطب والعقاقير سعيا منه للكسب، وذلـــك بعد ما نفد مصدر كسبه من الشعر بعد سقوط ملوك الطوائف الذين كانوا يغدقـــون علـــى الشعراء[6].

---

[1] – د. محمد عابد الجابري: نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط6، 1993، ص ص175– 176. ميغيل كروز هيرناندیس: المرجع السابق، ص ص 1103– 1104.

[2] – المقري: المصدر السابق، ص434.

[3] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص ص 193–194.

[4] – ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 268.. – د/ حمدي عبد المنعم حسين: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطيـن (دولة علي بن يوسف بن تاشفين)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982، ص 409.

[5] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] – ابن بسام : الذخيرة، القسم 3، م2، ص ص 652–653.. ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج2، ص 30. ـــ

وعلاوة على ذلك نجد أن المرابطين قد فتحوا الأبـــواب أمـــام الفقـــهاء والقضـــاة المجتهدين لإبداء أو للإدلاء بآراء جديدة تضمن السير الحسن لمهنة الطـــب ومراقبتـــها، فظهر الفقيه محمد بن أحمد بن عبدون الإشبيلي[1] الذي وضع مجموعة من الشروط التـــي يلزم بها رئيس الصناعة الطبية والعمل بمقتضاها في ميدان مراقبة الأطباء، وتتمثل هـــذه الشروط أساسا فيما يلي:

- منع ممارسة الطب أو الجراحة للذين ليست لهم خبرة أو كفاءة في ذلك.
- منع الطبيب من أخذ الدم من شخص إلا بإذنه، لأن غير ذلك يعرض للـــهلاك أو المرض.
- منع تدريس الطب بغير علم وتجربة في الاختصاص.
- اقتصار عملية تحضير الأدوية على الأطباء الصيادلة الخبراء.
- منع شراء الأدوية من العقاقيري لأنه يحضر أدوية مجهولة تتنـــافى والوصفـــة الطبية مما تسبب في هلاك المريض[2].

إن استحداث المرابطين لمهنة رئيس الصناعة الطبية لدليل آخر يدفعنا إلـــى رد رأي المستشرق رينهارت دوزي من أن المرابطين بدو رحل ليس لهم من أمور العلم شيء.

2- اهتمام الموحدين بالطب:

هزت دولة المرابطين في أواخر عهدها بالأندلس العديد من المشاكل، فـــاضطربت الأحوال بها، مما تسبب في تزايد تحرش النصارى بالمنطقة[3]، فوجد الموحدون في ذلـــك فرصتهم للعبور إلى الأندلس وقيام دولتهم بها. وقد كانت أسباب عبورهم إليـــها شـــبيهة

ـــ د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطيـــن، دار الطليعـــة، بيروت، ط1، 1988، ص 192.

[1] – عاش ما بين أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري، وتحديدا في فترة ما بين اعتلاء المعتمـد بن عباد عرش إشبيلية سنة 461هـ/ 1068م إلى انتهاء عهد المرابطين بإشبيلية سنة 542هـ /1147م.

– د. نيكولا زيادة: الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1963، ص 58.

- Levi Provencal: Seville Musulmane au debut du XII siecle, le traite d`Ibn Abdun sur la vie urbaine et les corps de metiers, librairie, Paris VII, PP IX- X.

[2]- Levi Provencal: Seville Musulmame , P P 103 - 104.

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 277.

– د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسســـة شـــباب الجامعـــة للطباعـــة والنشـــر، الإسكندرية، ط2، 1982، ص ص 653-654.

بأسباب عبور المرابطين إلى المنطقة من قبل[1]. فأمام ضعف قوة أمراء المرابطين وتمزق وحدة الأندلس من جديد وترذي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بها[2]، استنجد الأندلسيون بالموحدين[3] الذين أصبحوا سادة على المغرب[4]، فلبى هؤلاء الدعوة، وكانوا من قبل قد استغلوا ظروف المرابطين السالفة الذكر، واجتهدوا في الدعاية لقيام دولتهم بتلك المنطقة، إلى أن تحقق لهم ذلك على أرض الأندلس سنة 555هـ /1160م[5]، بعدما تحقق لهم ذلك على أرض المغرب سنة 541هـ/1146م[6].

شرع الموحدون بعد ذلك في مواصلة مجهودات المرابطين في بناء صرح الحضارة الإسلامية بالأندلس[7]. وتعد الحركة العلمية في عهدهم استمرارا لعهد المرابطين، إذ أن الازدهار الفكري في عهدهم ما هو إلا جهود المرابطين ومن سبقهم في تشجيع العلم والعلماء. فالمفكر لا يمكن أن يولد بين عشية وضحاها[8]، ومع ذلك فإن عناية الموحدين بالآداب والعلوم لم يكن أقل قدرا من عناية المرابطين بها. فقد تنوعت العلوم والآداب في

---

[1] – أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص ص 22-23.

[2] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 277 وما بعدها.

– ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص ص 226-227.

– د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 652 وما بعدها.

[3] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 281-282.

– مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق د/ سهيل زكار وأ/ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ /1979م، ص ص 147-148، 155.

– ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 265. أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص ص 22-23.

[4] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 281-282.

– محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين، العصر الثالث، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964، ص 254 وما بعدها.

[5] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص280-281.

– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 154.

– السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، طبعة مصور، [د.ت]، ج1، ص ص 156-157.

– د. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 377.

– د. حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص 104 وما بعدها.

[6] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 108.

– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 114 وما بعدها.

– محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 260.

[7] – عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 118.

– د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 349.

[8] – المرجع نفسه، ص 344.

عهد الموحدين تنوعا كبيرا، ولم يهتموا بالشعر والآداب فقط، بل كان لهم أيضا اهتماما بالعلوم الأخرى[1]، ومن بينها علم الطب.

لقد حظي علم الطب لدى الحكام والموحدين بنصيب كبير من الاهتمام، فشملوا علماءه هم كذلك برعاية واهتمام، وأتاحوا لهم الظروف الملائمة للاستمرار في مزاولة نشاطهم العلمي والمهني[2]، فمنهم من نال حظوة ومكانة لدى هؤلاء، كالطبيب أبي بكر بن طفيل (ت 581هـ/1185م) الذي تقلد الوزارة لدى الخليفة أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1184م)[3]، فضلا عن الطبيب أبي جعفر أحمد بن هارون الترجالي العارف بصناعة الطب وإتقانه لها وبخاصة طب العيون، ونظرا لشهرته ومكانته في المداواة، عينه الخليفة أبي يعقوب الموحدي طبيبا خاصا به[4]. وهذا بالطبع يعد تكريما لعلم الطب ولمجموع الأطباء وبالتالي الاهتمام بالعلم والعلماء.

بل والأكثر من هذا، فإن كثيرا من الخلفاء الموحدين، كما أشار إلى ذلك عبد الواحد المراكشي، لم يكن يعقد لهم مجلس من مجالس القصر إلا بحضور عدد من الأطباء الأعلام[5]. وكانت هذه المجالس ذات نظام خاص تسير عليه، فكان الخليفة يتصدر المجلس ويليه قاضي الجماعة، فرئيس الأطباء فضلا عن كبار العلماء على اختلاف مراتبهم[6]، تجري المناقشة في هذه المجالس حول مسالة علمية ما، يلقيها الخليفة نفسه أو أحد العلماء الحاضرين بعد استئذان الخليفة، يناقش الحاضرون المسألة وتختتم الجلسة بالدعاء للخليفة[7].

---

[1] – د.راوية عبد الحميد حسين شافع: المرجع السابق، ص 168.

[2] – د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 510. محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 23.

[3] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 207.

– ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص 407.

– عبد الهادي أحمد الحسيسن: مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي (554-595هـ/11591198م)، مطابع شويخ، تطوان، 1402هـ/ 1982، ج1، ص 154.

– د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص 46-47.

[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 530.

[5] – عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 426.

[6] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 529.

– د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 415.

[7] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 354.

وقد كان الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالمنصور (580-595هـ/1184-1198م) يعقد مجالسه بحضور العديد من الأطباء وعلى رأسهم أبو بكر بن طفيل وأبو بكر بن عبد الملك بن زهر (ت 596هـ/1199م) وأبو الوليد بن رشد (ت 595هـ/1198م)[1]، ويبدوا أن هذا الأخير كانت له مكانة متميزة لدى الخليفة المنصور الموحدي دون سواه من الأطباء السالفي الذكر، فقد قال الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة عند ذكره للطبيب أبي الوليد بن رشد أنه: "... كان مكينا عند المنصور وجيها في دولته... ولما كان المنصور بقرطبة متوجها إلى غزو ألفونش وذلك في عام واحد وتسعين وخمسمائة استدعى أبا الوليد بن رشد فلما حضر عنده احترمه كثيرا وقربه إليه حتى تعدى به الموضع الذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن شيخ حفص الهنتاني صاحب عبد المؤمن... وكان هذا أبو محمد عبد الواحد قد صاهره المنصور وزوجه بابنته لعظم منزلته..."[2]. ومما يؤكد لنا خصوصية مكانة أبي الوليد بن رشد لدى الخليفة المنصور الموحدي، أن هذا الأخير كان يسمح له، ومتى حضر مجلسه بأن يتحدث معه دون استعمال الألقاب السلطانية بل يخاطبه بعبارة:"... تسمح يا أخي..."[3]. ولعل ما دفع هذا الخليفة إلى مثل هذه الدرجة من اهتمامه بالأطباء وتواضعه معهم، إنما هو طموحه هو شخصيا وشغفه الكبير بعلم الطب[4]، الذي ورثه عن أبيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي (558-580هـ/1162-1184م) الذي كان طموحا وشغوفا بعلم الطب، حتى كان يحيط نفسه ويجمع العديد من المؤلفات الطبية وبخاصة كتاب الملكي الذي يشمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها للطبيب علي بن العباس (ت384هـ/994م)[5].

---

[1] - ابن صاحب الصلاة(أبو مروان عبد الملك بن محمد بن يحي بن إبراهيم الباجي): المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د/ عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ص ص450-451.

- عبد الهادي أحمد الحسيسن: المرجع السابق، ص ص 49، 61، 68.

[2] - ابن أبي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 531.

[3] - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص 532.

[4] - السلاوي: المصدر السابق، ص ص 156-157، 201.

[5] - ابن القفطي: المصدر السابق، ص 232.

ومن مظاهر اهتمام الخليفة المنصور الموحدي بالأطباء إلى جانب مشاركته لهم في مجالسه، ما أمر به من تشييد قصر للطبيب أبي بكر بن عبد الملك بن زهر (ت595هـ/1198م) بحضرة مراكش على نفس نمط قصر هذا الطبيب بإشبيلية وما جاوره. وقد قام هذا الخليفة بذلك لما بلغه من حزن وشوق هذا الطبيب لبيته وأهله المقيمين بإشبيلية. ولما تمت عملية البناء نقلت أسرة ابن زهر الطبيب إلى تلك الدار[1]. إضافة إلى ذلك، فإن هذا الخليفة قد وصل اهتمامه بالطب إلى أبعد مما سبق ذكره، حيث أمر بإنشاء مستشفى بمدينة مراكش في مكان صحي ملائم لذلك، أحيط بالأشجار المتنوعة، بل وأكثر من ذلك جلب له الأدوية من الأشربة والأذهان وخصص له أمينا يسهر على شؤونه[2].

لم يكتفي الموحدون في اهتمامهم بعلم الطب بهذا الحد، بل أحدثوا كذلك منصبا لمراقبة أعمال الأطباء الصيادلة، وكان صاحب هذه المهنة عندهم يسمى على حد قول ابن أبي أصيبعة "مزوار الأطباء"[3] أو "مزوار الدار السلطانية"[4]، وممن تقلد هذا المنصب في عهدهم الطبيب أبو جعفر الذهبي (ت 600هـ/1203م)[5]. ونظرا لأهمية هذا المنصب فإن تعيين صاحبه يتم عن طريق الخليفة نفسه، وكان صاحبه يتقاضى أجرة من بيت المال[6].

ـــ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 319-320.

- د/ أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م، ص 192.

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 310.

[1] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 142.

- عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 135.

[2] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 364-365.

- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص ص 115-116.

- عبد الهادي أحمد الحسيسن: المرجع السابق، ص ص 158-159.

[3] - ابن أبي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 532.

[4] - المقري: نفح الطيب، ج6، ص 208.

[5] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 532،537.

- عبد الهادي أحمد الحسيسن: المرجع السابق، ص 156.

[6] - محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580-595هـ، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1996، ص 176.

ومما سبق، يتبيّن لنا أنّ المرابطين والموحدين قد اهتموا اهتماما كبيرا بعلم الطب وبالأطباء، وأسهموا إسهاما كبيرا في تطوير منصب مراقبة الطب والأطباء، فبعد أن كان مقتصرا على تقييد أسماء الأطباء في ديوان الأطباء والذي استحدث في عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م)[1]، فإنّ المرابطين والموحدين قد أحدثوا منصبا صارما لمراقبة كل ماله صلة بالطب بصفته علما أو منصبا، فساهموا بذلك عموما على التطور الحضاري في هذه المنطقة من الغرب الإسلامي.

[1] - ابن جلجل: المصدر السابق، ص 110.
- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 189.

المبحث الثالث

المجتمع الأندلسي و مكانة الطب لذيه

نال الطب في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي اهتماما ورعاية كبيرة، ولم يقتصر ذلك على الطبقة الحاكمة فحسب، بل إنّ المجتمع الأندلسي قد أولاه هو الآخر عناية كبيرة، لما كان لهذا الفرع من العلوم من انعكاس على الواقع الصحي للمجتمع الأندلسي، ولما له من تأثير بالغ على المستوى الاجتماعي، حيث كان الطبيب عندهم يعرف بالحكيم، هذا فضلا لما لهذا الفرع من العلم أيضا من انعكاس على المستوى المادي. فإذا كان الاهتمام بالجانب الصحي للإنسان له بعد غريزي، فإنّ اهتمام المجتمع الأندلسي بهذا الميدان كان له أكثر من دافع وعامل.

1-المستوى المعيشي للمجتمع الأندلسي وعلاقته بالطب:

ارتبط التداوي والعلاج لأفراد المجتمع الأندلسي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بمستواهم المعيشي، ولقد كان هذا المجتمع مقسما إلى طبقتين اجتماعيتين متميزتين، متمثلتين في الطبقة الخاصة الثرية والطبقة العامة. وقبل الحديث عن علاقة هذا المستوى المعيشي للمجتمع الأندلسي للطب لابد من إعطاء لمحة عن العناصر المكونة للمجتمع.

فقد شارك في التكوين البشري لشبه جزيرة إيبيريا أجناس كثيرة، وأول من سكنها قبل الفتح الإسلامي، الإيبيريون والفينيقيون والإغريق والقرطاجنيون والرومان فضلا عن الوندال والقوط. وأما الفتح الإسلامي فقد أضاف لهذه العناصر والأجناس البشرية المختلفة عناصر عرقية جديدة وهي:

- البربر: عبر البربر إلى الأندلس مع الفتح الإسلامي لهذه المنطقة، فكان عددهم في حملة طريف بن مالك الاستطلاعية (91هـ/710م) خمسمائة مقاتل[1]، في حين بلغ

[1] - ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، ص 71.
- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 97.
- د. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 17.

عددهم في حملة طارق بن زياد (92هـ/711م) اثنتي عشرة ألف مقاتل[1].وأخذ عددهم يتزايدفي مجموعات كبيرة وبخاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)[2]، وابنه الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)[3]. ولقد تزايد عددهم بشكل أوسع في عهد حجابة المنصور محمد بن أبي عامر (366-392هـ/976-1001م)، فاصطنعهم في الجيش من أجل إضعاف العصبية العربية بالأندلس والقضاء على أطماعها في الخلافة[4]. ولقد انتهج ابنه المظفر عبد الملك (392-399هـ/1001-1008م) سياسة والده في الاعتماد على البربر، وتابعه في ذلك أخوه عبد الرحمن شنجول (399هـ/1008م)[5].

ولما سقطت الخلافة الأموية بقرطبة سنة 422هـ/1031م، تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس[6]، وقد وصل عبور البربر إلى الأندلس ذروته بعد إستنصار ملوك الطوائف بالمرابطين للحد من حركة الاسترداد المسيحي[7]، التي استفحل أمرها ولا سيما بعد سقوط طليطلة الحاضرة الأندلسية الكبرى عام 478هـ/1085م[8]. فأنزل المرابطون قبائلهم في المدن وخاصة الثغور[9]. ولقد تعزز عدد البربر بالأندلس بعد دخول الموحدين إليها وقيام دولتهم بها سنة 555هـ/1160م[10].

---

[1] – مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 98.

[2] – ابن حيان: المقتبس، قطعة من عصر عبد الرحمن الناصر، ص 257. د. مصطفى أبو ضيف أحمد:المرجع السابق، ص 357.

[3] – ابن حيان: المقتبس، قطعة من عصر الحكم المستنصر، ص 192.

-Levi Provencal: histoire de L`Espagne Musulmane , T3, P 80.

[4] – مؤلف مجهول: نبذة تاريخية في أخبار البربر في العصور الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها وتصحيحها أ. ليفي بروفنسال، رباط الفتح، 1352هـ/1933م، ص ص 26-45.

– ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم 2، ص 119.

[5] – ابن بسام: المصدر السابق، القسم 4، م1، ص 81. د. عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص ص 250-251.

[6] – د. إحسان عباس:عصر ملوك الطوائف والمرابطين(من تاريخ الأدب الأندلسي)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1960،ج2، ص ص 13-14.

– محمد عبد الله عنان: دولة الطوائف، ص ص 44، 118.

[7] – ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه د/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ج2، ص ص 98-99. د. إبراهيمي القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الإجتماعي، ص 35.

[8] – ابن بسام: المصدر السابق، القسم 4، م1، ص ص 166-168.

- Levi Provencal: Alphonse VI et La Prise de Tolede, Hesperis, archives Berberes, et bulletin de l`Institut des hautes etudes Marocaines, T XII, Fascule 1, Larose, Paris, 1931, P 47.

[9] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 226.

[10] – المصدر نفسه، ص 281 وما بعدها.

– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 154. السلاوي: المصدر السابق، ص ص 156-157.

– د. عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، لبنان، ط1، 1983، ص 85. ـــ

– العرب: أما العرب فقد عبروا إلى الأندلس هم كذلك مع الفتح الإسلامي لهذه المنطقة، وكان عبورهم إليها على شكل طوالع، أبرزها طالعة موسى بن نصير (93هـ/712م) والبالغ عددها ثمانية عشر ألف مقاتل من القيسية واليمنية[1]، وطالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي (97هـ/715م) وعدّتها أربعمائة رجل أغلبهم من اليمنية[2]، ثم تلتها طالعة بلج بن بشر القيشري وعدّتها ثمانية آلاف من العرب أغلبهم من القيسية[3]، وفي سنة 125هـ/743م عبرت إلى الأندلس طالعة عربية أخرى وعدّتها ثلاثون رجلا، على رأسها والي الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[4]. كما تدفقت إلى الأندلس بعد ذلك هجرات عربية أخرى، وبخاصة بعد استفحال وتزايد حركة الاسترداد المسيحي، فعبرت قبائل بني هلال[5] إلى الأندلس، ولقد استنجد بها كل من المرابطين[6] والموحدين من بعدهم لمحاربة النصارى والحد من حركة الاسترداد المسيحي للأندلس[7].

ـــــ د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 263.

[1] – مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 24.

– د. أحمد مختارالعبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971، ص 280.

[2] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص 25.

– د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 120.

[3] – ابن القوطية: المصدر السابق، ص 40. د. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 120.

[4] – ابن القوطية: المصدر السابق، ص 43. ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص 33.

[5] – قبائل بنو هلال: يقصد بها القبائل العربية التي غزت المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بعد مجيئها من صعيد مصر، على إثر انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، وقطع قبائل صنهاجة الدعوة للفاطميين ودعوتها للخلافة العباسية، فرأى الفاطميون أن أحسن طريقة لعقاب صنهاجة هو تسليط هذه القبائل العربية ضدها. ولقد أطلق لفظ الهلالية من باب إطلاق اسم الجزء على الكل، حيث أن بني هلال والذين أطلق اسمهم على باقي القبائل العربية هم إحدى القبائل العربية التي غزت المغرب، وتتمثل هذه القبائل في بني سليم وبني هلال وأحلافهم من جشم والخلط والمعقل.

– ابن خلدون:كتاب العبر، ج4، ص 94.

– د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص 307–308.

– شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس الجزائر المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص ص 95–99.

– جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة د. مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1991، ص 222 وما بعدها.

[6] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 66.

– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 94.

– د. أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997، ج2، ص ص 80–81.

[7] – ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 370–371، 403. ـــــ

- المولدون: بعد أن وطئت أقدام الفاتحين البربر والعرب أرض الأندلس، أقبلوا على الزواج من نساء أهل البلد، فنشأ عن ذلك جيل جديد من المسلمين عرفوا بالمولدين[1].

كان هؤلاء في عصر الولاة (97-138هـ/712-756م) بالأندلس يؤلفون غالبية سكان الأندلس[2]، حتى ان عرب الأندلس الذين كانوا يفتخرون، في القرون الأولى بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، بأصولهم العربية بدا يتغلغل إلى عروقهم جميعا قدر غير قليل من الدم الإسباني[3]، وعلى رأسهم بعض أمراء وخلفاء بني أمية الذين كانت أمهاتهم من أصول إسبانية[4]. ومما يذكر هاهنا أنّ فئة المولدين هذه كانت قد ذابت وانصهرت ضمن البوتقة الأندلسية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي [5].

المسالمة والمستعربون:

أقبلت بعض العناصر الإسبانية بعد الفتح الإسلامي للأندلس على اعتناق الإسلام بمحض إرادتها، فعُرفت بذلك بالأسالمة أوالمُسالمة[6].إلاّ أنّ هناك من ظل منها على

ـــ البيدق(أبو بكر بن علي الصنهاجي): كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق د. عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986، ص ص 116-117، 129، 131.

- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج5، ص 117.

- ابن الأثير:المصدر السابق، ج9، ص 65.

- د. أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص ص93- 94، 81- 86.

[1] - د. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 330.

- د. لطفي عبد البديع: الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،، ط1، 1958، ص 24.

- د. سحر السيد عبد العزيز سالم: ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس، ص 10.

[2] - ابن القوطية: المصدر السابق، ص 25 وما بعدها.

- مؤلف مجهول: أخبار المجموعة، ص 104 وما بعدها.

- د. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 122 وما بعدها.

[3] - ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة د. طاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1405هـ/1985م، ص 18.

- Rinhard Dozy: Spanish Islam, a History of the Moslems in Spain, Translated with a Biographical Introduction and additional Notes by Francis Griffin Stokes, London 1913, P 496.

[4] - Levi Provencal: histoire de L`Espagne Musulmane, , T1, P 760.

[5] - د. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 370.

- د. عز الدين احمد موسى: المرجع السابق، ص 87.

- Levi Provencal: Seville Musulmane, P 19.

[6] - صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 81.

- د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص 127.

ديانته بالرغم من مخالطتهم المسلمين وإتقانهم اللغة العربية[1]، ولهذا السبب أطلق على هؤلاء اسم المستعربين[2].

كان هؤلاء المستعربون يتمتعون بحرية العقيدة في ظل الدولة الإسلامية حيث خصصت لهم كنائس لأداء طقوسهم الدينية بكل حرية ودون مضايقة من المسلمين أو السلطات الحاكمة[3]. وفي ذلك يقول ابن حزم الأندلسي في قصيدة:

أتيتني وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس
ولاح في الأفق قوس الله مكتسيا من كل لون كأذناب الطواويس[4]

ظل هؤلاء المستعربون ينعمون بهذه الحرية، إلى أن حدّ منها المرابطون[5] بسبب تعاون وتواطئ عدد من النصارى مع ابن ردمير ألفونسو المحارب في محاربة هذا الأخير للأندلس عام 519هـ/1125م[6]. أما الموحدون، فقد ضيقوا بدورهم على هؤلاء ولم يعقد لهم أية ذمة بسبب انضمامهم إلى جانب النصارى ضد الموحدين[7].

- اليهود: ويطلق عليهم المسلمون، أهل الذمة وقد كان هؤلاء يمثلون عنصرا مهما في المجتمع الأندلسي، وقبل الفتح كانوا يعانون من اضطهاد القوط لهم[8]، لذلك وجدوا في

- هنري بيريس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1988م، ص 231.

[1] - أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 5.

[2] - د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 130.

[3] - د. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ص 446-447. د. لطفي عبد البديع: المرجع السابق، ص 27.

[4] - ابن حزم الأندلسي (أبو محمد بن أحمد بن سعيد): طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977م، ص 173.

[5] - د. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 520.

[6] - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص 91-97.

- د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص 125.

[7] - عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 399. ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 311.

- ريموند شايندلين: اليهود في إسبانيا المسلمة، مقال منشور ضمن منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير د. سلمى خضراء الجيوشي، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، لبنان،ط1، 1998،ج1، ص 311.

[8] - د. حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص ص521-523.

- د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 133.

الفتح الإسلامي للأندلس وسيلة لتخليصهم من هذه المعاناة، ولهذا السبب انضموا إلى جانب المسلمين الفاتحين منذ اللحظة الأولى من الفتح[1]. ونتيجة لذلك نعم اليهود في ظل الحكم الإسلامي للأندلس بالحرية الدينية، فأبقيت لهم معابدهم وأصبحوا يؤدون طقوسهم الدينية بحرية كاملة[2].

وحظي بعضهم بمراكز مرموقة في الدولة،خاصة وقد عرفوا ببراعتهم في العلوم، بالإضافة إلى إجادتهم اللغة العربية، ويرجع إليهم الفضل الأكبر في ترجمة الكتب العربية إلى العبرية واللاتينية[3].

وفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وبالتحديد في عهد المرابطين تمتع اليهود بحرية العقيدة والفكر ومارسوا أنشطتهم دون معارضة، ولقد بلغوا في هذه الفترة درجة عالية من المعرفة المتمثلة في العلوم والآداب، فساهموا مساهمة كبيرة في إثرائها، ومما ساعدهم على ذلك إمكانياتهم المادية، حيث كان أغلبهم أغنياء بسبب ممارستهم التجارة[4]. ولقد عرفت فترة حكم المرابطين بالأندلس بروز العديد من الأطباء اليهود، حيث عرفوا بمهارتهم الطبية[5]، ومن بينهم الطبيب أبو الفضل حسداي بن يوسف[6].

ومما يشار إليه هنا أن بعض أطباء اليهود قد احتلوا مكانة مرموقة في بلاط بعض أمراء المرابطين من بينهم سلمون أبو يعقوب وحسن بن كنوا اللذان احتلا مكانة هامة في بلاط الأمير علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1142م)[7].

---

[1] – ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد): اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ/1928م، ص 16. د. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 523.

[2] – المرجع نفسه، ص 526.

[3] – د. لطفي عبد البديع: المرجع السابق، ص 34. أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص ص 501-503.

[4] – الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز): كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ج2، ص 571.– د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 106.

[5] – ابن عبد الملك:المصدر السابق، السفر 8، القسم2، ص 419.

[6] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 499.

[7] – د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 110.

ومما يشار إليه هنا أن بعض أطباء اليهود قد احتلوا مكانة مرموقة في بلاط بعض أمراء المرابطين من بينهم سلمون أبو يعقوب وحسن بن كنوا اللذان احتلا مكانة هامة في بلاط الأمير علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1142م)[1].

أما في عهد الموحين فقد تغير وضع هؤلاء اليهود، حيث ضيق عليهم الموحدون ولم يعقد لهم ذمة، بل خيروا ما بين الإسلام والسيف[2]، ومرد ذلك إلى تواطئ اليهود مع النصارى ضد الموحدين[3]، الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى التضييق عليهم.

الصقالبة: كان المجتمع الأندلسي إلا جانب العناصر العرقية السابقة الذكر، يضم كذلك الصقالبة، ويقصد بهم سكان البلاد المختلفة من بلاد بلغاريا التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي[4]، إلاّ أنّ الجغرافيين العرب أطلقوا هذه الكلمة على الشعوب السلافية عامة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فأطلقوه على جميع أرقّائهم الذين جلبوا من أي أمة مسيحية[5]. وقد استعان بهم بنوا أمية في الأندلس في الإدارة والجيش[6] لتدعيم سلطانهم بها ولإخماد الحركات الانفصالية[7].

---

[1] – د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 110.

[2] – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 383.

– ابن تغري البردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري الأتابكي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، [د.ت]، ج5، ص 281.

– د. عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 113.

[3] – ريموند شانيدلين: المرجع السابق، ص 310.

[4] – ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي): صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، ط1، 1938، القسم 1، ص 115.

– ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956م، ج4، ص 416.

– د. أحمد مختار العبادي:" الصقالبة في إسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية"،صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، 1953، ص ص 8-9.

– د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص 85.

[5] – د. أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 9.

[6] – المرجع نفسه، ص ص 11-12.

- Pierre Guichard: Structures sociale orientales et occidentales dans l'Espagne Musulmane, Monton, Paris 1970, PP 77-78.

[7] – د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 85.

وقد بدأت الاستعانة بهؤلاء في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل الأموي (138-172هـ/755-788م)، ثم أخذ عددهم يتزايد حسب حاجة كل أمير أو خليفة[1].

ولقد استطاع هؤلاء، شأنهم شأن بعض الأسر العربية والبربرية، أن يكون لهم دويلات خاصة بشرق الأندلس عند سقوط الخلافة الأموية وقيام عصر ملوك الطوائف (422-479هـ/1031-1086)[2]. أما في عصر المرابطين والموحدين من بعدهم فقد أستعين بهؤلاء في الإدارة والجيش لتقوية هبة الدولة[3]، وبخاصة وأنّ كلا الدولتين كان يواجهها خطر الاسترداد المسيحي.

تميزت الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بانحلال العناصر العرقية السالفة الذكر وامتزج بعضها ببعض، مهملة فكرة الاختلاف العرقي بينها حتى أصبح من الصعب التمييز بينها عرقيا، وتكوّن من كل هذا الخليط ما يسمى بالأندلسيين،[4] يستثنى من ذلك طبقة المستعربين واليهود[5].

هذا ولقد كانت عناصر المجتمع الأندلسي تعيش على أساس طبقي كما سلف الذكر، فتميز هذا المجتمع خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بوجود طبقتين اجتماعيتين متميزتين، وهي الطبقة الخاصة والتي تتألف من الأمراء وعشيرتهم وقادة الجند ورجال الدولة والولاة وفقهاء السلطة والأعيان وكتاب الدواوين. فضلا عن بعض

---

[1] – د. كيليليا سرنللي تشركوا: مجاهد العامري وابنه إقبال الدولة في دانية وسردينية وجزر البليار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1957، ص ص7-8.

[2] – د. كيليليا سرنللي تشركوا : المرجع السابق، ص ص 63-69.

- Levi Provencal : histoire de L`Espagne Musulmane, TIII, P 179.

[3] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص ص 84، 102. ج5، ص ص 24، 124 .

– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص 25،131.

– د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص ص 46- 47.

– د. إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي، ص 90.

– د. مصطفى نشاط: الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ، سلسلة ندوات ومناظرات الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، ص 171.

[4] – ابن الأبار(محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/1967م، ص 71.

– د. عصمت عبد اللطيف دندش:الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 247.

– د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص ص 83-84.

– د. عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص 85-87.– هنري بيريس: المرجع السابق، ص 21.

- Levi Provencal: Seville Musulmane , P 19.

[5] – د. عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 87.

- Pierre Guichard: Op. Cit. P 351.

البيوتات المرتبطة بجهـــاز السلطة[1]، مع العلم أنّ الفقهاء والقضاة نالوا امتيـــازات ونعـــم كثيرة من ضيعات واسعة وجاه كبير[2] لكونهم حفظة الدين وحملة الشريعة[3].

أما الوزراء وموظفي الدولة وقادة الجيش فقد حظوا بدورهم بامتيازات مادية وهبات عقارية من أراضي زراعية واسعة جلبت لهم الثروة الهائلة[4]، بالإضافة إلى فئة التجـــار، الذي يدل اسمهم هذا على ثروتهم الطائلة بسبب تضاعف أنشطتهم التجارية[5]. ظلت هـــذه الطبقة كما تشير تسميتها الطبقة الأكثر ثراءً في المجتمع الأندلسي.

أما الطبقة العامة والتي شملت السواد الأعظم من الرعية فهي في مستوى معيشـــي منحط[6].هذا وبناءً على التفاوت الطبقي الذي عاشه المجتمع الأندلسي خلال فترة موضـوع الدراسة فإنّ الإقبال على الأطباء في نظر الباحث كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بذلك.

إنّ استحواذ الطبقة الأرستقراطية على القسم الأكبر من الثروة قـــد جعلـــها أكـــثر استهلاكا وتنوعا لمظاهر البذخ، فانتشر في أوساطها الفساد[7]، ومما يؤكد لنا ذلـــك قـــول الطبيب "أبو مروان عبد الملك بن زهر" عن أحد القادة المرابطين: " كان أكله كثيرا وكان تخليطه عظيما... وكان لا يطيع الأطباء في التحفظ في الأغذية حتى سقط في المرض"[8].

ومما ينوه إليه، أنّ إقبال الطبقة الخاصة الثرية على الفواحش وخلطها في الأكل قـد ترتب عليه ظهور أمراض في أوساطها، فاستدعى ذلك التردد على الأطباء.

---

[1] – د. إبراهيم القادري بوتشيش:مباحث التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 131.

[2] – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ص 318، 389

– د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ص 136، 273– 274

[3] – المقـــري: نفح الطيـــب،ج1، ص 221.

[4] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 93.

– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص 81،121.

- الحميري: الروض المعطـــار، ص 540.

[5] – د. إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ص 120، 136.

[6] – للمزيد من المعلومات حول التفاوت الطبقي للمجتمع في الأندلس خلال القرن الســـادس الـــهجري/ الثـــاني عشـــر الميلادي ارجع إلى:

– د. إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 131 وما بعدها.

– د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 276 وما بعدها.

– د. عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 131 وما بعدها.

[7] – كثيرا ما أشار ابن خلدون إلى البذخ وعلاقته بالفواحش، عن الموضوع ارجع للمقدمة، ج1، ص ص 218– 220.

[8] – أبو مروان عبد الملك بن زهر: كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق د. ميشيل الخوري، تقديم د. محي الديـــن صابر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1983م، ص 208.

والجدير بالذكر أنّ هذا الأمر ليس السبب الوحيد في احتكـــاك الطبقــة الخاصــة بالأطباء، بل إنّ ثراءها المادي قد ساعدها في نظر الباحث لا محالة على ذلك، لا ســيما وأنّ الأطباء كانوا يتقاضون أجرة مقابل الخدمات الطبية التي كانوا يقدمونـــها للمرضى[1]. هذا ما يدفعنا إلى الأخذ برأي الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش بأنّ الدخل الهزيل لطبقــة العوام بالأندلس هو الذي دفعهم للجوء إلـــى الطـــب الشـــعبي والاستشـــفاء بالأعشـــاب والعقاقير، فضلا عن اللجوء إلى الأولياء والمتصوفة[2].

إنّ الذي يعزز هذا الرأي هو ما أورده "ابن بسام" عن رجل يساوم طبيبا في الأجـــر الذي طلب منه دفعه مقابل الكشف عنه طبيا:

عجبت لذي سقم معضل يسوم الطبيب ويكدي عليه
يظنّ عليـــه بدينـــــاره ويجعل مهجـــته في يـــده[3]

غير أنّ هذا في نظر الباحث لا ينفي تردد الطبقة العامة على الأطباء خاصة أثنـــاء الشدائد والفتن التي كثيرا ما تعرضت لها الأندلس، كسنوات الجفاف والقحط، وغـــارات الجراد التي أتت على معظـــم المحـــاصيل الزراعيـــة بـــالأندلس مـــابين ســـنة (537-541هـ/1142-1146م)[4]. وإلى جانب ذلك ما شاهدته القـــرى الأندلســـية مـــن هجمـــات النصارى سنة (519هـ/1125م)[5] التي تسببت في انتشار الوباء الناجم عن قلـــة الغـــذاء وغلائه[6]، فاضطرت العامة هي الأخرى إلى التردد على الأطباء لا سيما أنّ هؤلاء كثـــيرا ما كان يراعون ظروفهم المادية ويعالجونهم مجانا[7].

---

[1] – ابن بسام: المصدر السابق، القسم 3، م2، ص 905.

[2] – د. إبراهيم القادري بوتشيش : المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص ص 104- 105.

[3] – ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم 3، م2، ص 905.

[4] – ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص 226.
– د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص 164.

[5] – مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص 91- 92.
– د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص 125.
– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص 173.

[6] – ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص 187.
– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج5، ص 16.

[7] – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص ص 398- 399.
- د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص 165. ـــ

وخلاصة القول، أنّ طرق الاستشفاء قد تنوعت بالأندلس بينما هو طبيعي وما هو روحاني، وأنّ الوضع المادي لطبقات المجتمع في الأندلس الذي كان يتغير بحسب الظروف السياسية والاقتصادية للمنطقة، هو الذي كان يتحكم في ذلك.

2- دور المجتمع الأندلسي في تطور الطب:

كان للمجتمع في الأندلس دور كبير في إقبال الناس على علم الطب وتطويره بهذه المنطقة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فقد كانت مختلف طبقات المجتمع تشجع أبناءها على الالتحاق بحلقات الطب، والإقبال على صناعته[1] لكي يصبحوا أطباء، إذ كانوا يرون في ذلك وسيلة لنيل درجة الاحترام والتقدير لدى المجتمع.

كان الطبيب عند هذا المجتمع "يشار إليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما شبه ذلك"[2]، من ذلك ما حظي به الطبيب محمد بن يحي بن محمد بن خليفة بن ينق الشاطبي (492-547هـ/1089-1161م) لدى المجتمع في الأندلس بدليل قول ابن الأبار: "...كان معظما في بلده ومحببا"[3].

لم يقتصر الاهتمام بعلم الطب على الطبقة العامة، بل كانت الطبقة الخاصة تشجع بدورها أبناءها بتوجيههم إلى علم الطب والحرص الشديد على ذلك، ويذكر ابن عبد الملك عن الطبيب أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت 595هـ/1198م) أنّ أباه: "ألزمه موضعا من داره وبناه عليه ولم يترك منه إلا موضعا يدخل منه الطعام والشراب إليه وأقسم أن لا يخرجه منه حتى يستظهر كتاب حيلة البرء لجالينوس، فلم يمر عليه إلا أمد قليل حتى فرغ من حفظه"[4].

- أ. جوزيف ماك كيب: مدينة المسلمين في إسبانيا، ترجمة د/ محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف، الرباط، ط2، 1985، ص 92.

[1] - ابن بسام: المصدر السابق، القسم 2، م2، ص 892 .

- جوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م، ص 137.

[2] - المقري: نفح الطيب، ج1، ص220.

[3] - ابن الأبار :التكملة، ج2، ص ص13- 14.

[4] -ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص 399.

هذا ولعل ما حظي به الأطباء من مكانة بارزة لدى الحكام المرابطين والموحدين، قد شجع مختلف الطبقات على دفع أبناءها إلى التخصص في علم الطب. وفي هـــذا المقـــام يجدر بنا ذكر وضعية الأطباء الاجتماعية، حيث انقسموا هم كذلك إلى فئتين.

فئة يمثلها أطباء البلاط، الذين يعدون من الطبقـــة الخاصـــة وكـــانت وضعيتـــهم الاجتماعية مرموقة[1]. أما الفئة الثانية، فيمثلها الأطباء الذين زاولوا مهنتـــهم بعيـــدا عـــن البلاط[2]، فكان دخلهم مرتبطا بمستوى العامة الذي كان غير مستقر بحكم الحالة الاقتصادية بالأندلس، والذي كان قائما بالدرجة الأولى على اقتصاد المغازي والحروب، وكان الوضع الاجتماعي لهؤلاء يتحسن إبان فترات الرخاء[3]، ثم يضعف خلال الأزمات فتتقشف العامـــة في معيشتها وفيما يتعلق بعلاجها[4].

وخلاصة القول، أنـــّه رغم الوضع الاجتماعي غير المستقر الذي كان يعيـــش فيـــه الأطباء بالأندلس، إلاّ أنّ هؤلاء كانوا يتمتعون في كل الأحوال باحترام المجتمع لـــهم، إذ لقـــبهم الناس بالحكماء كما سلف الذكـــر.

ومما سبق عرضه في هذا الفصل يتبين لنا، أنّ علم الطب في الأندلس قـــد حظـــي باهتمام كبير، وخاصة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث كان كـــل من المرابطين والموحدين يغدقون العطاء للأطباء ويقلدونهم المراكز العليا فـــي الدولـــة، ولهؤلاء يرجع الفضل في تطوير نظام مراقبة مهنة الطب وحسن سيرها.

وثمة سبب آخر كان له دور بالغ الأهمية في توجه بعـــض علمـــاء هـــذه الفـــترة للاشتغال بالطب والبحث فيه، يتمثل فيما بلغته طبقة الفقهاء من مكانة مرموقة لدى دولـــة المرابطين وتدخلها في شؤون الدولة، ولعل من ذلك ما قامت به هذه الطائفة من الدعـــوة لحرق كتاب "إحياء علوم الدين" للعلامة الإمام أبي حامد الغزالي لما يحويـــه مـــن علـــم

---

[1] – د. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص ص 156، 164.

[2] – المرجع نفسه، ص 164.

– د. إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص ص 126– 128.

[3] – د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 285.

– د. إبراهيم القادري بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص ص 210– 211.

[4] – ابن بسام: المصدر السابق، القسم 3، م2، ص 905.

– د. إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 128.

الفلسفة، فأدى ذلك إلى ابتعاد العلماء عن علم الفلسفة والتوجه إلى علم الطب كما سلف الذكر.

إضافة إلى ذلك، نجد أنّه كان للمجتمع في الأندلس في هذه الفترة دور في المضي قدما بهذا الفرع من العلوم، وذلك بسبب اهتمامه بالطب لما له من أهمية صحية لهذا المجتمع من ناحية، ورغبة منه لبلوغ أبنائه المناصب العليا ونيل احترام المجتمع، والحصول على لقب الحكيم من ناحية أخرى.

يضاف إلى الأسباب السالفة الذكر، والتي كانت حاضرة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي سبب آخر سابق لفترة موضوع الدراسة، كان له هو أيضا دور لا يستهان به في تطور علم الطب وازدهاره بالأندلس، ويتمثل في حركة الترجمة لكتاب الحشائش لديسقوريدوس التي قادها عبد الرحمن الناصر، وأصبحت الترجمة الجديدة هذه لهذا الكتاب الطبي حافزا كبيرا لمواصلة حركة الترجمة لمؤلفات الإغريق الطبية، بل والأكثر من ذلك شجعت هذه الترجمة الجديدة على المزيد من البحث في علم الطب والتعمق فيه خلال فترة موضوع الدراسة.

فلهذه الأسباب مجتمعة، نال الطب هذا الاهتمام الكبير من قبل الحاكم والمحكوم، إضافة إلى أسباب أخرى كان لابد من توافرها لتطوير علم الطب، وتتمثل في المؤسسات التعليمية والمنشآت الطبية، وذلك ما سيتم عرضه في الفصل الموالي.

الـــــفـــــصـــــل الثـــــاني

المنشآت الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

المبحث الأول: التعليم الطبي ومؤسساته

1-المساجد

2-المدارس و المجالس الخاصة

3- نظام التعليم الطبي في الأندلس

المبحث الثاني: المكتبات

1-خزانة القصر الأموي بقرطبة

2- المكتبات الخاصة

3- المكتبات العامة

المبحث الثالث: المؤسسات الإستشفائية

1-البيمارستانات

2- الصيدليات

حرص المسلمون في بلاد الأندلس وعلى رأسهم بنو أمية – كما سبق الذكر – على بناء حضارة إسلامية مزدهرة، ولقد تحقق لهم ذلك في عهد الخلافة الأموية بالأندلس، حيث اهتم كل من عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المنتصر بشتى مظاهر الحضارة وبخاصة الحركة العلمية بما في ذلك الطب.

لقد كانت هذه الحركة العلمية تستدعي بناء مراكز تعليمية تمثلت في المساجد والمكتبات وغير ذلك، فتحقق ذلك وتطور وازدهر في عصر الخلافة الأموية، ولاسيما في عصر الخليفة الحكم المستنصر أكثر خلفاء بني أمية حبا للكتب، حيث بلغت لديه أربعمائة ألف مجلد.

ولكن هذه المنشآت التعليمية شأنها شأن الأحداث السياسية بالأندلس كانت تمر هي الأخرى بحركة مدّ وجزر، وازدهار ثم تراجع. ففي عصر الفتنة القرطبية (399هـ-422هـ/1008-1031م) تعرضت بعض هذه المنشآت للهدم منها مدينة الزهراء التي هدمت عن آخرها. إلا أنه ومع عودة الاستقرار السياسي وهدوء الأوضاع عامة بالأندلس بمجيء المرابطين والموحدين من بعدهم شهدت المنطقة إثراء للحركة العلمية، وان الطب أكثر الفنون استحواذا، حيث اهتم كل من المرابطين والموحدين بهذا الفرع من العلوم.

في هذا الفصل عرض لأبرز المنشآت الطبية بالأندلس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

المبحث الأول

التعليم الطبي و مؤسساته

لقد كان تعليم الطب في بلاد الأندلس من أهم مظاهر تطور هذا الفن في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وما كثرة الأطباء المشهورين في هذه الفترة إلا نتيجة لذلك الازدهار الذي شهده هذا الفرع من العلوم.

وفيما يلي عرض لأبرز المؤسسات التعليمية الطبية في الأندلس وطرق التدريس فيها.

1- المساجد:

كان للمسجد منذ الأيام الأولى للدولة الإسلامية عدة مهام؛ دينية، وسياسية واقتصادية، واجتماعية، وعلمية، ولم تقتصر الوظيفة العلمية له على العلوم الدينية فحسب، بل جمعت بين العلوم الدينية والدنيوية[1]، وخاصة بعدما أصبح المسجد مركزا علميا يحصّل فيها طلاب العلم علومهم، بل وأكثر من ذلك أصبح يقوم بوظيفة المدرسة التي استحدثت في عصر متأخر[2]. فساهم المسجد بذلك في تطوير الحركة العلمية بالأندلس.

وقبل الحديث عن المرحلة التعليمية الثانية [3] التي كانت تتم في المسجد أو المدرسة، فإنّ أبناء الأندلس كانوا يدرسون مبادئ القراءة والكتابة وأولويات علوم الدين واللغة والشعر في المحاضر[4]؛ وهي عبارة عن أماكن خاصة توجد بجوار المسجد أو في أحياء المدينة، وفيها يهيؤ التلاميذ ويحضّرون للمرحلة الثانية، ولذلك سميت

---

[1]- د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1971، ص 346.

[2]- ظهرت أولى المدارس في العصر السلجوقي وبالتحديد منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وذلك على يد الوزير نظام الملك، وقد نسبت هذه المدارس إلى مؤسسها فعرفت باسم المدارس النظامية.
- د. أحمد شلبي: التعليم والتربية عند المسلمين، ضمن دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، مصر، 1985، مجلد 1،ص 64.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، الجزء 2، ص 701.

[4]- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي): العواصم من القواصم، تحقيق د. عمار طالبي، نشره بعنوان "آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ج2، ص 496. ابن خلدون: المصدر السابق ، ج1، ص207.

بالمحضرة[1]، وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره[2].

ولقد اعتنى الأمويون بإنشاء المحاضر وتعميمها في الأندلس، إذ يذكر ابن عذاري المراكشي أنّ من مآثر الخليفة الأموي الحكم المستنصر (350هـ-366هـ/961م-976م) بناء سبعة وعشرين محضرة بقرطبة؛ ثلاثة بجوار المسجد الجامع، وأربعة وعشرين موزعة في أحياء قرطبة، ليدرس فيها أبناء الضعفاء والمساكين، وأنّه خصص للمؤدبين فيها مرتبات[3]. وفي أواخر الدولة الأموية ارتفع عدد المحاضر بقرطبة إلى أكثر من ستين محضرة[4].

في عصر المرابطين وأمام اهتمام هؤلاء بالحركة العلمية اتسعت حركة التعليم في المحاضر، فكثر بذلك عدد المتعلمين والمترددين عليها[5]. ولقد زادت هذه الحركة اتساعا في عصر الموحدين وبخاصة بعدما أصبح التعليم بالمحاضر معمما و إجباريا على فئة الصبيان[6].

وكانت هذه المرحلة التعليمية الأولى تنتهي بالحدقة أو الختمة، حيث يحدد من خلالها قدرات التلميذ[7]؛ فإمّا أن ينقطع عن التعليم ويتجه إلى صنعة، وإمّا أن ينصرف إلى المسجد للتبحر في العلوم[8].

ـــ د. محمد بنشريفة: الأندلسيون من خلال أدبهم، المعهد الجامعي للطباعة، الرباط، 1972م، ص 97.
-Levi Provençal: Séville Musulmane, p p53-55.

[1]- د. محمد بنشريفة: المرجع السابق، ص 97.

[2]- د. كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى من المعيار المعرب للونشريسي، دار النشر للثقافة، الإسكندرية، مصر، 1991، ص 113.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص ص 240-241.

[4]- ابن بسام: المصدر السابق، ق 1، م1، ص 44.

[5]- د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص400-401.

[6]- د. محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 1369هـ/1950م، ص 33.

[7]- د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 374.

[8]- الحسن السايح: الحضارة المغربية البداية والاستمرار، منشورات عكاظ، الرباط، 2000م، ج2،ص 67.

لذلك يأتي المسجد كأهم مؤسسة تعليمية يتلقى فيها الطلبة المتفوقون النجباء جميع العلوم والمعارف التي كانت منتشرة في ذلك العصر بما فيها الطب، ومما يؤكد لنا ذلك قول القاضي أبي بكر بن العربي (468-543هـ/1075م-1148م): "...ولا يفرط في علوم الفرائض فإنها أصل الدين، وهو أول ما يذهب من المسلمين، فبالسنة يفرضها وبالحساب يقسمها، ولا يخلي نفسه عن الأنساب، ولا عن شيء من أصول الطب..."[1]، وهذا النص شاهد على أن المسجد كان مؤسسة تعليمية هامة يدرس فيها جميع العلوم،ولم يكن يقتصر على الدراسات الدينية فحسب. وأن علم الطب كان من العلوم الرئيسية التي تدرس في المسجد شأنها في ذلك شأن العلوم الدينية. هذا فضلا عن ما ذكره أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (494-578هـ / 1100-1182م) من أن أبا الحسن الزهراوي (ت 417هـ/1026م) كان يدرس الطب في المسجد الجامع بغرناطة[2]. الأمر الذي يؤكد مرة أخرى أهمية علم الطب بالأندلس حتى أنه كان يدرس في مساجد الحواضر الأندلسية الكبرى، مع العلم أن المسجد الجامع بغرناطة يعتبر من أبرز المساجد الجامعة بالأندلس، ولأهميته أعيد تجديده من طرف المرابطين عام 510هـ/ 1116م[3]

وفي هذه المرحلة يتحدد المستوى العلمي للطالب، ونجابته في علم من العلوم، والتي سبق وأن اطلع عليها، لتأتي مرحلة ثالثة والتي يتخصص فيها الطالب في علم معين على يد أساتذة مختصين، وفي هذا الصدد يقول أبو بكر بن العربي : "... ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء جزء منها، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم..."[4] وان دل هذا على شيء إنما يدل على إدراك أهل الأندلس لأهمية التخصص في العلوم ودعوتهم إلى ذلك، الأمر الذي يؤكد أنهم كانوا سباقين إلى ظاهرة " التخصص " في العلوم ، كما يؤكد في الوقت نفسه على تطور العلوم و ازدهارها و تشعبها حتى ظهرت الدعوة للتخصص

---

[1] – ابن العربي : العواصم من القواصم، ص 497.

[2] – ابن بشكوال : الصلة، ج2، ص413. – د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 351.

[3] – جيمس دكي: المرجع السابق, ج1, ص168.

[4] – ابن العربي : المصدر السابق، ص 497.

في أحدها. وقد ذهب ابن خلدون إلى نفس الرأي؛ حيث لم يكتف بالدعوة إلى التخصص فقط ، بل نهى من أن يخلط في التعليم علمان معا[1].

لقد عُرف الأندلسيون بحبهم للعلم وشغفهم الكبير في تعليم أبنائهم العلوم، وذلك حتى يتسنى لهم فرصة بلوغ أعلى الشهادات والفوز بالوظائف العليا، ومما يؤكد ذلك وصية كتبها الشيخ الفقيه القاضي عيسى بن عمران (ت578هـ/1182م) لابنه يحثه على طلب العلم، مبيّنا له أنّه الوسيلة المثلى لنيل المناصب العليا، وجاء فيها قوله: "...فأدرس ترأس واحفظ تحفظ واقرأ ترقا"[2].

إنّ هذا الحرص على التعلم دفع الأندلسيين إلى المساهمة في بناء المساجد والزيادة فيها، والتبرع بالضيعات والبساتين والمتاجر[3] والمساكن[4]، لكي تساهم في صرف رواتب المعلمين والأساتذة؛ من ذلك ما قام به الخليفة الأموي الحكم المستنصر من تجبيس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين كانوا يعلمون أولاد الفقراء بهذه المدينة[5].

ترتب على ذلك تزايد عدد المساجد بالأندلس، فيذكر الجغرافي عبد الله بن عبد العزيز البكري (405-487هـ/1014-1094م) أنّ عددها بقرطبة وصل إلى واحد وتسعين وأربعمائة مسجد[6]، في حين يحددها ابن عذاري المراكشي ــ والذي عاش في عصر الموحدين ــ أنّها بلغت في المدينة نفسها ثلاثة آلاف مسجد[7]. أما غرناطة فكانت تضم مائتي مسجد أبرزها المسجد الجامع الذي أعيد تجديده في عهد المرابطين سنة 510هـ/1116م[8] كما سلف الذكر.

---

[1] – ابن خلدون : المقدمة، ج2، ص 702.

[2] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 263.

– ابن القاضي المكناسي (أحمد بن محمد بن أبي العافية): جذوة الاقتباس في ذكر من حل بمدينة فاس، الرباط، 1973، ج2، ص 384.

[3] – الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق د. محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ/1981م، ج7، ص ص 12،40،51،56،133،137.

[4] – ابن الأبار : التكملة، ج1، ص 254.

[5] – ابن حيان القرطبي(أبو مروان بن خلف بن حسين بن حيان): المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق د. عبد الرحمن علي الحجي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 207.

[6] – البكري :جغرافية بلاد الأندلس، ص 104.

[7] – ابن عذاري :البيان المغرب، ج2، ص 232 .

[8] – جيمس دكي: "غرناطة مثال من المدينة العربية بالأندلس"، مقال نشر ضمن منشورات،مركز دراسات الوحدة العربية،تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص153.

كانت هذه المساجد من أهم مراكز العلم وكانت تزخر بعدد كبير من الطلبة، نذكر على سبيل المثال أن عدد الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلس سليمان بن حرب قدر بثلاثة آلاف طالب[1].

هكذا إذن ساهم المسجد مساهمة كبيرة في تطور الحركة العلمية بالأندلس شأنه في ذلك شأن المدارس والتي سنوضح دورها العلمي فيما يلي.

2- المدارس و المجالس الخاصة:

لعبت المدارس هي الأخرى دورا كبيرا في استقبال الطلبة وتلقينهم العلوم، وعلى الرغم من إغفال المصادر تاريخ إنشائها وظهورها بالأندلس[2]، إلا أنه واستنادا على ما ذكره ابن الأبار حول الفقيه المقرئ محمد بن أحمد بن عمار بن التجيبي (477-519هـ/1084-1125م) على أنه ألف كتابا بعنوان "روضة المدارس وبهجة المجالس"[3]، إنّ ذلك يوحي بوجود المدارس بالأندلس في عهد المرابطين.

وفي عهد الموحدين تزايد عدد المدارس بالأندلس، إذ يشير ابن أبي زرع إلى أنّ الخليفة الموحدي المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (580هـ-595هـ/1184م-1198م)[4]:"...بنى المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس"[5].وبذلك يرجع الفضل للموحدين مرة ثانية للمضي قدما بالتعليم ومؤسساته، فبعدما استحدثوا إجبارية التعليم في المحاضر، فها هم مرة أخرى يبادرون لإنشاء المدارس في الأندلس حرصين على أن يحدوا حدو المشارقة الذين استحدثوا المدارس في

---

[1]- هو سليمان بن حرب بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي القرطبي، ولد 403هـ/1012م، وكان يعتبر أحد أئمة المسلمين، توفي 474هـ/1081 م .
- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص ص 201-202.

[2]- تضاربت الآراء حول تحديد تاريخ ظهور المدرسة كمنشأة تعليمية رسمية بالأندلس، فيرى البعض أنّها ظهرت في عهد المرابطين في حين يرى البعض الآخر أنّها ظهرت في عهد الموحدين.
- د. إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص ص 62-63.
- د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ص 369-370.

[3]- بن الأبار : التكملة، ج1، ص 344.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 334، 336.
- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص159-160.

[5]- ابن أبي زرع :المصدر السابق، ص 217.

الأندلس بالمشرق خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي العشر الميلادي كما سلف الذكر. وفي نظر الباحث فانه بعد إجبارية التعليم الذي استحدثه الموحدون قد صاحبه زيادة في عدد الطلبة سواء في المساجد، الأمر الذي أدى في النهاية إلى استحداث المدارس و التي كانت تؤدي نفس دور المساجد والتي ومما لاشك فيه قد ضاقت بعدد الطلبة فأنشئت المدارس لتخفيف عدد الطلبة عنها.

كانت هذه المدارس كثيرة الانتشار خاصة في الحواضر الكبرى[1]، وكان معظمها يشمل على غرف لإقامة الطلبة الغرباء وللراحة في أوقات الفراغ ولخزن الأمتعة. كما كان يوجد بها أيضا قاعة كبيرة للدراسة، وفي وسط المدرسة، يوجد صحن مكشوف فيه حوض ماء[2]،وهذا شبيه بالمسجد.ومما ينوه أليه فان المدرسة قد أخذت نفس دور المسجد التعليمي، ولقد سبق وأن ذكرنا بأن المسجد كان يتم فيه تدريس جميع العلوم بما في ذلك الطب ، لذلك ففي نظر الباحث فان الطب كان يدرس أيضا في المدارس مثلما كان يدرس في المسجد كما سلف الذكر .

أما إدارة المدرسة فكانت تحت إشراف الناظر، والقيّم الذي يتولى عملية الكنس والفرش وحفظ الحصر والقناديل للإنارة، فضلا عن البواب الذي يتولى حراسة المدرسة. أما عملية التدريس فكان يتولاها المدرس أو الأستاذ[3].

كان هؤلاء يمارسون وظائفهم هذه بأجرة، وكان مصدرها خراج الأوقاف[4]، كما أنّ قسما منها كان يخصص للطلبة الفقراء[5]، وهذا يدل على مدى عناية المجتمع الأندلسي بطلبة العلم وتبجيله لرسالة العلم والمعرفة. أما الطلبة الميسورون فكانوا يدرسون بأجرة، ومما يؤكد لنا ذلك قول ابن عبد الملك أن العالم المدرس عمر بن محمد بن عمر بن عبد

---

[1]- د. كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 117.

[2]- د. حسن علي حسن: المرجع السابق ص 401.

- د. محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان ،1953م، ص 299.

[3]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص 18.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 17-18، 342.

- د. كمال السيد أبو مصطفى: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1993، ص 209.

[5]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7 ، ص 133.

الله الإزدي الإشبيلي (562-645هـ/1166-1247م) كان يتقاضى من طلبته أربعة آلاف درهم في الشهر الواحد[1]، وفي نفس الصدد يقول المقري: "...فهم يقرؤون جميع العلوم بأجرة..."[2]

هكذا إذن، عملت المدرسة جنبا إلى جنب مع المسجد في تتميم مهمة تدريس العلوم بما في ذلك الطب بالأندلس.

والى جانب المدارس لعبت المجالس الخاصة هي الأخرى دورا كبيرا في تدريس الطب وتطوره بالأندلس و التي كانت تنظم في قصور الأمراء و بيوت الأطباء .

لقد احتضنت قصور الأمراء في عصر المرابطين و الموحدين الدراسات الطبية، وان لم تظهر كمؤسسة تعليمية عامة، فإنها أدت رسالة علمية تحاكي في عظمتها المؤسسات التعليمية آنذاك؛ حيث أتاحت للأطباء فرص الاجتماع للمناقشة والمباحثة في أمور الطب، ومن ذلك ما حدث في قصر الأمير المرابطي على بن يوسف(500-537هـ/1106-1142م)[3]عندما أصيب بمرض حصاة في كليته، وعجز الأطباء المختصون عن علاجه، استدعي الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر الذي وفق في علاجه، فاستغرب الأمير وجلساؤه من الأطباء لذلك[4]، الأمر الذي دفع الجميع للنقاش حول الموضوع. ونقاش طبي آخر دار بين الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر ومجموعة من الأطباء حول مرض أصيب به الأمير المرابطي سنغور بن علي بن يوسف بن تاشفين بإشبيلية، وفيه يقول الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر:"... فإنّ الورم حينئذ يخبث، وقلما يؤثر العلاج فيه وخاصة إن اسودت أجراف الورم وصلبت، كما عرض للشقي سنغور...فوجدته وحوله أقوام متطببون. فعرض عليّ أمره وأخرج قدمه وكاد يضعها في حجري، على ما عوده أولئك المتطببون فانكمشت. ورأيته قد فسدت

---

[1]- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي) : الذيل والتكملة، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، 1965، السفر 5، القسم 2، ص ص462- 464.

[2] - المقري: نفح الطيب، ج1، ص 220.

[3]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج4، ص ص 45، 100.

- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص 83، 85، 120.

[4]- ابن زهر: التيسير، ص ص 277-278.

أجراف الموضع، فقلت ليس يمكنك أن تبرأ حتى يزيل صانع اليد هذه الأجراف السود. فخارت طباعه وقال أطباءه إرضاءً له وجريا في هواه، ونسوا وصايا القدماء في ترك المداهنة، قالوا وبالأدوية يمكن إزالتها. فقلت لهم أما أنا فلا أرى ذلك ولا أفتي به ولا أغرر فإن الدواء الذي يزيل ذلك ويذهبه إنّما يكون من الأدوية الحادة وليس يصل إلى إذابة هذا اللحم الفاسد إلا وقد غيّر ما وراءه فيعود فاسدا. فزعموا أنهم يفعلون ذلك فقلت أما أنا فلا أقدر على هذا وخرجت عنه..."[1]. كما كان الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1198م) هو الآخر يشارك مجالس الأطباء ويستمع إلى نقاشهم العلمي[2] وعلى رأسهم الطبيب أبو الوليد بن رشد وفي ذلك يقول ابن أبي أصيبعة: "...ومما كان في قلب المنصور من ابن رشد أنّه كان متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بأن يقول تسمح يا أخي"[3].

هذه اللقاءات وإن لم تكن دروسا بالمعنى التقليدي من نوع ما كان يقدم في المساجد والمدارس، إلاّ أنّها كانت مناظرات يعرض من خلالها الأطباء قدراتهم العلمية وتفوقهم فيه. ومما لا شك فيه، أنّ وجود مثل هذه الجلسات العلمية تعد حافزا كبيرا للبحث في علم الطب والإبداع فيه.

فضلا عن قصور الأمراء ظهرت بالأندلس في فترة موضوع الدراسة بيوت الأطباء التي ساهمت بدورها في إشعاع علم الطب، إذ يستقبل فيها الأطباء الطلبة الراغبين في الأخذ عنهم، والتوسع في المعارف الطبية. ومن أبرز الأطباء الذين قاموا بهذا الدور أبو مروان عبد الملك بن زهر[4]، وابنه أبو بكر محمد بن زهر (ت595هـ/1198م)[5] الذي قال فيه ابن أبي أصيبعة:"كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى إليه من الطلبة اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب فترددا إليه ولازماه مدة وقرأ عليه شيئا

---

[1]- ابن زهر : المصدر السابق، ص 388.

[2]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 49.

[3]- ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 532.

[4]- ابن الأبار : التكملة، ج2، ص ص 937،998. خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 70.

[5]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 207.

من كتب الطب"[1]. فضلا عن الطبيب أبي الوليد بن رشد[2]، الذي تردد عليه جملة من الطلبة[3] من بينهم أبو عبد الله الندرومي[4]. كما عرف عن الطبيب النباتي أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي المعروف بابن الرومية أنّه كان: "... سمحا لطلبة العلم..."[5]. ومما يؤكد على هذه المجالس أيضا، هو أن أبا جعفر بن الغزال[6]وعلى حد قول ابن أبي أصيبعة :" أتى...إلى الحفيد أبي بكر بن زهر ولازمه حق الملازمة وقرأ عليه صناعة الطب وعلى غيره حتى أتقن الصناعة"[7].

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أنّ الأندلس قد عرفت أيضا صنفا آخر من الدروس. فمع حرص بعض الأطباء على توريث علم الطب لأبنائهم، فإنّهم كانوا يلقنونهم دروسا في الطب، من ذلك ما حدث للطبيب أبي العلاء بن زهر (ت 525هـ/1130م) حيث شغّله أبوه في الطب وهو مازال في ريعان طفولته[8]، وهو بدوره درّس ابنه أبا مروان عبد الملك الطب من خلال ما حصل عليه من تجارب[9]. فضلا عن الطبيب عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن إبراهيم بن الوليد المذحجي (528-612هـ/1133-215م) الذي أخذ بدوره علم الطب عن أبيه الطبيب محمد بن عبيد الله المذحجي[10]، ولقد توارثت

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 523.

[2]- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 328.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 537.

[4]- أبو عبد الله الندرومي: وهو أبو عبد الله محمد بن سحنون الملقب بالندرومي نسبة لمدينة ندرومة من ضواحي تلمسان بالمغرب الأوسط، ولد بقرطبة نحو عام 580هـ/1184م.رجل فاضل مفرط الذكاء أديب ومحدث، تعلم الطب على مجموعة من الأطباء من بينهم أبي الوليد بن رشد. دخل هذا الطبيب في خدمة الخليفة الموحدي محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالناصر لدين الله (595-610 هـ/1198-1213م).
- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 537.

[5]- ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد):الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1394هـ/1974م، المجلد1، ص 208.

[6]- أبو جعفر بن الغزال: ولد بقنجيرة من أعمال مدينة المرية بشرق الأندلس ، وهو طبيب عالم بتركيب الأدوية ومعرفة مفرداتها، خدم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م) وكان هذا الأخير يعتمد عليه في ذلك. توفي هذا الطبيب الصيدلي في أيام الخليفة الموحدي الناصر لدين الله.
- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 536.

[7]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[8]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 517.

[9]- ابن زهر: المصدر السابق، ص 12.

[10]- ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 315.

هذه العائلة علم الطب أبا عن جد وأنّ جدهم الأكبر الطبيب الوليد المذحجي هو الذي دخل إلى الأندلس مع عبد الرحمن الداخل سنة (138هـ/755م) وكان طبيبه الخاص والمدبر لعلاجه وحفظ صحته[1]. كما أخذ الطبيب العشاب أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي المعروف بابن الرومية، والذي أخذ علم الطب عن أبيه وجده[2]. والطبيب الصيدلي أبو يحي بن قاسم الإشبيلي الذي كان يشرف على خزانة الأشربة والمعاجين في قصر الأمير الموحدي أبي يعقوب يوسف (558-580هـ/1162-1184م)، فلما توفي هذا الطبيب خلفه ابنه يحي في إدارة خزانة القصر[3].

لم يقتصر تعلم الطب في الأندلس على الجانب النظري، بل كان له جانب تطبيقي يمارس في البيمارستانات[4] أو العيادات الخاصة[5]، يقوم به الأطباء المدرسون بحضور الطلبة قصد اختبار مستوى معارفهم، والتي سبق وأن تحصلوا عليها في المسجد أو المدرسة. والمادة المنطلق منها في هذه الدروس التطبيقية هم المرضى، فبعد فحص الطبيب للمريض، يطالب الطالب بفحص المريض نفسه، ثم يسأل الأستاذ الطبيب طالبه عما يعرفه عن المرض المشخص، وعن كل ما لديه من معلومات حول ذلك المرض، وفي الأخير يفسر له ما غمض عليه في الفحص[6]، ودليلنا على ذلك قول ابن أبي أصيبعة: "حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال سألت القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري[7]

---

[1]- ابن الأبار : التكملة، ج4، ص 151.

- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 39.

[2]- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 2، ص 512.

[3]- ابن جلجل:المصدر السابق، ص 79. عبد العزيز بنعبدالله: أسرة بني زهر مدرسة رائدة، ص37.

[4] - د. عبد الناصر كعدان : طب الكسور في الطب العربي الإسلامي، سلسلة التراث الطبي العربي الإسلامي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط 2، 1420هـ / 1999، ص ص 57-58.

- شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1397 هـ/ 1987، ص 305.

[5]- كانت هذه التسمية متداولة في المغرب والأندلس منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي إذ يذكر ابن جلجل أثناء تناوله لسيرة الطبيب ابن الجزار القيرواني أنّ عيادته كانت تغص بالناس.

- ابن جلجل : المصدر السابق، ص 89.

[6]- خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 67..

-Lucien Leclerc: op. cit. t1, pp. 571-572.

[7]- أبو بكر بن القاضي بن أبي الحسن الزهري: رجل فاضل عالم بالأدب والطب تولى القضاء بمدينة إشبيلية،

عن سبب تعلمه صناعة الطب فقال لي ... لا بد أن اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لأنعت به ويزول عني وصف الشطرنج... فعدلت إلى أبي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب وكنت أجلس عنده وأكتب لمن جاء مستوصفا من المرضى الرقاع واشتهرت بعد ذلك بالطب..."[1]

و الحاصل، فإنّ الطب بالأندلس، كان يدرّس في مؤسسات تعليمية عامة من مساجد ومدارس، فضلا عن أماكن أخرى ساهمت بدورها في تدريس علم الطب وتطويره، كالقصور الأميرية، وبيوت الأطباء بصفة نظرية، إلى جانب الدروس التطبيقية التي كانت تتم في البيمارستانات والعيادات الخاصة، والتي ساهمت بدورها في تطور هذا العلم بالأندلس.

- نظام التعليم الطبي في الأندلس:

كان نظام التعليم في الأندلس يتم وفق مراحل متباينة، تتمثل الأولى في المحضرة والتي يلتحق بها الصبي في سن مبكر، وفي سن البلوغ يتردد التلميذ على المسجد أو المدرسة[2]، مع العلم أنّ أقصى حد لهذه المرحلة من التعليم لا تتجاوز عشر سنوات[3]، ليبدأ بعد ذلك الطالب في المرحلة الأخيرة بالأعمال التطبيقية في البيمارستانات والعيادات الخاصة تحت إشراف وتوجيه أطباء أساتذة.

إنّ هذه المرحلة تستغرق فترة زمنية، إذ يذكر الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر أن ممارسة الطب تستدعي دربة جيدة على يد معلمين ولمدة طويلة[4].

كانت الدراسات الطبية بالأندلس تقام على مستوى عال، حيث كانت تتم عن طريق التحليق، أي إقامة حلقات أو مجالس من الطلبة يتقدمها الطبيب العالم "...المستحضر

ـــ وقد كان يطبب الناس بدون أجرة، عاش خمسا وثمانين سنة وتوفي في عهد الأمير الموحدي يوسف بن محمد بن يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالمستنصر بالله (610-620هـ/1213-1223م)
ودفن بإشبيلية. أنظر، ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 536.

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ،ص 536.

[2]- لقد نهي الفقهاء في القرن 6هـ/12 م عن التحاق التلاميذ بالمساجد للدراسة قبل سن البلوغ (الاحتلام) وهذا تجنبا للنجاسة التي قد يتسبب فيها الصبي بالمسجد. الونشريسي : المصدر السابق،ج7، ص 36.

- Levi Provençal: Séville Musulmane, p53.

[3]- الونشريسي: المصدر السابق، ج 7 ، ص 7.

[4]- ابن زهر : التيسير، ص 27.

لنصوص العلماء المتقدمين كديسقوريدوس وأبقراط وجالينوس وأرسطو والمتأخرين كالرازي وابن سينا والزهراوي وابن زهر وابن رشد، والعارف بالعقاقير والأعشاب ينص ما يسأل عنه من ذلك لأول وهلة، ويفتي فيه إملاء من حفظة على الطلبة"[1].

يفهم من النص أنّ محتوى الدراسة الطبية بالأندلس، كان يقوم على الكتب الطبية أساسا وعلى مذهب المدرس نفسه وتوجيهاته، ومما يؤكد ذلك أيضا قول ابن أبي أصيبعة في سياق حديثه عن الطبيب الأندلسي الشهير أبي العلاء بن زهر:"...لم يزل يطالع كتب الأوائل متفهما ويلقى الشيوخ مستعلما ... حتى برز في الطب..."[2] .علما أنّ الأساتذة الأطباء كانوا هم كذلك متأثرين بمن سبقهم من العلماء، فالطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر كان متأثرا بجالينوس[3]، والطبيب أبو الوليد ابن رشد بأرسطو[4]، بينما الطبيب النباتي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار كان متأثرا بديسقوريدس وجالينوس[5].

هكذا إذن، يتبين أنّ محتوى الكتاب الطبي ظل أهم مصدر لتدريس الطب بالأندلس[6]، ومما ينوه إليه أنّ أطباء الأندلس في فترة موضوع الدراسة كانوا يعتمدون بخاصة في تدريسهم للطب على مصنفات الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر[7].

أما مهمة الأستاذ فكانت تتمثل في إثراء جلسات الطب بالتحليل والنقاش والشرح المستوفى لتقريب فهم الطلبة من المسائل الطبية المتشعبة، وإملاء الشروح على الطلبة لحفظها والعمل بها أثناء الممارسة الميدانية[8]. مع العلم أنّ الأطباء الأساتذة بالأندلس كانوا

---

[1] – مؤلف مجهول: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1984، ص ص 54–55.

[2] – ابن أبي أصيبعة :المصدر السابق ، ص532 .

[3] – ابن زهر :التيسير، ص 247.

– د. فراشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السبق، ص 187.

[4] – المرجع نفسه، ص ص187، 200.

[5] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 601.

[6] – ابن عبد الملك: المصدر السابق،السفر6، ص 399.

– مؤلف مجهول: بلغة الأمنية و مقصد اللبيب، ص ص 54– 55.

[7] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص519.أنظر أيضا ، المقري: نفح الطيب، ج3، ص 199.

[8] - Levi provençal: Séville Musulmane p103.

حرصين على تلقين طلبتهم علم الطب بطريقة مشوقة، ومما يدل على ذلك قول ابن عبد الملك عند ترجمته للطبيب أبي الوليد بن رشد أنه كان: "...كثير الإنشاد لشواهد شعري حبيب والمتنبي، والإيراد للحكايات والأخبار وتنشيطا لطلبة العلم بمجلسه..."[1].كما يؤكد هذه الظاهرة أيضا ابن أبي أصيبعة عند حديثه عن الطبيب العشاب ابن الرومية أنه:"...كثير الكتب ... سمحا لطلبة العلم، ربما وهب منها لملتمسه الأصل النفيس الذي يعز وجوده احتسابا و إعانة على التعليم..."[2].

ومما ينوه إليه أيضا، أنّ الأستاذ الطبيب كان يستوجب أن تتوفر فيه الشروط التالية:

1- أن يكون عالما ملما بالمعارف النظرية والتطبيقية لعلم الطب.

2- أن يشيع فيه التدين[3].

3- أن يتحرى الصدق حتى في الأمور التي لا تتصل بالعلم؛ لأن افتقاده لذلك يمكن أن يؤدي إلى نتائج سيئة[4].

4- ألا يكون صاحب عادات تؤخذ عليه[5].

5- أن يكون بشوشا واجتماعيا سخيا في ملاحظاته.

6- أن يحرض الطالب ويرّغبه في العلم ويكون المثل الأعلى[6].

تنتهي هذه المرحلة الدراسية بإجراء امتحانات نظرية وأخرى تطبيقية يتحصل بعدها الطالب على شهادة أو إجازة، وهي عبارة عن وثيقة تصدر عن الأستاذ[7]، تؤكد على

---

[1]- ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، السفر 6، ص 22.

[2]- ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غر ناطة ،م 1 ،ص 208 .

[3]- ابن خير (أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي): فهرست من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق الشيخ فرنستكة قداده زيدين، مطبعة قومس، سرقسطة، إسبانيا، ط2، سنة 1963م، ص19.

[4]- المصدر نفسه، ص 15.

[5]- المصدر نفسه، ص 20.

[6]- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 573. - ابن خير: المصدر السابق، ص 20.

[7]- ابن شكوال:المصدر السابق،ج2، ص ص574،577. ابن خير:المصدر السابق، ص ص425،456.
- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي): كتاب صلة الصلة، تحقيق: د.عبد السلام الهراس، الشيخ سعيد أعراب، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب 1413هـ/ 1993م، القسم3، ص 35.

تفوق الطالب وقدرته على ممارسة مهنة الطب، وفيها يقول ابن بشكوال:"الإجـــازة قويـــة وهي رأس مال كبير"[1]، ومما يستحق الذكر أنّ الإجازات لم تكن تسلم بطريقـــة جزافيـــة، والدليل على ذلك أن العالم الأندلسي أبا العباس الوليد بـــن بكـــر الغمـــري السرقســـطي (ت392هـ/1001م) قد وضع كتابا في ذلك، محددا شروط الحصول عليها، بعنوان "الـــو جازة في صحة القول بالإجازة"[2].

مع العلم أنّ الطالب المتفوق في الدراسات الطبية، لا يمكنه ممارسة مهنة الطب إلا بعد تعهده بعهد أو قسم أبقراط[3]، وهو عبارة عن مجموعة من الالتزامات التي يجب علـــى الطبيب الالتزام بها عند ممارسته لمهنة الطب؛ كعدم إفشاء أسرار المريض، أو تقديم السمّ له أو إسقاط الأجنة أو إعطاء ما يسبب للنساء ذلك من الأدوية، وعليه أيضـــا أن يغـــض بصره عند دخوله على المرضى. وقبل ذلك عليه أن يكون مطلعا على أجـــزاء الجســـم ووظيفة كل عضو فيه، والأمراض التي يمكن أن يتعرض لها هـــذا الأخـــير، وأســـبابها وأعراضها وعلاماتها والأدوية النافعة لها، واستبدالها بأخرى إن لم توجد الأولى، وإن لـــم يكن الطبيب ملما بهذه الأمور فلا يحق له مداواة المرضى وعلاجهم[4].

أما صانع اليد (الطبيب الجراح)، فعليه معرفة كتاب جالينوس الخاص بالجراحـــة، وكتاب الطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي "التصريف لمن عجز عن التـــأليف"، كما عليه أن يعرف التشريح وجسم الإنسان وما فيه من العضلات والعروق والشـــرايين والأعصاب؛ ليتجنب أي طارئ أثناء إجراء العمليات الجراحية[5].

---

[1]- ابن بشكوال : المصدر السابق، ج1، ص 204.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص ص 642- 643.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 25.

- ابن زهر: التيسير، ص 256. د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص ص 284- 285.

[4]- د. حربي عباس عطيتو محمـــود ود. حسان حلاق: العلوم عند العرب، أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضـــة العربية، بيروت، لبنان، 1995، ص 304.

[5]- المرجع نفسه، ص 305.

وعند فحص الطبيب للمريض، ينبغي أن يسأل هذا الأخير عن سبب مرضه، ومن أية جهة من بدنه يتألم، ثم يفحصه ويأخذ نبضه[1]، ثم يصف له دواءً من الأشربة أو سواها، فيكتب له وصفة طبية بذلك مرفوقة بوصفة لحالته المرضية. وفي اليوم الثاني يسأل الطبيب عن مريضه لمتابعة حالته إلى أن يشفى[2].

هكذا إذن كان نظام تعليم الطب بالأندلس يتم على يد أطباء أساتذة مختصين، وكلن هؤلاء يعتمدون على مؤلفات من سبقهم في هذا الفرع من العلوم- وكل حسب تأثره بمن سبقه- موضحين ما قد يكون غامضا في مؤلفات هؤلاء الأطباء.

لم يكن اعتماد الأطباء الأساتذة على مؤلفات من سبقهم في علم الطب، وشرحهم لما هو غامض فيها، السبيل الوحيد لتدريس الطب بالأندلس، بل لقد كان للدروس التطبيقية والتي كانت تتم في البيمارستانات والعيادات الخاصة دورها هي الأخرى في إثراء تعليم الطب بالأندلس، وكان يتم ذلك تحت إشراف الأستاذ الطبيب. ومن هنا يتبين دور هذا الأخير في تدريس علم الطب بالأندلس، وتدريبه ميدانيا للطلبة، فضلا عن أهمية الكتاب الطبي كأهم مصدر لذلك.

وفي المبحث التالي توضيح لدور المكتبات في تطور تدريس الطب بالأندلس.

---

[1]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، 517.

[2]- د. حربي عباس عطيتو : المرجع السابق، ص 304.

المبحث الثاني

المكتبات

استقرت الأوضاع السياسية بالمنطقة مع قيام الدولة الأموية بالأندلس (سنة138هـ/756م)، فازدهر الاقتصاد واتسع العمران، الأمر الذي جذب إلى الأندلس كثيرا من العلماء والطلاب سواء من داخل المقاطعات الأندلسية أو من خارج الأندلس نفسها، حتى أصبحت قرطبة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) العقل المفكر لمقاطعات الغرب الإسلامي[1].

وفي ظل هذه الظروف السياسية والاقتصادية، اتسعت حركة التعليم بالأندلس، وتزايدت هواية الكتب، مما أدى بدوره إلى تزايد مصانع الورق. ففي القرن السادس الهجري ظهرت مراكز جديدة لصناعة الورق لا سيما في مدينة بلنسية[2]، وكانت من قبل مرتكزة بشرق الأندلس وبالتحديد في مدينة شاطبة[3]. و مع زيادة مصانع الورق، وازدهار حركة النسخ[4]، انتشرت المكتبات بنوعيها الخاصة والعامة.

1- خزانة [5] القصر الأموي بقرطبة:

أظهرت الأسرة الأموية في الأندلس حبها للعلم والعلماء واقتناء الكتب، وخاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، ومما يؤكد ذلك أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين

---

[1]- د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 292 وما بعدها.

- د. السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص ص 60، 65.

[2]- بلنسية: وهي مدينة ساحلية، تقع شرق مدينة شاطبة على الواجهة الشرقية للأندلس، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس.

- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: د/ إحسان عباس، بيروت، 1984م، ص97.أصبحت بلنسية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي المركز الرئيسي في بلاد الأندلس للورق، وذلك بسبب وفرة الكتان وجودته واتساع زراعة القطن فيها وكثرة الوراقين بها.

- المقري:نفح الطيب، ج1، ص 166. د. عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص 224-225.

[3]- الحميري: المصدر السابق، ص 337. المقري: المصدر السابق،ج1، ص 166.

- د. سحر السيد عبد العزيز سالم : شاطبة، الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي (التاريخ السياسي والحضاري)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995م، ص ص 346- 347.

[4]- د.عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 227.

[5]- ورد مصطلح الخزانة بدلا من المكتبة في العديد من المصادر .أنظر، البكري: المصدر السابق، ص 133.

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف القاهرة، ط5، 1982م، ص100. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 62.

السابع الملقب بيورفيروجنيت[1] عندما أراد استمالة هذا الخليفة، أهدى إليه أحب شيء إلى قلبه، وهو كتاب الحشائش لديسقوريدوس في الطب سنة 337هـ/948م[2]. ويشير ابن أبي أصيبعة أنّ خزانة الكتب الأموية كانت تعد من أبرز وأحسن مكتبات قرطبة، وأنّها كانت خاصة بالأسرة الملكية وغير مفتوحة للعامة[3].

ولقد عُرف الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) بولعه الشديد لاقتناء الكتب، خاصة الطبية منها، إذ كان يكلف رجاله لجلبها من الإسكندرية ودمشق وبغداد، مما جعله يؤسس أعظم خزانة للكتب؛ كمكتبة العباسيين والفاطميين، إذ كانت تضم أربعمائة ألف مجلد[4].ولقد كانت الكتب تفيض عن حجم هذه المكتبة بسبب ماكان يضاف إليها من الكتب في مختلف العلوم[5]، فانجر عن ذلك تقسيم خزانة القصر إلى أقسام أو مكتبات فرعية وإسناد مهمة الإشراف على كل منها لأمين مختص، من ذلك ما قام به الطبيب أحمد بن يونس الحراني الذي تولى الإشراف على خزانة الكتب الطبية في قصر الخليفة الأموي الحكم المستنصر[6].

غير أن في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (366-392هـ/972-1001م)[7] تعرضت كتب الفلسفة والفلك والكيمياء الخاصة بخزانة القصر للحرق، وقد أمر هذا الحاجب بذلك مرضاة منه لفقهاء قرطبة الذين كانوا ضد حرية الفكر التي عرفتها الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وكذا استمالة منه للعامة بقرطبة، وليظهر من

---

[1]- أنخل جنثالث بلنثيا: المرجع السابق، ص 462.

[2]- روبرت هيلنبراند: "زينة الدنيا" قرطبة القروسطية مركزا ثقافيا عالميا، مقال نشر ضمن منشورات، مركز دراسات الوحدة العربية،تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي،ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص 193.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 186.
- ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص 100.
- د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 65.

[5]- روبرت هيلنبراند: المرجع السابق، ص 193.

[6]- ابن جلجل: المصدر السابق، ص ص 112- 113.

[7]- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 273.
- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص15.

وراء حرقه لهذه الكتب أمام هؤلاء العامة أنّه غيور على الدين فيستميلهم إليه[1]، ويكـــون ذلك تدعيما لمكانته السياسة الواسعة التي حظي بها في خلافة بني أمية بالأندلس.

ولم يسلم من عملية الحرق التي قام بها الحاجب إلا مؤلفات الطب والحساب وعلـم الفرائض[2] ، وهو ما سيكون له أثره في ازدهار علم الطب في أواخـر القـرن الخـامس الهجري وطوال القرن السادس الهجري.

في عصر الفتنة القرطبية (399-422هـ/1008-1031م) وتحت الاضطرابـات السياسية والحرب الأهلية التي عصفت بقرطبة، تأثرت الخزانة الملكيـة هـي الأخـرى بالأحداث، حيث تعرض قسم كبير منها للسلب والنهب على إثر دخـول الـبربر مدينـة قرطبة سنة (403هـ/1012م)[3]، فسلبوا منها الكتب ونهبوها انتقاما منهم لما أصابهم على يد الخليفة الأموي محمـد بـن هشـام بـن عبـد الجبـار الملقـب بالمـهدي (399-400هـ/1008-1009م)[4] وجنوده، الذين اتخذهم من العامة وسفلة القوم، من الزبـالين والجزارين والفحامين الذين كانت تنقصهم الخبرة بفنون الحرب، واستعان بهم فـي إذلال البربر وقادتهم[5] ونهب أموالهم ومنازلهم بقرطبة[6]. في حين بيع القسم الآخـر مـن هـذه المكتبة، فاشترت أسرة بني عباد[7]جزءا هاما من كتبها، وعلى رأسهم شرف الدولة المعتمد

---

[1]- د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة، الخلافة، ج2، ص ص 162، 166.
- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 29.
- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 65.

[2]- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 29.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج2، ص 102.
- د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة ، ج2، ص 162.
- انخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص133.
- د. عبد الوهاب خليل الدباغ:المرجع السـابق، ص 108.

[4]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص ص 52- 54.
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص ص 126، 134- 135.

[5]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص ص 51، 74، 76.

[6]- المصدر نفسه، ص ص 75-76، 95- 96.

[7]- ينتسب بنو عباد إلى قبيلة لخم اليمنية، وقد كان جدهم الأول عطاف من أهل حمص، دخل الأندلس في طالعة بلج بـن بشر القشري (124هـ/741م) فنزل بقرية يومين من إقليم طاشانا من أرض إشبيلية ثم تناسل بنوه بها. وقد بـدأ نجـم هؤلاء يتألق في عهد الخلافة الأموية، وبعد سقوطها استطاعت هذه الأسرة أن تؤسس لها دويلة بإشبيلية على يد القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد عام 414هـ/1023م.
- ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص 424. ـــ

بن عباد الإشبيلي الذي حكم اشبيلية في عصر ملوك الطوائف ما بين (461-484هـ/1068-1091م)[1]، والذي كان شغوفا باقتناء الكتب[2]

2- المكتبات الخاصة:

اهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون بصناعة الورق الذي كان يصنع من القطن والكتان[3]، ولقد كانت مدينة شاطبة متفردة بهذه الصناعة في المغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[4]، وكان ورقها يمتاز بالجودة، إذ يؤكد على ذلك الحميري بقوله: "...لا نظير له بمعمورة الأرض يعم المشوق والمغرب..."[5]، ولقد ازدادت أهمية ورق شاطبة خاصة مع الغزو الهلالي لبلاد المغرب حيث كانت هذه المنطقة هي المنتجة له قبل هذا الغزو[6] الذي تم سنة 443هـ/1051م[7].

اهتم الموحدون بدورهم بصناعة الورق، وبخاصة وأنّ هؤلاء قد استعملوا الرسائل للدعاية السياسية[8]. فظهر في عهدهم مركزا جديدا لصناعة الورق والمتمثل في مدينة

ـــ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص ص 195، 315.
- النويري(أحمد بن عبد الواحد): نهاية الأرب في فنون الأدب (القسم الخاص بالمغرب)، تحقيق: د. مصطفى أبوضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985 م ص 148.

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص 158.
- ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 52-55.

[2]- المقري: نفح الطيب، ج4، ص 96.

[3]- د. سحر السيد عبد العزيز سالم: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس، ص 347.
- د. عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص 224-225.
- يوسف أشباخ: المرجع السابق ص252.

[4]- المقري: نفح الطيب، ج1، ص 166.
- د. سحر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص 346-347..
- د. عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 223.

[5]- الإدريسي:المصدر السابق،ج2، ص 556.

[6]- د. عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 224.

[7]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص ص 288، 293.
- ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 56.
- د. سعد زغلول عبد الحميد :تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف بالإسكندرية) ،1990، ج3، ص 432.
- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 223.

[8]- د. عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 225.

بلنسية، لكون هذه المنطقة تشتهر بإنتاج الكتان الجيد[1]، فضلا عن كونها مركـــزا رئيســيا للوراقة والنسخ، وهذا بعدما فقدت قرطبة مكانتها في ذلك بعد سقوط خلافة بني أمية بها[2].

وهناك سبب آخر في نظر الباحث كان له الدور في كون شــرق الأندلــس يحتــل الصدارة في الوراقة والنسخ، يتمثل في حركة الاسترداد المسيحي الــذي بســببه هــاجر الأندلسيون من غرب الأندلس ووسطها إلى الجهة الشرقية والجنوبية منها، فنتج عن ذلــك أن تزايد عدد النساخين بهذه المنطقة، حيث بلغ عددهم في القرن السادس الهجري الثــاني عشر الميلادي بمدينة بلنسية ثمانية وعشرين نساخا، وفي مدينة إشــبيلية ثلاثــة عشــرة نساخا، في حين بلغ عددهم بمدينة قرطبة أربعة نساخين[3].

ترتب عن هذا كله أن تزايد عدد الكتــب والمكتبات الخاصة بالأندلس فــي هــذه الفترة، كان أشهرها مكتبــة أبي عمــر ميمــون ابــن ياســين الصنــهاجي اللمتونــي (ت530هـ/ 1135م) أحد كبار قادة المرابطين وعظماء رجالها[4]، الذي عــرف بعلمــه وعنايته الفائقة بجمع الكتب في كل صنف من أصناف العلوم[5].

وكذا مكتبة "المنصور بن محمد بن الحاج داود ابن عمر الصنهاجي الملقب بــأبي علي والي مدينة بلنسية[6]، ولقد كان هذا الرجل محبا للعلم ولوعا بجمع مصنفات ضروبــه حتى أنه "...جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه، وهو فخر صنهاجة ليس لهم مثلــه ممــن دخل الأندلس..."[7]، فوصل عدد الكتب لديه حسب ابن عبد الملك إلى خمسمائة مجلــد[8]،

---

[1]- د. سحر السيد عبد العزيز سالم: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس، ص 348.
- د.عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص 224، 227.
[2]- المرجع نفسه، ص 227.
[3]- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5، ق 2، ص 506
- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 479. ابن الأبار: التكملة، ج2، ص ص 4،15، 33؛ ج3، ص 153.
- ابن الزبير: المصدر السابق، ق3، ص 94. د. عزالدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 226.
[4]- ابن الزبير : المصدر السابق، ق3، ص 77.
[5]- ابن القطان : المصدر السابق، ص 71. ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص 197.
[6]- توفي المنصور بن محمد بن الحاج داود ابن عمر الصنهاجي الملقب بأبي علي سنة 547هـ/1152م.
- ابن الأبار: المصدر السابق ، ص 194.
[7]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 7.
- ابن الأبار: المعجــم، ص 202.
[8]- ابن عبد الملك :الذيل والتكملة، السفر 5، قسم 2، ص 682.

ومما لا شك فيه، أنّ وجود هذا القائد بمدينة بلنسية قد ساعده على جمع هذا العدد الضخم من الكتب، حيث كانت هذه المدينة مركزا لصناعة الورق بالأندلس.

فضلا عن مكتبة أبي الحجاج يوسف المراني بمدينة إشبيلية التي كانت غنية بمختلف أصناف الكتب بما في ذلك كتب الطب[1]. ونظرا لأهمية هذه المكتبة وغناها، استولى عليها الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي (558-580هـ/1162م-1184م)[2].

لم تقتصر هواية الكتب على هؤلاء فحسب، بل أن كتب التراجم تشير إلى أسماء كثيرة لهواة جمع الكتب في العديد من المدن الأندلسية الأخرى منهم عبد الرحمن بن محمد، من مدينة المرية، وكذا ابنه أبو العباس أحمد (502-559هـ/1108-1163م) أحد كبار تجار الكتب بهذه المدينة والذي كانت له خبرة كبيرة بأنواع الكتب والمخطوطات، فجمع مكتبة جيدة، ولخبرته في تصنيف الكتب والمخطوطات عينه السلطان أبو يعقوب المنصور الموحدي خزانا لمكتبته[3]. كما يذكر ابن عبد المالك أن محمد بن جعفر بن خيرة البلنسي (ت 547هـ/1152م) قد اقتنى من دفاتر العلم ودواوينه الشيء الكثير[4].

ومما ينوه إليه، أنّ كتب الطب قد احتلت حيزا واسعا في رفوف المكتبات الأندلسية[5]، فلقد كان في حوزة الطبيب الشهير أبي مروان عبد الملك بن زهر مكتبة ضخمة، تتألف من مؤلفات الطب والصيدلة، وكان يعتمد عليها أثناء بحوثه وتآليفه الطبية[6]. كما ورث الطبيب أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن الوليد المذحجي عن أبيه

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 310.
- خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 202
[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 308، 334.
[3]- ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص ص 183- 184، 186.
[4]- ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص 152.
[5]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 310.
[6]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 518.
- محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 81.

محمد بن الوليد، مكتبة عامرة بكتب الأدب والطب[1].

إن الاهتمام باقتناء الكتب لم يختص به الأثرياء فحسب، بل إن هذه الرغبة وجدت أيضا عند الطبقة العامة[2].

3- المكتبات العامة:

اهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون كما سلف الذكر بالحركة الفكرية، فشجعوا العلم والعلماء وهيأوا كل الظروف المناسبة لذلك، من إقامة مراكز لصناعة الورق وتشجيع حركة النسخ. ولقد سبق الذكر أيضا، أنّ المجتمع الأندلسي خلال فترة موضوع الدراسة، كان مقسما إلى طبقة خاصة ثرية وطبقة العامة، وبناء على ذلك، فإنّ الذين لم يسعفهم الحظ من الطبقة الأخيرة لتكوين مكتبة خاصة -وهم يمثلون الأغلبية الساحقة من المجتمع الأندلسي- لم يُحرموا من الاطلاع على الكتب التي كانت تزخر بها المكتبات العامة، والمتواجدة عموما في المساجد[3]، من ذلك مكتبة الجامع الكبير بمدينة قرطبة التي اشتهرت بكثرة وتنوع مصنفاتها[4].

وكان يشرف على المكتبات العامة أشخاص مسؤولون عن تزويدها بالجديد من المؤلفات، الأمر الذي جعل هؤلاء كثيري التنقل والسفر من أجل شرائها[5]، ولم يكن الحكام يبخلون بالأموال للوصول إلى هذا الهدف.

فضلا عن شراء الكتب، كانت المكتبات العامة تحصل عليها أيضا عن طريق التبرع والإهداء، فقد تبرع عدد من الشخصيات الأندلسية بأعداد كبيرة من الكتب إلى المكتبات العامة بالمساجد. من ذلك ما قام به هارون بن سهل القرطبي حيث تبرع بمكتبته

---

[1]- كان أبو الحسن عبيد اله بن محمد بن الوليد المذحجي ماهرا في الطب موفقا فيه، وأن آباءه كانوا أطباء.
- ابن الزبير: المصدر السابق، القسم 3، ص ص 163- 164.

[2]- المقري: نفح الطيب، ج1، ص 462
- د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، ص 377.

[3]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص ص 227-228،. 293-294.

[4]- روبرت هيلنبراند: المرجع السابق، ص 193.

[5]- المرجع نفسه، ص 194.

للمسجد الجامع بقرطبة[1]. ولقد أشار الونشريسي إلى أن كثيرا من مكتبات المساجد الأندلسية قد حظيت بمثل هذا التبرع، مثل ما كان الحال بالنسبة لمكتبة المسجد الجامع بمدينة غرناطة[2].

هكذا إذن، ومما لا شك فيه، فإنّ هذه المكتبات بنوعيها العام والخاص قد ساهمت في تطور تعليم الطب بالأندلس. وأنّ للمرابطين وللموحدين من بعدهم فضلا كبيرا في زيادة عدد هذه المكتبات، نتيجة لإزدهار صناعة الورق في عهدهم، وظهور مراكز جديدة لها، وإن دل هذا على شيء، إنّما يدل على أنّ هؤلاء قد ساهموا بدورهم في تطور علم الطب بالأندلس.

---

[1]- خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 153.

[2]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص ص 227، 293.

المبحث الثالث

المؤسسات الإستشفائية

صاحب الاهتمام بعلم الطب بالأندلس وإقامة مؤسسات تعليمية من مساجد ومـــدارس لتدريس مختلف العلوم بما في ذلك الطب، والإكثار من المكتبات التي عمـــرت رفوفـــها بالمصنفات الطبية، إنشاء بيمارستانات لتكون مراكز لدراسة الطب، إلى جانب كونها مكانا لمعالجة المرضى مجانا، فضلا عن وجود أماكن أخرى التي كانت تؤدي المهمة نفسها.

1- البيمارستانات:

إنّ هذه الكلمة فارسية الأصل وتتألف من بيمار،ويقصد بها المريـــض أو العليـــل أو المصاب، وستان بمعنى مكان أو دار، وبهذا يكون معنى الكلمة موضع أو مكان المرضى، أي المستشفى بلغة العصر الحديث[1].

يعود تاريخ تأسيس البيمارستانات في المشرق الإسلامي إلى العهد الأموي، وأول من قام بذلك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م)[2]، وتم ذلك ســـنة (88هـ/706م) بدمشق[3]، كما تم بناء بيمارستانا بزقاق القناديل بمدينة الفسطاط من طرف أحد ولاة بني أمية بمصر[4].

كانت هذه البيمارستانات تتوفر على قاعات لعلاج النساء وأخرى لعلاج الرجـــال، وكان العلاج فيها مجانا[5].

---

[1]- د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 169.

- د. أحمد عيسى:تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مطبوعة جمعية التمدن الإسلامي،دمشق، سوريا،135هـ/1939م، ص ص 10-11.

[2]- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان، ط1، 1407هـ، ج3، ص 669،ج4، ص28.

[3]- اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي):تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،[د.ت]،ج2،ص290.

- القلقشندي(أحمد بن عبد الله):مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: د.عبد الستار أحمد فراج،مطبعة حكومة الكويـــت، ط2، 1985م، ج3، ص346. د. أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص 170.

[4]- د. أحمد عبد الرزاق أحمد : المرجع السابق، ص 170.

[5]- ابن جبير(أبو الحسن محمد بن أحمد): رحلة ابن جبير، المؤسسة الوطنية للفنـــون المطبعيـــة، الرغايـــة، الجزائـــر، 1988م، ص ص 19-20.

أخذت هذه البيمارستانات في تزايد فانتشرت بالمشرق في العصر العباسي، ولقد قام الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م)[1] ببناء بيمارستانا في بغداد[2]، كما قام السلطان أحمد بن طولون بإنشاء بيمارستان بالقاهرة عام (259هـ/873م)[3].ولم يقتصر بناء البيمارستانات على الخلفاء والحكام،بل امتد إلى بقية رجال الدولة، من ذلك ما قام به الوزير علي بن عيسى في بغداد في عهد الخليفة جعفر بن المعتضد بالله الملقب بالمقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)[4].

وكانت هذه البيمارستانات أيضا، والتي شيدت في العصر العباسي أكثر تطورا من سابقتها التي شيدت في العصر الأموي بالمشرق، حيث كان لا يتم بناءها إلا بعد التأكد من الشروط الصحية للمكان الذي تبنى عليه من نظافة وتهوية[5].

ومما لا شك فيه، فإنّ نشاط الحركة العلمية في نظر الباحث واكتماله في العصر العباسي كان له دور في هذا التطور الذي حدث للبيمارستانات بالمشرق.

اهتم بنو أمية في الأندلس أيضا بالطب فأسسوا بيمارستانات بهذه المنطقة، إذ لا يعقل أن يكونوا قد قاموا بذلك في المشرق دون الأندلس، وبخاصة وأنّهم كانوا حرصين على إحياء صرح مجد دولتهم وحضارتهم بهذه المنطقة.

إضافة إلى ذلك فإنّ النهضة العلمية والتطور الطبي الذي شهدته الأندلس في عهد الخلافة[6]، قد ساهم في ظهور دور العلاج بهذه المنطقة، وإن لم تذكر المصادر العربية

ـــ د. أحمد عيسى: المرجع السابق، ص ص 31- 32.

[1]- الطبري: المصدر السابق، ج4، ص 17؛ ج5، ص 15.

- السيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص ص 219،231.

[2]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 245 .

[3]- ابن جبير: المصدر السابق، ص ص 19-20.

- د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 170.

[4]- الطبري: المصدر السابق، ج5، ص 670. د. أحمد عيسى: المرجع السابق، ص 39.

- د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج3، ص ص23-24.

[5]- قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 22

[6]- نظرا لاعتناء الخلفاء الأمويين بالطب في الأندلس، فإنّهم أنشئوا ديوانا للأطباء، وقيدوا فيه أسماء الأطباء والصيادلة المحترفين.

- صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 189. ـــ

تاريخ وجود البيمارستانات وتاريخ إنشائها بالأندلس وكذا نظامها الداخلي[1]، ولكن وبناءً على الرحلات العلمية المستمرة بين المشرق والمغرب الإسلاميين[2]، فإن الباحث يذهب إلى نفس ما ذهب إليه المؤرخون من أمثال دانيال جكارت وفرانسواز مشو والأستاذ لوسيان لوكلارك، على أنّ البيمارستانات كانت فعلا موجودة بالأندلس[3]. فقد ذكر كل من ابن الأبار وابن أبي أصيبعة أنّه في عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م)، جاء إلى الأندلس الطبيب محمد بن عبدون المعروف بالعددي (ت361هـ/971م) لخدمة هذا الخليفة، وكان قبل ذلك يتولى إدارة بيمارستان الفسطاط بمصر[4].

وفي نظر الباحث، فإنّ ميدان عمل الطبيب محمد بن عبدون هذا في إدراة المستشفى بمصر، قد جعله ينقل تجربته في ذلك إلى الأندلس.

ومما يوحي على وجود البيمارستانات بالأندلس في عصر الخلافة الأموية في نظر الباحث، بروز أطباء نالوا شهرة فائقة في علم الطب بهذه المنطقة، كالطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي الذي أبدع في الجراحة[5]، لذلك فإنّه لا يمكن أن يظهر مثل هذا الطبيب الشهير ويبدع في علم الطب، دون أن يكون هناك بيمارستان ليكون عونا له لإجراء تجاربه الطبية. فالتطور ليس وليد المجهودات الفكرية للإنسان فحسب، بل للبيئة وللمحيط دور في ذلك. ومما ينوه إليه هنا، أنّ مدينة الزهراء التي نسب إليها هذا الطبيب

ـــ د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ص 208.

[1]- د. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 400

-Emilie Savage Smith: Histoire des sciences Arabes, Edition du seuil, paris,VI, 1997, P189.

-Lucien Leclerc: Op. Cit, t1 p572.

[2]- الحسن السايح: المرجع السابق، ص 74.

-Danielle Jacquart et Francoise Micheau: Op Cit, P246.

[3] -Danielle Jacquart et Francoise Micheau: Ibrid, P247.

-Lucien Leclerc: Op . Cit. t1 , p571.

[4]- ابن الأبار : التكملة، ج1، ص 295. - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 6، ص 427.

-Lucien Leclerc: Op. Cit, t2. p568.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 501

الجراح قد تعرضت كما سلف الذكر، للهدم خلال الفتنة القرطبية، لذلك فقد يكون هنـــاك بيمارستانا بهذه المنطقة إلا أنّه تعرض للهدم.

ويشير ابن بسام إلى أنّ الأمير أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور مؤسس دولة بني جهور بقرطبة (422-435هـ/1031-1043م)[1] كان يـــزور المرضى[2]. وفـــي نظـــر الباحث أيضا، أنّ هذا الأمير كان يقوم بذلك في البيمارستان، إذ لا يعقل وهو أمير قرطبـة أن يزور كل مريض في بيته.

اهتم المرابطون، ومن بعدهم الموحدون ببناء البيمارستانات. ومما يؤكد ذلك ما ذكره الونشريسي على الخلاف الذي وقع بين أهل قرطبة، حول مشاركة مرضى المقاطعـــات الأندلسية مرضى قرطبة في الأحباس التي خصصت لمرضى هذه الأخيرة، حيث أفتى أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي الكتامي الفاسي المعـــروف بـــابن القطـــان[3] بمشاركة الوافدين من المرضى إلى قرطبة في هذه الأحباس[4]. وفي نظر الباحث، لا يمكن توزيع غلّة هذه الأحباس على كل مريض في بيته خاصة وأنّ قرطبة على سبيل المثـــال كانت تضم عددا كبيرا من السكان[5].

ومما يزيد في تأكيد وجود البيمارستـــانات بالأندلـــس، ورود هذه التسمية نفسها في معجم المفردات العربية للبرشلوني رامون مارتان (628-685هـــــ/1230-1286م)[6]. ويستنتج من هذا، أنّ هذه الكلمة كانت متداولة في الأندلـــــس، وبالتـــالي تـــدل علـــى أنّ البيمارستانات كانت موجودة بالمنطقة.

---

[1]- ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الثاني، ص ص 602،604.
- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص ص 147-148،171-172.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 112.

[3]- أبو الحسن علي بن محمد بن القطان: كان من فقهاء فاس، ورئيس طلبة العلم، تولى القضاء بسجلماسة وتوفي بها عام 628هـــ/1230م. - ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 12-13.

[4]- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب، ج7، ص 481.

[5]- روبرت هيلبنراند: المرجع السابق، ص 191.

[6]- كان قسيسا دومينيكيا كطالونيا، اجتهد في تعلم اللغة العربية حتى أتقنها.
- أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص ص 540-541.

ومما ينوه إليه، أنّ البيمارستانات السالفة الذكر، أحبست عليها العديد من الأوقاف لترميمها وإطعام المرضى بها وتوفير الأدوية لهم، وصرف رواتب الأطباء[1].

إنّ البيمارستانات في الأندلس لم تكن المراكز الوحيدة التي كان يتم فيها العلاج، بل توفرت مراكز أخرى منها:

- قصور الأمراء:

كان علاج أفراد العائلة الحاكمة يتم في القصر الذي تقيم فيه هذه الأسرة، ولقد خص أمراء المرابطين أنفسهم بعدد من الأطباء للسهر على صحة أفراد أسرهم وحاشيتهم بالقصر، من ذلك ما خص به الخليفة المرابطي علي بن يوسف ابن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م) نفسه بعدد من الأطباء[2]، كما استدعى أمير إشبيلية المرابطي أبو الطاهر تميم (516-517هـ/1122-1123م) الطبيب الإشبيلي أبا مروان عبد الملك بن زهر ليعالجه من حالة تسمم[3]، واستدّعي هذا الطبيب أيضا من طرف الأمير المرابطي أبي زكريا يحي بن مقور والي إشبيلية (523-524هـ/1128-1129م) لعلاج أحد أفراد عائلته[4].

ولقد اختص أمراء الموحدين لأنفسهم هم أيضا في القصر بالعديد من الأطباء، فقرّب الخليفة أبو يعقوب المنصور الموحدي إليه الطبيب أبا بكر بن طفيل[5]وكذا أبا مروان عبد الملك بن زهر وابنه أبا بكر محمد بن زهر (507-595هـ/1113م-1198م)[6]، بل وتلبية لنصيحة هذا الطبيب، فإنّ هذا الخليفة قد أمر ببناء قصر الفرج بضواحي إشبيلية خصيصا للإقامة فيه قصد العلاج[7]، وفيه يقول ابن أبي أصيبعة: "...وكان المنصور في

---

[1]- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص ص 83-84.

- د. كمال السيد أبو مصطفى: بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، ص ص 206-207.

[2]- ابن زهر: التيسير، ص 278.

[3]- المصدر نفسه، ص 97. د. عصمت عبد اللطيف دندش:أضواء جديدة على المرابطين،ص ص132-133

[4]- ابن زهر: المصدر السابق، ص 135.

- د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 413.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 312.

[6]- المصدر نفسه، ص 142.

[7]- محمد الرشيد ملين: المرجع السابق، ص ص 177-178.

حصن الفرج وهو موضع بناه قريبا من إشبيلية على ميلين منها، صحيح الـــهواء بحيـــث بقيت الحنطة في ثمانين سنة لم تتغير لصحته. وكان أبو بكر بن زهر هو الذي أشار على المنصور أن يبنيه في ذلك الموضع ويقيم فيه في بعض الأوقات"[1].

- المعسكرات والربط:

قامت كل من دولة المرابطين والموحدين على أساس الجهاد، وحماية الأندلس مـــن حركة الاسترداد المسيحي، الذي استفحل أمره بالأندلس كما سبق الذكـــر خـــلال القـــرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وما بعده، فكانت كلتا الدولتيـــن فـــي مواجهـــة مستمرة مع المسيحيين، الأمر الذي استدعى جيش كلتا الدولتين إلى المرابطة[2]. لذلك كانت المعسكرات والربط إلى جانب مهمتها الدفاعية، مراكز يتم فيها العلاج[3]. كما كان الطبيـــب أبو إسحاق إبراهيم الداني يرافق الجيش الموحدي أثناء حروبه بالأندلس، بل إنّ ابنه أبـــا عبد الله محمد قد نال حتفه في موقعة العقاب 609هـــ/1212م[4] وهو يؤدي مهامه كطبيـــب لعلاج الجرحى من الجند[5].

---

[1]- ابن ابي اصيبعة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 523.

[2]- المرابطة مشتقة من أصل الربط أو الرباط، ومعناها ملازمة الثغر والجهاد في سبيل الله. بدأت المرابطة في المغرب الإسلامي بعد الفتح الإسلامي، وذلك لكون سواحل هذه البلاد كثيرة التعرض لغارات الأسطول البـــيزنطي؛ هـــذا ولقـــد انتشرت الربط انتشارا كبيرا خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وبخاصـــة بعـــد ســـقوط طليطلـــة بالأندلس على يد "ألفونسو السادس" عام (478هـــ/1085م).

- ابن بسام: المصدر السابق، ق4، م1، ص ص 166، 178.

- ابن الكردبـــوس (أبو مروان عبد الملك التوزري): تاريخ الأندلس، وهو قطعة من كتاب "الإكتفـــاء فـــي أخبـــار الخلفاء"، تحقيق د. أحمد مختـــار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، اسبانيا، 1971م، ص ص 74، 85.

- د. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ص 114، 121، 372.

-Levi Provençal: AlphonseVI et la prise de Toléde, P47.

[3]- د. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علـــي، دار المعـــارف، مصـــر،1971م، ص293.

[4]- هي المعركة الحاسمة التي التقى فيها الجيش الموحدي بقيـــادة أمير المسلمين "أبو عبد الله محمـــد بـــن يعقـــوب" (595-610هـــ/1198-1213م) بالجيوش المسيحية بقيادة ألفونسو الثامن (الأدفنش) ملك قشتالة بقرب حصن سالم بضواحي جيان، وتعتبر هذه المعركة المشؤومة نذيرا بذهاب ملك المسلمين في الأندلس.

- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق: ص ص 400-401.

- د. محمود علي مكي: تاريخ الأندلس السياسي (92هـــ897هـــ/711م-1492م)، مقال نشر ضمن منشورات مركـــز دراسات الوحدة العربية،تحرير د. سلمى الخضراء جيوسي ، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص ص 124- 125.

[5]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص534.

- **العيادات:**

فضلا عما سبق ذكره، فإنّ الأطباء الأندلسيين قد خصصوا دورا خاصة لاستقبال المرضى والتي كانت تعرف باسم العيادات، والملاحظ أنّ هذا المصطلح كان متداولا في الأندلس، إذ يذكر ابن جلجل أن الطبيب أبا جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد أحمد بن الجزار القيرواني (285-369هـ/898-980م)[1] كان يستقبل المرضى في عيادته[2].

كما استعملت مصطلحات أخرى والتي تعبر عن نفس معنى العيادات، منها الدكان، أو الحانوت، أو بيت الطبيب، فقد ذكر ابن عبد الملك أن الطبيب أحمد بن علي بن خلف التجيبي (ت 602هـ/1205م) كان يعالج المرضى في دكان له بإشبيلية[3].

كان العلاج في العيادات يختلف عما كان عليه في البيمارستانات، حيث كان يتم مقابل مبلغ مالي يقدمه المريض للطبيب، ومما يؤكد ذلك ما أورده ابن بسام حول رجل مريض يساوم طبيبا في المبلغ الذي طلب منه دفعه[4].

على ضوء ما تقدم، فإنّنا نستنتج أنّ الأندلس كانت تتوفر على البيمارستانات وعلى العيادات، وأنّ التداوي والعلاج فيها كان مزدهرا ومتطورا، ومما يؤكد ذلك قدوم أحد ملوك النصارى وهو الملك شانجة حاكم قشتالة (552-553هـ/1157-1158م) إلى قرطبة من أجل العلاج[5].

وإن دلّ هذا على شيء، إنّما يدل ويؤكد على أنه في الوقت الذي عجز فيه النصارى على معالجة بعض الأمراض، فإن المسلمين كانوا أكفاء في ذلك.

2-الصيدليات:

تعتبر الصيدلية[6] من المؤسسات الإستشفائية، شأنها في ذلك شأن البيمارستانات والعيادات الطبية، ولم تكن الصيدلة منفصلة عن الطب، فكثيرا ما كان الأطباء يمزجون

---

[1]- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص ص 481-482 . د.إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص179،185.

[2]- ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء، ص 89. د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 191.

[3]- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، القسم1، ص 306.

[4]- ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، م2، ص 905.

[5]- د. عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 41.

-Lucien Leclerc: Op. Cit, T2, P 351.

6- كلمة مشتقة من لفظة صيدلة، وهي معربة من أصل جندل أو صندن، فقلبت الجيم صادا، وهو خشب العطر ـــ

بين صناعتي الطب والصيدلة. وقد صرح الطبيب أبو جعفر أحمد الغافقي[1] في هذا بقوله: "أطباؤنا ... كلهم صيادلة يتولون بأنفسهم ... عمل الأدوية المركبة وجميع أعمال الصيدلة"[2]، ولذلك كان الأطباء يعرفون أيضا باسم النبّاتين والعشّابين والعطّارين[3].

إنّ تطور وازدهار الصيدلة كان يمشي جنبا إلى جنب مع تطور الطب، فنالت الصيدلة بذلك هي الأخرى في الأندلس حظها من الاهتمام والتطور، إذ أنّ الطبيب الصيدلي في هذه الفترة على حسب محمد بن عبدون والطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر، كان يحضر الأدوية سواء البسيطة أو المركبة، بطرق علمية مدروسة[4]، بعدما كان بعض العارفين بها يمارسونها من باب التوارث، بل وأكثر من ذلك، فإنّ صناعة الأدوية كانت تتم تحت مراقبة رئيس الصناعة الطبية أو مزوار الأطباء الذي كان يختبر الأدوية. فإن وجدت مغشوشة عوقب صانعها عن ذلك ومنع من بيعها[5]. يفهم من ذلك أن رئيس الصناعة الطبية أو مزوار الأطباء كان على دراية بالطب والصيدلة.

يستنتج مما تقدم أنّ صناعة الأدوية بالأندلس قد تأثرت هي الأخرى بالاضطرابات السياسية التي شهدتها الأندلس خلال الفتنة القرطبية وعصر ملوك الطوائف (399-

---

ـــ الذي يجلب من الهند. ويذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) أن كلمة صيدلاني أو صيدنا ني معربة من جندلاني أو جندناني، فقلبت من مزاولي العطر إلى مزاولي الأدوية، وأن العرب أطلقوا هذه الكلمة على مزاولي الأدوية بعدما كانت تطلق على مزاولي العطور.

– البيروني (أبو إسحاق محمد بن أحمد): كتاب الصيدنة ، تحقيق محمد سعيد ورانا إحسان، مؤسسة همدود الوطنية، كراشي، الباكستان، 1973م، ص 43.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 270.

– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص ص 323،334.

[1]– توفي أبو جعفر أحمد الغافقي بعد سنة (560هـ/1170م) ويعد من أشهر الأطباء الصيادلة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بالأندلس.

– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 500-501

– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عن مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 26.

[2]– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص18.

[3]– ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 1و القسم2، ص ص 476،487.

– ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 207،

– د. أحمد مختار العبادي: الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، ص124.

[4]– ابن زهر: التيسير، ص 320

- levi Provençal: Séville Musulmane , P104.

[5]– د. نيكولا زيادة: المرجع السابق ، ص 147.

478هـ/1008-1104م) وأنّ صناعة الأدوية في هذه الفترة قد انتحلها بعض الانتهازيين بحثا من وراء ذلك عن الأموال، ومما يؤكد لنا ذلك قول الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الأيادي الجد (ت 470هـ/1078م)[1]: "...إذا صفى شراب الصيدلاني كدر دينه..."[2]، الأمر الذي دفع المرابطين إلى استحداث منصب رئيس الصناعة الطبية لمراقبة صناعة الأدوية وإبقاء الموحدين على هذا المنصب تحت اسم "مزوار الأطباء" كما سبق الذكر.

-أنواع الصيدليات:

كانت تتم عملية تحضير الأدوية وحفظها وتخزينها وبيعها في أماكن خاصة تعرف بالصيدلة أو الحانوت[3] أو الدكان[4]، ولقد كان هناك نوعان من الصيدليات:

- الصيدليات العامة:

وتتمركز في أسواق المدن الأندلسية، يقصدها العوام لشراء الأدوية، وفي ذلك يقول ابن الأبار أنّه رأى أحمد بن أبي عبيد الله محمد بن أبي الخليل المعروف بابن الرومية النباتي (561-637هـ/1165-1239م)[5] يجلس في إحدى أسواق إشبيلية، والناس يقصدونه بها ليفيدهم بمعلوماته وتجاربه في الطب والعلاج ويدلهم على الأعشاب التي تلائم ما يشتكون منه[6]. بل إنّ الحميري وعبد الواحد المراكشي يؤكدا على أنّ أسواق المدن بالأندلس كانت تضم أحيائها بكاملها للعطارين والصيادلة[7]، الذين لا يسمح لهم بممارسة هذه المهنة إلا بعد الحصول على إجازة أو ترخيص، والتي سبق وأن ذكرت.

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 28.

[2] - ابن زهر :التيسير، ص 483.

[3]- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر2، ص 513.

- د. توفيق الطويل: العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى، دار النهضة العربية، 1960م، ص 43.

[4]- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، ص 303.

- ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 107.

[5]- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر2، ، ص ص 487، 513-514.

[6]- ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 107.

- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر2، ص 512.

[7]- الحميري : الروض المعطار، ص 179.

- الصيدليات الخاصة:

يتمركز هذا النوع من الصيدليات في قصور أمراء المرابطين والموحدين، فبحكم أنّ صناعة الأدوية كانت من أهم وأخطر الصناعات، حيث بإمكانها أن تسلب الحياة مثل ما تحافظ عليها، فإنّ الأمراء المرابطين والموحدين قد اختصوا لأنفسهم وأسرهم صيادلة ممتازين برعوا في صناعة الأدوية-شأنهم في ذلك شأن خلفاء بني أمية- كما أنشئوا لهم صيدليات في قصورهم لتحضير الأدوية والعقاقير التي تستدعيها الضرورة لعلاج الأمراض التي قد تصيب الحاكم أو أفراد أسرته.

ويشير ابن أبي أصيبعة إلى أن للصيادلة في القصر الملكي رئيسا كان يعرف باسم صاحب خزانة الأشربة والمعاجين، وكان له عمال ومساعدون لطبخ الأشربة وتحضير المعاجين[1]، ومن ذلك إشراف أبا مروان عبد الملك بن زهر على خزانة الأشربة والمعاجين في قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي (500-537هـ/1106-1142م)[2]، وكان أبو جعفر أحمد بن الغزال المري يحضر الأدوية والمعاجين للخليفة يعقوب المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1198م)[3].

إنّ الصيدليات بالأندلس كانت مجهزة بأدوات ضرورية لصناعة الأدوية منها، الموازين[4] والأوعية بنوعيها البسيطة والتي كانت تخزن فيها الأدوية والمرقمة لقياس السوائل بدقة[5]، إلى جانب الغرابيل لتنظيف العقاقير من الشوائب والأوساخ[6]، والموقد، والإنبيق للتقطير، والقالب، والقمع، والمقص، والمطرقة، والنافخ، والملعقة، والمقلاة،

ـــ عبد الواحد المراكشي (محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التجيبي): وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق د.حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، مصر، ط1، 1997م، ص 434.

[1]- ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء، ص ص 107،113.

- د. عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص 37. أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 465.

[2]- ابن زهر، التيسير، ص ص 277- 278.

[3]- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 536.

- د. عبد الهادي أحمد الحسيسن: المرجع السابق، ج1، ص ص155-156.

[4]- د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص362.

[5]- المرجع نفسه، ص270.

- Levi Provençal: Séville Musulmane , P 103.

[6]- د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص356.

والطنجير، والقوارير التي تسخن فيها المساحيق والسوائل[1]. فضلا عن المـــواد النباتيـــة والمعادن والصخور التي كانت ضمن المواد الأساسية في تحضير وصناعة الأدوية[2].

هكذا إذن نستنتج، أنّ الصيدلة لم تعد حرفة يمارسها بعض العارفين بها، بل أصبحت تخضع لمراقبة صارمة، والتي استحدثت في عصر المرابطين والموحدين مـــن بعدهـــم، والمتمثلة في رئيس الصناعة الطبية أو مزوار الأطباء.

بناء على ماتقدم، يتبين لنا أنّ علم الطب في الأندلس كان يدرّس في مؤسسات تعليمية رسمية من أهمها، المساجد التي كان عددها في تزايد حتى ضاقت بعدد الطلبـــة، فتطلـــب الأمر بناء المدارس، وبخاصة لما جعل الموحدون الدراسة إجبارية في المحـــاضر لفئـــة الصبيان. ومما يستحق الذكر، أنّ إجبارية التعليم كان له دور في تزايـــد عـــدد المســـاجد والمدارس، فكان للمؤسستين دورهما في تعليم الطب بالأندلس.

أمر آخر كان له دور لا يستهان به في تطور علم الطب بالأندلس، ويتمثل في الـــدور الأميرية والتي وإن لم تكن كمؤسسات تعليمية رسمية، فإنّ مساهمتها في تطور علم الطب كانت مساهمة مباشرة، إذ هيأت الفرص لمجالسة الأمراء للأطباء أثناء مناقشـــة هـــؤلاء للمسائل الطبية. ومما ينوه إليه أيضا، فإنّ حضور الأمراء لهذه المجالس الطبية قد تدفـــع الأطباء إلى محاولة كل واحد منهم إبراز تفوقه وإبداعه في هذا الفرع من العلوم.

فضلا عن ذلك فإنّ حرص الأطباء على توريث الطب لأبنائهم، وكذلـــك المجـــالس الخاصة التي كانوا يلقنون فيها علم الطب للمهتمين به وللحرصين على تلقيه قـــد ســـاهم بدوره في تطور الطب بالأندلس.

إنّ الدروس النظرية لم تكن السبيل الوحيد لتعليم الطب وتطويره بالأندلس، بل كـــانت للدروس التطبيقية والتي كانت تتم في البيمارستانات والعيادات فضلها هي الأخـــرى فـــي المضي قدما بتعليم الطب بهذه المنطقة، وهنا تتجلى أهمية البيمارستانات والعيادات والتي لم تقتصر على علاج المرضى فحسب، بل كان لها دور في تعليم الطب أيضا.

---

[1]- د. محمد كامل حسين :المرجـــع السابق، ص ص 356-358.

[2]- د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ص 188- 190.

إضافة إلى دور الأستاذ الطبيب وبخاصة بعد اعتماد هذا الأخير على المؤلفات الطبية، والتي كان عددها في تزايد مع تزايد عدد المكتبات ومساهمته في إثراء وتلقين علم الطب ميدانيا.

إنّ المؤسسات التعليمية والاستشفائية السالفة الذكر، لم تكن السبيل الوحيد في تطور الطب وتعليمه بالأندلس، بل كان للصيدليات دورها هي الأخرى في ذلك، وبخاصة في عهد المرابطين والموحدين الذين اهتموا بها اهتماما كبيرا حتى أحدثوا لها مراقبة صارمة ممثلة في رئيس الصناعة الطبية أو مزوار الأطباء.

إنّ هذه الظروف قد تجمعت كلها وساهمت في تطوير تعليم الطب بالأندلس، وقد صاحب ذلك ازدهار التداوي والعلاج ومما يؤكد لنا ذلك، زيارة أحد حكام مملكة قشتالة لقرطبة قصد العلاج.

كما ساهمت الظروف السابقة الذكر في إيجاد علاج لكثير من الأمراض التي عرفتها الأندلس والتي ستوضح في الفصل الموالي.

الفصل الثـــــالث

الأمراض والأوبئة في الأندلس وطرق علاجها

المبحث الأول: الأمراض والأوبئة في الأندلس

1-الأمراض

2-الأوبئة

المبحث الثاني: المداواة بالأدوية

1-تطور صناعة الأدوية بالأندلس

2-المداواة بالأدوية

3-الطب الوقائي (الوعي الصحي)

المبحث الثالث: المداواة بالجراحة

1-تطور علم الجراحة بالأندلس

2-المداواة بالجراحة

شهدت الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها فترات من الاستقرار وأعقبتها فترات من الاضطراب السياسي، الذي كثيرا ما كان ينجم عنه حروبا سواءً بسبب فتن داخلية أو صراعات بين المسلمين والنصارى، من ذلك ما حدث من اضطراب وفتنة عانت منه الأندلس طويلا كفتنة المولدين وعلى رأسها فتنة عمر بن حفصون وبنيه، والتي بدأت سنة 267 هـ/880م، ولم تخمد إلا في سنة 315 هـ/ 927 م، فضلا عن فتنة العرب والبربر والتي لم تسترح منها الأندلس إلا بعد اعتلاء عبد الرحمن الناصر 300 ـ 350هـ/ 912 ـ961م لعرش الخلافة بهذه المنطقة. ومع ذلك فإنّ ما حققه هذا الرّجل من استقرار سياسي لم يكن إلا استقرارا مؤقتاحيث سرعان ما عاد الصراع من جديد بين المتصارعين حول عرش الخلافة الأموية بالأندلس وعلى رأسهم العرب والبربر، وذلك بعد تنصيب الصبي هشام المؤيد بن الحكم المستنصرلها سنة 366ـ399هـ/976 ـ1009م، فانطلقت الفتنة من جديد بين الطرفين بقرطبة وذلك من سنة399ـ422 هـ/ 1009ـ1031م، وهي السنة التي سقطت فيها خلافة بني أمية بالأندلس.

لم تهدأ الأوضاع بالأندلس عند سقوط هذه الخلافة، بل استفحل أمر المتصارعين عليها وقام كل واحد منهم بتأسيس دويلة خاصة به، كدويلة بني الزيري البربرية في غرناطة (403ـ483هـ/1012ـ1090م)، ودولية بني عباد العربية بإشبيلية (414ـ484هـ/1023ـ1091م)، ففتحوا الأبواب بذلك لغيرهم من الذين طمعوا في تقسيم عرش خلافة بني أمية بالأندلس، من بينهم الصقالبة الذين أدلوا بدلوهم في عصر ملوك الطوائف (422ـ478هـ/1031-1075م) واستطاعوا هم كذلك أن يكونوا دويلات لهم في شرق الأندلس، فكادت دولة الإسلام أن تنهار وتسقط أمام تمزق الأندلس إلى دويلات عربية وبربرية وصقلبية، فضلا عن المدّ المسيحي المتوحد الأطراف الذي كان ينهش ويمزق هو الآخر أرضها.

ومما لا شك فيه، فإنّ هذا الواقع السياسي للأندلس في نظر الباحث قد انعكس على الواقع الاقتصادي لها، والدليل على ذلك ما ترتب عن الفتنة القرطبية من سقوط مدينة بكاملها وهي مدينة الزهراء، فضلا عما ترتب عن الحروب من كثرة الوفيات، حيث

يذكر المؤرخ ابن الأبار على سبيل المثال لا الحصر وفاة خمسين معلما عام400هـ/1009م، وما ترتب عن ذلك من نتائج سلبية على الواقع الصحي للسكان بسبب انتشار الأوبئة. وأمر آخر جدير بالتنويه، وهو أنهّ منذ سقوط طليطلة حصن الأندلس من الشمال في يد ألفونسو السادس سنة 478هـ/1085م وخطر خروج الاندلس من أيدي المسلمين في تزايد، وعلى الرغم من هزيمة النصارى على يد القائد المرابطي يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، إلاّ أنّ هؤلاء لم يتراجعوا عن نيتهم في استرجاع الأندلس، فأكثروا الغارات والحصار على مدنها، ونتج عن ذلك تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وسوء الأحوال الصحية للسكان.

وللحدّ من حركة الاسترداد المسيحي هذه, استوجب الأمر على المرابطين (479-542هـ/1086-1147م)، وعلى الموحدين من بعدهم(542-636هـ/1147-1238م) الاهتمام البالغ بالجيش، فتطلب هذا الكثير من المال والجهد حتى يتناسب مع مهمة الجهاد التي قامت على أساسه كلتا الدولتين، ولكي توفر هذه الأخيرة ما تصرفه على الجند، فإنّها اضطرت في كثير من الأحيان إلى فرض المزيد من الضرائب وإلحاق الضرر بالرعية، وقد دفع استنزاف جباة الضرائب في هذه الفترة، الرعية في كثير من الأحيان إلى التوقف عن الإنتاج مما زاد الوضع المعيشي والصحي سوءًا، إضافة إلى ذلك تعرضت الأندلس لمجاعات متكررة ليس للأسباب السياسية السالفة الذكر فحسب، بل كانت للظروف الطبيعية من جفاف وغارات الجراد دورها هي الأخرى في ذلك.

اجتمعت الأسباب السالفة الذكر، فانعكست على الواقع الصحي لأهل الأندلس، وانتشرت بذلك الأمراض والأوبئة بها، مما تطلب البحث عن سبل علاجها. وفيما يلي عرض لأبرز الأمراض والأوبئة بالأندلس وطرق علاجها.

المبحث الأول

الأمراض و الأوبئة في الأندلس

كانت الأندلس تمر بظروف سياسية متقلبة، مستقرة أحيانا ومضطربة أحيانا أخر بسبب فتن داخلية، أو بسبب المد المسيحي كما سلف الذكر. وكانت الأندلس أيضا تتعرض لمجاعات متكررة بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة، كالجفاف الذي كانت تتعرض له من حين لآخر، وغارات الجراد التي كانت تأتي على الأخضر واليابس، فنتج عن ذلك موت كثير، حتى كان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس دون غسل ولا صلاة، كما قلت من جراء ذلك الأقوات مع غلاء الأسعار، فترتب عن ذلك كله انتشار الأمراض المتعددة والأوبئة بهذه المنطقة.

ومما ينوه إليه، فإن الظروف السياسية المضطربة التي كانت تمرّ بها هذه المنطقة والتي كانت تنعكس سلبا على الأوضاع الاقتصادية، ومن ثمّ على الواقع الاجتماعي والصحي لأهل الأندلس، لم تكن السبب الوحيد في سوء الأحوال الصحية لهؤلاء، بل إنّ الظروف السياسية المستقرة التي عرفتها الأندلس من حين لآخر، وكذا الرّخاء الاقتصادي قد انعكس هو الآخر سلبا على الواقع الصحي لأهلها وبخاصة على الطبقة الخاصة. فانتشرت بها العديد من الأمراض والأوبئة.

1ـــالأمراض: ومن أبرزها:

1-1- أمرا ض المعدة:

تعد أمراض المعدة من الأمراض الناتجة عن النّظام الغذائي[1]، وتنتشر بصفة أوسع في أوساط الطبقة الخاصة بحكم كثرة أكلها وتنوع أصناف الأغذية التي تتناولها أفراد هذه الطبقة، إلى جانب عدم تنظيم أوقات أكلها، من ذلك ما أصيب به الطبيب أبو مروان بن مالك بن زهر (ت 557هـ/1161م)، من مرض في معدته بسبب كثرة تناوله

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص 208.

- ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص ص 501-502.

للفواكه الجافة[1]. وقد ذكر هذا الطبيب مجموعة من الأمراض التي تصاب بها المعدة، كالهلاس وهي الحالة التي يصبح عليها هذا العضو كالخرقة فلا يهضم الغذاء[2]، والأورام، التي كثيرا ما تسبب غثيان المصاب أو موته، والتآليل[3]، وهي القروح التي تصيب المعدة وتتطور إلى أورام إن لم تعالج[4] والدبيلة، وهي عبارة عن ورم يثقب المعدة وقلّما يسلم المصاب بها، وقد أصيب بها القائد المرابطي علي بن بدونية بإشبيلية بسبب كثرة أكله وعدم تحفظه في تناوله للغذاء[5].

ومما ينوه إليه، فإن أمراض المعدة لا يصاب بها أناس من الطبقة الخاصة والتي يكون غذاؤها غنيا ومتنوعا، بل إن هذه الأمراض تصيب أيضا أفراد الطبقة العامة، ولكن الأسباب تختلف بين هؤلاء وأولئك، فأسباب إصابة هذه الأخيرة بأمراض المعدة، ترجع إلى تناول أفرادها للأغذية الرديئة الفاسدة، والدليل على ذلك قول الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر: "... عند إفراط المجاعات واضطرار الناس إلى أكل الحبوب الرديئة... فيصيبهم منها أوجاع المعدة"[6].

عند انقباض المعدة وإمساكها ينتج عن ذلك مرض آخر يعرف بالبواسير، وهو علّة تحدث في المقعدة[7]، ويذكر الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر أنّ مثل هذا المرض يكثر انتشاره بخاصة في المناطق الداخلية الجافة[8].

1-2- مرض سدد الكبد:

إلى جانب أمراض المعدة، عرفت الأندلس مرض سدد الكبد والذي ينتج عنه على حد قول الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر: "...فتخل الهضم وتكثر الرياح في

---

[1] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص520.، ابن دحية: المصدر السابق، ص 203.

[2] - ابن زهر: التيسير، ص 200.

[3] - المصدر نفسه، ص ص203-204.

[4] - المصدر نفسه، ص 206.

- ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج11، ص 81.

[5] - ابن زهر: التيسير، ص 208.

[6] - المصدر نفسه، ص 430.

[7] - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق: د. محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص 21؛ ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج4، ص 59.

[8] - ابن زهر: المصدر السابق، ص 254.

غشائها وفي الجوف..."[1]، ويرجع سبب هذا المرض إلى كثرة شرب الخمر[2]، وفي نظر الباحث، وبناءً على البيئة الفاسدة التي صاحبت مرحلة هرم دولة المرابطين وانغماس هؤلاء في الحياة الأندلسية بمتعها وبهجتها ومسراتها[3]، والموحدين من بعدهم[4]، بات بديهيا أن ينتشر بالأندلس هذا المرض.

ولقد كانت ظاهرة شرب الخمر منتشرة بخاصة في وسط الطبقة الخاصة، من ذلك ما عرف عن الأمير المرابطي سير بن علي بن يوسف بن تاشفين(ت533هـ/1138م)[5] الذي أصيب بهذا المرض[6]، ومحمد بن عبد المؤمن بن علي الموحدي-تولى الخلافة سنة 558هـ/1162م- الذي بلغ شربه للخمر أن عزل عن الخلافة بعد توليه لها لمدة خمسة وأربعين يوما[7].

إن هذا المرض، وبما أنّه ينتج عن شرب الخمر، فإن الأندلس قد عرفته قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث يذكر المؤرخ ابن عذاري المراكشي أن الأمير الأموي الحكم بن هشام الرضى (180-206هـ/796-821م) كان ميالا للراحة والمتعة ومعاقرا للخمر[8]، والأمير المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافربالله حاكم إشبيلية سنة (433-464هـ/1041-1071م) كان هو الآخر معروفا بكثرة شربه للخمر[9]، إلى غير ذلك من الشخصيات الأندلسية البارزة.

---

[1] - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 305.

[2] - ابن زهر: التيسير، ص 188.

[3] - د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 268.
- د. إبراهيم القادري بوتشيتش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 101.

[4] - المرجع نفسه، ص 99.

[5] - د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية عن دولة المرابطين، ص 133.

[6] - ابن زهر: المصدر السابق، ص 195.

[7] - عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ص 306-307.
- ابن خليكان: المصدر السابق، ج7، ص 134.
- السلاوي: المصدر السابق، ص 144.

[8] - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ج2، ص ص ،68، 77.
- ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 16.
- د. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط1، 1980م، ص 273.

[9] - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص ص 58- 59.

إنّ معاقرة الخمور بالأندلس لم تكن منتشرة في أوساط الطبقة الخاصة فحسب، بل إنّ هذه الظاهرة قد انتشرت كذلك في أوساط الطبقة العامة، والتي كانت تقبل على ذلك لتغطية المشاكل والصعوبات التي تعترضها في حياتها اليومية[1]، وفي نظر الباحث، فإنّ ما فرض على الرعية من ضرائب جديدة بالأندلس، وبخاصة في العهد المرابطي للمساهمة في أعمال الجهاد – فقد دفع ذلك قاضي مدينة المرية أباعبد الله بن الفراء (ت 514هـ/1120م)[2]، والقاضي عبد الله بن حمدين (ت 508هـ/1114م) إلى حدّ التدخل لإقناع المرابطين بتخفيف جبايتها[3] – كان له دور في انتشار هذه الظاهرة في أوساط الطبقة العامة، فانعكس ذلك سلبا على صحتها.

إن هذه الطبقة أيضا، كانت أكثر عرضة لمرض سدد الكبد، والذي لا يسببه شوب الخمر فقط، بل ينتج كذلك بسبب فساد مياه الشرب[4]، فللحصار الذي كانت تتعرض له المدن الأندلسية مرارا من طرف الجيوش النصرانية؛ كالحصار الذي تعرضت له مدينة سرقسطة بشمال شرق الأندلس سنة 512هـ / 1118م والذي دام سبعة أشهر[5]، وحصار سنة (565–566هـ/1169–1170م) للمدينة نفسها[6]، فضلا عن الحصار الذي تعرضت له مدينة قرطبة سنة (554هـ/1159م)[7]، كان له دور في ظهور داء سدد الكبد بسبب ما كان يتبع الحصار من قطع المياه، فتضطر الناس في هذه الحالة إلى استعمال وشرب

---

[1]- Levi Provençal : Seville Musulmane p 57.

– د. إبراهيم القادري بوتشيتش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 98.-

[2] – ابن الابار: التكملة، ج3، ص 193.

-المقري: نفح الطيب، ج4، ص 461.

-د. المختار بن الطاهر التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م، ص 58.

[3] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص ص 118–119.

-ابن القطان: المصدر السابق، ص74.

-د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ص 39،168، 226–227.

- د. عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص 167–168.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص 422.

[5] – د. محمد المنوني وغيره : مخطوط منشور ضمن كتاب ("التاريخ الأندلسي من خلال النصوص) شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1412هـ/1991م، ص 144.

[6] – ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 311.

[7] – المصدر نفسه، ص ص 65–67.

المياه الفاسدة، وفي هذا يقول ابن صاحب الصلاة: "... وظهر عـــدد النصـــارى وراع الناس مددهم وعددهم... وقطعت بهم عند فرارهم تلك السواقي..."[1].

1-3- أمراض القلب:

يصاب القلب بأمراض عديدة، وإن انعكاسها على الإنسان في أغلب الحالات تكـون خطيرة لكون القلب عضوا رئيسيا في الجسم، وعلى حدّ قـول الطبيـب أبي مروان عبد الملك بن زهر فإن القلب: "...قواه عظيمة وأثاره في الأبدان عظيمة"[2] ومن الأمـــراض التي تصيب هذا العضو، الأورام التي يترتب عنها موت العليل إن لـــم يتـــم اكتشـــافها بسرعة[3]، والخفقان ويقصد به الزيادة في الحركة الطبيعية لعضلة القلب، ويكون ذلـــك لشدة الغضب أو لشدة الخوف[4]. إنّ هذا النوع من الأمراض كان منتشرا بالأندلس خـلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بسبب ما كان يعم هذه المنطقة في هـــذه الفترة من محن سياسية، كحركة الاسترداد المسيحي السالف الذكر، وما كان يتبعها مـــن حصار وفزع وخوف.

يصاب غشاء القلب أيضا بإلتهاب، والذي لم يكن معروفا من قبل، اذ تمّ اكتشـــافه من طرف الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر[5]، والذي يصفه بقوله : "... ويعـــرف القلب رطوبة كأنّها بول يكون في غشائه محصورا ومتى عرض ذلك فإنّ العليـــل يقـــلّ

---

[1] – ابن صاحب الصلاة، : المن بالامامة ص 129

[2] – المصدر نفسه، ص 179.

[3] – ابن زهر: التيسير ، ص 180.

[4] – المصدر نفسه، ص ص 181-182.

[5] –المصدر نفسه، ص 183.

– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 306.

– عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 35.

- Rosa Khune: Abu Mawan b Zuhr. Un professionnel de la medecine en plein XII siecle, Acte du VII Colloque universitaire Tuniso- Espagnol sur le patrimoine Andalous dans la culture Arabe et Espagnol , cahier du ceres serie histoire n^0 04, Tunis, 1991, p129.

- Andre Miquel: L`Islam et sa civilisation, Armond colin, 1990,P 202.

لحمه ويذهب... "[1] ويضيف : " ...ويعرض فيه أن يكون غشاؤه من داخل قد تراكم عليه أشياء صلبة كأنّها أغشية بعضها على بعض..."[2].

1-4- أمراض الرئة:

أمراض أخرى لا تقلّ خطورة عن الأمراض السالفة الذكر،عرفتها الأندلس وتتمثل في أمراض الرئة. يعدّ هذا العضو من الأعضاء الرئيسية والحساسة في جسم الإنسان، شأنه في ذلك شأن القلب، تتخلل هذا العضو حلقات يمرّ فيها الهواء وينفذ إلى أجزائها، وعند ذلك تنتفخ الرئة لتنقبض بعد خروج الهواء منها. ومن الأمراض التي تصيب هذا العضو الحساس والرخو "السعال"[3] الذي ترجع أسبابه إلى امتلاء أنابيب الرئة وحلقاتها بالرطوبة والهواء البارد[4]، وهو مناخ يسود شمال الأندلس والمناطق الجبلية منها[5]، لذلك فإنّ لهذا الظرف الطبيعي دوره في ظهور هذا المرض في الأندلس.

وثمة أسباب أخرى تسبب هذا المرض حسب الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر وتتمثل في الإرهاق، وكثرة مخالطة النساء، والغضب، وأكل الأغذية المذمومة[6].

تصاب الرئة أيضا بالأورام الدموية، وينتج عنها ضيق في التنفس، وحمى مرتفعة، وسعال حاد، واحمرار في الوجه[7]. وإذا ما قيح الورم أصيب المريض بالسلّ[8]، وللطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الفضل في اكتشاف هذا المرض[9].

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص 183.

[2] - المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3] - المصدر نفسه، ص 158.

- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 295.

[4] - ابن زهر: التيسير، ص ص 167,158.

[5] - البكري: المصدر السابق، ص ص 84-85.

[6] - ابن زهر: التيسير، ص 176.

[7] - المصدر نفسه، ص ص 159-161.

[8] - المصدر نفسه، ص ص 164-165.

[9] - عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 34.

- Rosa Khune: Op. Cit. P 129.

إن المصاب بهذا المرض في غالب الأحيان يكون سريع التأثر بالهواء الفاسد، وقد يصل إلى الموت، من ذلك ما حدث لرجل أصيب بهذا المرض فشفي منه، وبعد تعرضه لهواء وبائي حدث بالأندلس في النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، تأثّر به وهُلك [1].

ومما ينوه إليه فإنّ الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر قد اهتم اهتماما كبيرا بالأمراض الرئوية، ويعود له الفضل في التمييز والتفريق بين إلتهاب غشاء القلب وإلتهاب الرئة، وذلك بعد إجراء عملية جراحية على القصبة المؤدية إليها[2]، وله الفضل أيضا في اكتشاف الأورام التي تحدث في الغشاء الذي يقسّم الصدر طولا، وما يترتب عنها من حمى حادة، وسعال، ووجع يمتد طولا[3].

1-5- أمراض الكلى والمثانة:

تصاب الكلى والمثانة بأمراض عديدة من أهمها الحصاة، التي تتولد نتيجة سوء ورداءة ما يتناوله الإنسان من أكل أو شرب[4]، إنّ هذا المرض كان منتشرا في الأندلس، وبخاصة في فترة موضوع الدراسة بسبب المد المسيحي وما كان يتبعه من حصار كما سلف الذكر. فضلا عن الظروف الطبيعية والتي، ومما لا شك فيه كان لها دورها هي الأخرى في نقص الغذاء وفساد المياه، من ذلك ظاهرة الجفاف الذي تعرضت له مدينة قرطبة عام 526هـ / 1131م[5]، والجفاف الذي تعرضت له الأندلس عام 565هـ/1169م[6]، والذي نتج عنه نقص الغذاء، مما دفع بالنّاس وبخاصة الطبقة العامة إلى أكل المواد الغذائية الرديئة وشرب المياه آلفاسدة، ودليلنا على ذلك قول

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص 170.

[2] - المصدر نفسه، ص 183.

- د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 306.

- عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 35.

- Rosa Khune: Op. Cit, P 129.

[3] - ابن زهر :التيسير، ص ص 229-230.

[4] - المصدر نفسه، ص 256.

[5] - ابن القطان: المصدر السابق، ص 226.

[6] - ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 311.

ابن القطان: "... اشتدت المجاعة ... بالنّاس ... وبلغ مدّ القمح خمسة عشرة دينارا"[1]. وفي نظر الباحث، فإن تحت هذا الغلاء لا تصبح المواد الغذائية الصالحة في متناول الجميع.

وظرف طبيعي آخر لا يقلّ خطورة عن سابقه قد تعرضت له الأندلس، ويتمثل في غارة الجراد التي اجتاحت مدينة قرطبة على امتداد أربع سنوات (527ـ531هـ/1132ـ1136م)[2]. إنّ هذه الغارة كان لها هي الأخرى دورها في نقص الغذاء وغلائه، مما دفع بالناس إلى أكل المواد الغذائية الفاسدة وبالتالي إصابتهم بهذا المرض.

1-6- أمراض العين:

عرفت الأندلس إلى جانب الأمراض السالفة الذكر أمراضا أخرى، كتلك التي تصيب العين، منها الحول وهو عبارة عن ميل العين[3]، والسّلع ويقصد به الغدة التي تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت[4]، والرمد وهو عبارة عن ورم يعرض في ملتحم العين[5]، فضلا عن الغلظ وهو الورم الذي يحدث خارج العين[6]. وترجع أسباب علل العين جملة حسب الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر إلى اختلال نظام الغذاء، والجراثيم التي تنقلها الحشرات إلى العين، والغضب والصدمات النفسية[7]، وكلّ هذه الأسباب كانت حاضرة في الأندلس خلال فترة موضوع الدراسة والتي سبق وأن أشرنا إليها.

---

[1] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 226.

[2] – المصدر نفسه، ص ص230، 235، 242، 250، 252.

– د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن دولة المرابطين، ص ص 164، 186-188.

[3] – ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج5، ص 71.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص 48.

– ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج8، ص 160.

[5] – محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 308.

[6] – ابن زهر: التيسير، ص 48.

– ابن أبي أصيبعة: المصر السابق، ج1، ص 142.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص 71.

1-7- أمراض السرطان:

عرفت الأندلس مرض السرطان، وقد سمي بذلك تشبيها لحيوان السرطان البحوي الكثير الأرجل[1]، ويعود للطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الفضل في الوصف والتشخيص الدقيق للسرطان والأورام الخبيثة[2]، كما اهتمّ بهذا المرض أيضا الطبيب أبو القاسم الزهراوي (ت 403هـ/1012م)[3].

إنّ الأمراض السرطانية عديدة ومختلفة، منها الدوالي وتحدث بسبب اتساع عروق الساقين وامتلائها وغلظها، بسبب انصباب خلط سوداوي إليها[4]، منها السرطان الذي يظهر على شكل أورام خبيثة، محاطة بعروق منتفخة، وداء الفيل الذي يحدث بسبب انتفاخ ساق الإنسان وتغير شكلها الطبيعي حتى يصبح مشابها لساق الفيلة[5]، لذلك سمي هذا الداء بداء الفيل، ولقد أصيب بهذا المرض الطبيب "أبي مروان عبد الملك بن زهر" وتوفي بسببه[6].

1-8- داء الخدر:

يصاب جسم الإنسان باسترخاء ويعرف ذلك بداء الخدر، وقد يصاب جزء منه بذلك، ويرجع سبب هذه العلة لسدد في الدماغ وبالتحديد في الجزء الذي يعرف بالدودة[7] ويعود سبب هذا الانسداد بدوره إلى انخفاض كبير في درجة الحرارة، وهي ظاهرة مناخية تعرفها المناطق الشمالية من الأندلس كما سبق الذكر.

إنّ هذا الداء، وعلى حسب رأي الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر إذا أصلب الدماغ بكامله، أو جزءً منه، أو أغلبه، هلك المصاب سريعا[8]، في حين إذا أصاب عضوا

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص 371.

[2] -د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص ص 318-319.

[3] - د. محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص ص 110-119.

- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص 258.

[4] - ابن زهر: التيسير، ص 371.

[5] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 520.

[7] - محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 305.

[8] - ابن زهر: التيسير، ص 353.

من أعضاء الجسم فالعلاج ممكنا[1]، ولقد أصيب بهذا الداء العديد من أعلام الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أبرزهم الفقيه والمحدث محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الأموي الداني (472ـ547هـ/1079ـ1152م) فهلك به[2]، وقاضي الجماعة بقرطبة أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي (472-521هـ/1079-1127م) الذي هلك هو الآخر بسبب هذه العلة[3]، كما تعرض لنفس الداء ولمدة عامين كاملين الفقيه القاضي علي بن عبد الله المتيطي الأنصاري إلى أن هلك بسببه عام 570هـ/ 1174م[4]، والطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهرعند تعرضه لثلج وريح شمالي بارد أثناء سفره لعلاج أحد المرضى[5].

1-9- مرض الكسور:

عرفت الأندلس مرض الكسور والتهابها[6]، وفي نظر الباحث، فإنّ أسباب هذا المرض ترجع بخاصة إلى الحروب التي كثرت في الأندلس في فترة موضوع الدراسة بسبب المد المسيحي السالف الذكر. ومما ينوه إليه أن الطبيب الأندلسي أبو القاسم خلف الزهراوي قد تناول بالتفصيل أمراض الكسور، فخص الباب الثالث من مؤلفه التصريف لمن عجز عن التأليف للكسور وطرق تجبيرها[7]، ومما ساعده على ذلك كونه طبيب جراح برع في التشريح والجراحة[8]، وأن علاج الكسور يتوقف ويعتمد على معرفة

---

[1] - ابن زهر : المصدر السابق، ص 353.

[2] - ابن الابار: التكملة، ج2، ص ص 10-11.

- ابن عبداللملك: المصدر السابق، السفر 6، ص ص 163-166.

- محمد بن احمد بن عثمان بن قايمز الذهبي أبو عبد الله: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق د. بشار عواد معروف و د. شعيب الأرناؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404 هـ/ 1983م، ج1، ص ص 505-506.

[3] - ابن بشكوال: المصدر السابق،ج1، ص ص 78-79.

- د. إبراهيم القادري : المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 102.

[4] - احمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ابن القاضي): جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الإسلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ط2، 1393هـ/ 1973م، القسم2، ص ص 480-481.

[5] - ابن زهر: التيسير، ص 135.

Lucien Leclerc: Op. Cit. t 2 , .P 91.

[6] - ابن زهر: التيسير ص 227-228.، - د. عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 34.

[7] د. عبد الناصر كعدان: المرجع السابق ، ص 17.

[8] - Lucien leclerc . Op.Cit. T1 P 437, 455.

التشريح بصورة جيدة[1]. ولهذا الطبيب الأندلسي الفضل في ابتكار معظم ما كان يستعمله من الآلات الجراحية[2]، وضلت هذه الآلات هي نفسها المستعملة في الجراحة بـــالأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[3].

1-10- الأمراض النفسية:

انتشرت بالأندلس أيضا الأمراض النفسية، ومن أهمها، الصرع ويقصد به اختـــلال في مزاج الدماغ[4], والجنون الناتج عن تطور الصرع إن لم يعالج، ويدفع المصاب بـــــه إلى الانتحار. وتعود أسباب هذه الأمراض حسب الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر إلى التعب والسهر، والاستكثار من النّساء[5]، وهي ظاهرة عرفت انتشارا كبـــيرا فـــي الأندلس[6].

وفي نظر الباحث، فإن ثمة أسباب أخرى كان لها دور في ظهور هذه الأمـــراض النفسية، من أبرزها سبي النّساء، ولقد تعرضت له الأندلس بكثرة في فـــترة موضـــوع الدراسة، من ذلك ما قام به النصـــارى أثنـــاء حصـــارهم لجزيـــرة ميورقـــة[7] عـــام 508هـــ/1114م[8]، وما قام به ألفونسو المحارب ملك أراغون (ت 529هـــ/1134م)[9] أثناء حصاره للعديد من المدن الأندلسية ما بين سنتي 519-520هـــ/1125-1126م[10]، وما قـلم

---

[1] - د. عبد الناصر كعدان : المرجع السابق، ص 39.

[2] - المرجع نفسه، ص 200.

[3] - د. أحمد عبد الرزاق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، العلوم العقلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1411هـــ/1991م، ص 155.

[4] - ابن زهر: التيسير، ص ص 82، 89.

- عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص34.

[5] - ابن زهر : التيسير، ص 83.

[6] - د. إبراهيم القادري بوتشيتش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلـــس خـــلال عصـــر المرابطيـــن. ص193

[7] - ميورقة: جزيرة تقع شرق الأندلس.

- البكري: المصدر السابق، ص ص 65-66.

[8] - د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ص 159-160.

[9] - ابن الاثير: المصدر السابق، ج8، ص 351.

- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص ص 173-174.

[10] - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 76.

- ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 351.

- د. محمود علي مكي: المرجع السابق، ص ص 125-126. ـــــ

به أيضا الفونسو الثاني ملك قشتلة (565-593هـ/1169-1196م)[1] أثناء حملته على المدن الاندلسية عام 591هـ/ 1194م[2].

إنّ حملات النصارى هذه على المدن الأندلسية كان يتبعها السلب، والنهب، وتخريب الممتلكات[3]، وكلّها عوامل وأسباب تؤدي إلى تدهور وسوء الأحوال النفسية. ودليلنا على ذلك ما أشار إليه الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر في انتحار العديد من أهل الأندلس، فمنهم من خنق نفسه، ومنهم من ألقى بنفسه في الماء[4].

2- الأوبئة:

تعرضت الأندلس كما سبق الذكر للمجاعات وللجفاف، وغارات الجراد التي أتت على الأخضر واليابس، فضلا عن الحصار المتكرر من طرف الجيوش النصرانية، فساءت أحوال النّاس بها، مما أدى بهم إلى أكل المواد الغذائية الرديئة الفاسدة، فترتب عن ذلك انتشار الأوبئة، ويقصد بها الأمراض التي تصيب وتشمل أكثر الناس، وتنتج عمّا يشترك هؤلاء في استعماله، فيتسبب ذلك في إصابتهم بآفة واحدة[5] من ذلك:

2-1- وباء الطاعون:

وهو مرض قاتل في غالب الأحيان[6]، ترجع أسبابه إلى فساد الهواء بفعل جثث الموتى، وركود الهواء، وكثرة المستنقعات والمياه القذرة[7]. إنّ أسباب هذا الوباء قد ارتبطت هي الأخرى بظروف تسببت في حدوثها، من ذلك الجفاف، فبسبب هذا الظروف المناخي ينقص الغذاء، وترتفع أسعاره[8]، فلا يصبح في متناول جميع فئات المجتمع، مما

ـــ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص ص 155-156.

- Dozy Reinhart: recherche sur l`histoire de la littterature de l`Espagne., T1, PP 348- 363.

[1] - يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص ص 35، 46.

[2] - ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 220.

[3] - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص 75-80.

- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص ص 114، 120.

- د. محمود علي مكي: المرجع السابق، ص ص 125-126، 159-160.

[4] - ابن زهير : التيسير، ص 96.

[5] - محمد العربي الخطابي : الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي ، ص 163.

[6] - ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج1، ص 189.

[7] - ابن زهر: التيسير، ص 421.محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ص 209.

[8] - ابن زهر: كتاب الأغذية، ص 164. - ابن القطان: المصدر السابق، ص 226.

يدفعها لأكل المواد الغذائية الفاسدة، وبخاصة الطبقة العامة، فيحدث بذلك هـذا الوبـاء، وفي هذا يقول الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر: "...رأيت... في المجاعـة قومـا يأكلون الكرسنّة[1] ... ورأيت قوما يأكلون شيئا يسمونه الفيجالة[2] وأصل اللوف[3]."[4].

ويتسبب الجفاف أيضا في نقص المياه، ويضطر الناس إلى شرب واستعمال الميـاه القدرة الفاسدة، فيحدث هذا الوباء[5].

إن نقص المياه لا يرتبط بالجفاف فحسب، بل يكون مرتبطا أيضا بالحصـار ومـا يعقبه من سلب ونهب، وقطع المياه -ولقد تعرضت له الأندلس مرارا كما سلف الذكـر- ودليلنا على ذلك قول ابن القطان عن أهل قلعة أريليه قرب مدينة غرناطة عند تعرضـهم لحصار النصارى عام 533هـ/ 1138م: "... فحلت بهم الفاقرة وقطع عنهم المياه واشتدّ بهم الحصار..."[6].

إنّ الطاعون الناتج عن نقص المياه، يكون أشد وأخطر عن الذي ينتج عـن فسـاد الهواء، إذ يقول الطبيب أبو مروان عبد الملـك بن زهر: "... وبالجملة فليست الآفـات المتوقعة من فساد الهواء بأشد من الآفات المتوقعة من فساد المياه إلا في واحـدة وهـي موت الفجأة..."[7]. ولقد تعرضت الأندلس لهذا الوباء القاتل في فترات متعاقبة، من ذلك ما حدث بها عام 511هـ/1117م وعام526هـ/ 1131م، ثم عام 565هـ/1169م، فكـثرت من جرّاء ذلك الوفيات[8].

---

[1] – الكرسنّة: نبات له ورق دقيق أحمر ينبت في الجبال والتربة البيضاء.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 320. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 323.

[2] – الفيجالة: نبات تفه الطعم، أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص 470.

[3] – اللوف: نبات له أوراق كثيرة تخرج من أصل واحد وتخرج من وسطها ساق مجوفة في أعلاها عنقود من حـب في مثل الحمص، وينبت هذا النبات في السبخات، وفي حالة الجفاف يجمع الناس هذا النبات فيصنعون منه الخبز.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص ص 354-355.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 390.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص 422.

[5] – ابن القطان: المصدر السابق، ص 267.

[6] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص 422.

[8] – المصدر نفسه، ص 419.

2-2- وباء الجذام:

عرفت الأندلس وباء الجذام أو العلة الكبرى[1]، وترجع أسبابه إلى فساد الماء وركوده، وفساد الهواء[2]، وتناول الأغذية الرديئة[3]. ولقد تعرضت الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لهذا الوباء وبخاصة في قرطبة، فعزل المصابين به عن بقية النّاس[4]، ولقد أصيب بهذا الداء أيضا الأمير الموحدي محمد بن عبد المؤمن بن علي (558هـ/1162م)[5].

إن هذا الوباء شديد الانتشار، وسريع العدوى، فتجد النّاس يتطيرون منه[6]، فلما أصيب به إمام أحد مساجد مدينة مرسية بشرق الأندلس كره النّاس الإتمام به، وطالبت باستبداله بإمام آخر[7]. وفي نظر الباحث، فإن للجفاف وللحصار المتكرر الذي تعرضت لهما الأندلس في فترة موضوع الدراسة، كانا لهما الدور في إحداث وباء الجذام، فبسببهما يضطر الناس إلى استعمال المياه الفاسدة، وأكل الأغذية الرديئة، وفي أصعب الحالات قد تستعمل المياه الراكدة مما يؤدي إلى إصابتهم بهذا الوباء.

2-3- وباء الجذري: يعدّ هذا المرض أيضا من الأمراض الوبائية المعدية، ويحدث بسبب رداءة الهواء وعفونته[8]، وفي نظر الباحث، فإنّ هذا السبب مرتبط هو الآخر بظاهرة الجفاف التي ينتج عنها نقص الغذاء، ووفاة عدة أرواح، من ذلك ما حدث في

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص 348.

[2] - المصدر نفسه، ص 421. - محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ص 202.

[3] - محمد العربي الخطابي : المرجع السابق، ص 202.

[4] - الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص ص 404-405.

[5] - عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 236.
- ابن خليكان: المصدر السابق، ج7، ص 134.
- السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 144.

[6] - محمد العربي الخطابي : المرجع السابق، ص 202.
- الذهبي: المصدر السابق، ج2، ص 491.
- ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج12، ص 88.
- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: الطبقات الكبرى، تحقيق د. زيادة محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1408هـ/1988م، ج4، ص 117.

[7] - أبو الوليد بن رشد: فتاوى ابن رشد، السفر 2، ص ص 883-884.

[8] - محمد العربي الحطابي : المرجع السابق، ص 206.

الأندلس كما سلف الذكر عام 511هـ/1117م، وما حدث بها عام 526هـ/1131م، والدليل على ذلك قول ابن القطان : "... اشتدت المجاعة والوباء بقرطبة... وكثر الموتى..."[1].

إنّ هذا الوباء يصاب به بخاصة فئة الصبيان[2]، ويرجع السبب في ذلك حسب الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر، لما يغتدي به الطفل في بطن أمه من دم الطمث الرديء[3]. ولقد أصيب به وهو صغير[4].

إن لهذا الداء علامات عديدة، وتتمثل في وجع في الظهر، والحمى، والفزع عند النوم، وحمرة العينين، ووجع الصدر، وضيق النّفس، مع السعال والصداع الشديد[5].

هكذا إذن اجتمعت الأسباب السياسية، والاقتصادية، والطبيعية، فضلا عن الأسباب العضوية، فنتج عنها انتشار العديد من الأمراض والأوبئة بالأندلس، الأمر الذي استدعى البحث عن علاجها، وفيما يلي توضيح لذلك.

---

[1] – ابن القطان: نظم الجمان، ص 226.

[2] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 205. – ابن زهر: التيسير، ص 340.

[3] – المصدر نفسه، ص 338.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – محمد العربي الخطابي : المرجع السابق، ص 205.

المبحث الثاني

المداواة بالأدوية

إنّ علم الطب في الأندلس قد نال تطورا كبيرا خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بل إنّ هذه الفترة تعدّ العصر الذهبي للصيدلة وصناعة الأدوية، فاللظروف السياسية من الحصار المتكرر على المدن الأندلسية في فترة موضوع الدراسة، وللظروف المناخية أيضا من الجفاف، وحملات الجراد المتعاقبة، فضلا عن الضرائب الجديدة التي فرضت على الرعية في هذه الفترة، بما يتناسب ومهمة الجهاد التي قامت على أساسه كلا من دولة المرابطين والموحدين، انعكاس سلبي على الوضع الاقتصادي والمستوى المعيشي للرعية، فضلا عن انعكاسها على الواقع الصحي، فانتشرت الأمراض والأوبئة في الأندلس، مما استدعى البحث عن العلاج وسبله، الأمر الذي ساهم في تطور الطب بهذه المنطقة في هذه الفترة. وقبل التطرق إلى علاج بعض الأمراض التي عرفتها الأندلس يتطلب منا الأمر إعطاء لمحة عن تطور صناعة الأدوية بهذه المنطقة.

1-تطوّر صناعة الأدوية بالأندلس:

كان الأندلسيون يعتمدون في الصيدلة خلال القرون الأولى من الفتح الاسلامي للأندلس حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي على التجربة المشرقية[1]. الا أنّه في اثناء خلافة عبد الرحمن النّاصر تمت ترجمة كتاب الحشائش للطبيب اليوناني ديسقوريدوس وكان هذا بإيعاز من الخليفة المذكور وبتشجيع منه. كان هذا الأمر سببا في تقدم الصيدلة في الأندلس، ففي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي قام الأندلسيون بزراعة النباتات الخاصة لصناعة مواد الزينة والتجميل[2] وبخاصة وأنّ النباتات كانت من أهم وأبرز المواد لصناعة الأدوية وهذا لكونها أكثر تعددا وتشعبا وأسهل منالا, فزاد

---

[1] - د. فرانشيسكو فرانكو شانست : المرجع السابق ص 191

[2] - د. عصمت عبد اللطيف دندش : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 189.

- اكسبيراثيون غارسيا سانشيز : المرجع السابق، ص 1378.

لذلك اهتمام الأطباء الصيادلة بها[1]. كما لعبت الزراعة بالأندلس دورا كبيرا في ازدهار صناعة الأدوية[2]، خاصة بعدما أضاف المسلمون بهذه المنطقة معارف جديدة للزراعة التطبيقية في ميادين الأدوية والطب[3]، ولقد ساعدهم على ذلك المناخ المتنوع الذي تشتهر به الأندلس، والذي يسمح بتنوع الغطاء النباتي، ففي الجبال وشمال البلاد كان يسود المناخ البارد، في حين كان دافئا في الوديان بالوسط والجنوب، أما في الشرق فكان يسود مناخ البحر الأبيض المتوسط، وفي الغرب مناخ المحيط الأطلسي[4].

ولقد ظهر أول عمل صيدلي بحت في الأندلس على يد الطبيب عبد الرحمن بن اسحاق بن الهيثم (كان حيا سنة 392هـ/1002م)[5] الذي قام بدراسة حول الأدوية وتفسير لأسماء الأدوية البسيطة من كتاب ديسقوريدوس، والأدوية المناسبة في الطب وغير الموجودة في كتاب ديسقوريدوس[6]. كما قام الطبيب الأندلسي الشهير أبو القاسم خلف الزهراوي (ت404هـ/1013م) في معجمه الطبي الكبير التصريف لمن عجز عن التأليف بدراسة الأدوية البديلة ومفردات أسماء الأدوية والعقاقير[7].

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشروالثاني عشر الميلاديين زاد الاهتمام بالزراعة التجريبية بالأندلس، فظهرت الحدائق النباتية التجريبية، التي زرعت فيها نباتات طبية جديدة استوردت من الشرق الأدنى قصد معرفة درجة تأقلمها بأرض الأندلس[8]،ومن بينها حديقة المعتمد بني عباد حاكم

---

[1] - د. ابراهيم بن مراد : المرجع السابق, ص271.

[2] – د. أحمد مختار العبادي: الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، ص 119.

[3] - اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: الزراعة في اسبانيا المسلمة، مقال نشر ضمن مركز دراسات الوحدة العربية في الجزء الخاص بالحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص 1367.

[4] – البكري: المصدر السابق، ص ص 70، 84-85.،د. أحمد محتار العبادي: المرجع السابق، ص ص 114-119، د. شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 14.

[5] - ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق ص 493

[6] - د. فرانشيسكو فرانكو سانشث : المرجع السابق ص192.

[7] - المرجع نفسه ص193

[8] – إن هذه الحدائق ظهرت في الأندلس دون أوربا المسيحية، ولم تظهر في هذه الأخيرة إلا مع القرن السادس عشر الميلادي.

-د. أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997، ج2، ص 322. ـــ

إشبيلية(461ـ484هـ/1061ـ1091م)[1]، وحدائق البحيرة التي أنشأها الموحدون بنفس المدينة[2]، فضلا عن تحسين أنواع نباتات كانت معروفة في أرض الأندلس[3].

ساهمت هذه العوامل إلى جانب اهتمام كل من المرابطين والموحدين بعلم الطب والصيدلة بالأندلس، في تطور وازدهار علم النباتات والأعشاب الطبية، وتطور التجارب النباتية التطبيقية، حتى أنّه تمّ توّليد ورد أسود بهذه المنطقة[4]، فأدى هذا بدوره إلى تطور وازدهار صناعة الأدوية، بسبب ما كان يصاحب هذه التجارب التطبيقية النباتية من استخراج ما يمكن استخراجه من الأدوية والعقاقير لعلاج الأمراض[5].

فبعدما كان الأطباء بالأندلس ينقلون ويترجمون تجارب غيرهم في سيرة النباتات وأهميتها الدوائية، أصبحوا يصححون وينتقدون ما وقع فيه بعض من سبقهم في ذلك، مؤلفين كتبا نذكر منهم أبا العباس أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية (ت637هـ/1239م) الذي ألف كتاب "التنبيه على أغلاط الغافقي"[6]، وضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي الملقي المعروف بابن البيطار(ت646هـ/1248م) الذي ألف هو أيضا كتاب "الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام"[7]، وفيه انتقد الطبيب أباعلي يحي بن عيسى الجزلي (ت473هـ/1080م)[8]، وكتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية " وفيه انتقد وصحح

— Encyclopedia Universalis, Realiser et publier sous le haut Patronage de R. Aron, :membre de l`institut francais, 1er publication 1991, P179.

[1] – اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: المرجع السابق، ص 1378.

[2] – ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 427.، د. أحمد مختار العبادي: الزراعة وتراثها العلمي ، ص 114.

[3] – اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: المرجع السابق، ص 1369.

[4] – د. قادري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص 30.

[5] – د. احمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص124.

[6] – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر1، ص 513.ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص 212.

- د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 281.

[7] – المرجع نفسه، ص ص 465-466.

[8] –أبوعلي يحيى بن عيسى الجزلي: طبيب وفيلسوف عراقي كان نصرانيا ثم أسلم، شارك في الطب والفلسفة والأدب، ومن أهم مؤلفاته الطبية "تقويم الأبدان" وكتاب "منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان".

– ابن القفطي: المصدر السابق، ص ص 239-240.

– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 343.

- Lucien Leclerc: Op. Cit, T1, P P493-496.

كثيرا من الأخطاء عن خصائص الأدوية وتحديد فاعليتها العلاجية، والتي وقع فيها العديد من الأطباء الأعلام، كالطبيب الصيدلي أبي بكر بن محمد بن زكريا الرازي (ت313هـ/925م)[1] والطبيب حنين بن إسحاق (ت260هـ/873م)[2] والطبيب أبي علي بن سينا (ت428هـ/1037م)[3] وأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي[4](ت بعد 560هـ/1170م)[5].

بعد مرحلة النقد والتصحيح، تمكن بعض أطباء الأندلس من إضافة اكتشافات جديدة لبعض النباتات وقيمتها العلاجية، فنبات "الآأكثار"[6] ونبات "الأرجيقنة" [7] كانا من اكتشاف أبي عبد الله محمد الإدريسي (ت561هـ/1165م)[8] كما اكتشف أبوجعفر أحمد بن محمد الغافقي إحدى عشر نباتا بأرض الأندلس وهي الاملیلس وأذن الأرنب والأطرمالة والأنجبار واليربشانة والبلختة والبشنة والبدد والبربينة والهذيلية والوطم[9]. والعشاب أحمد بن محمد بن مفرج المشهور بابن الرومية اكتشف هو الآخر عشرين نباتا فيه منافع علاجية وهي، بطرة وعديسة وأقشروا وأكر البحر وزقشته وقزاح وقللجة وقلنجونة وأسرار وشورة وعكرش وعلقم وبلان وذنب الخروف وششترة وشطيبة وليفية وشبرم آخر وصنين وغلقى[10]، ولقد واصل تلميذه ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار اكتشاف نباتات جديدة بلغت سبعا وعشرين نباتا وهي، آاطرلال وأرجال وبقشرم وزلم وششرنب وصفيراء وعاقرقرحا وكبسون

---

[1] – ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 16، 40 ، م2، ص 82.

[2] – المصدر نفسه، م1، ص ص 26، 40، 45، م2، ص ص 13 ،86، 105.

[3] – المصدر نفسه، م1، ص ص 16، 40، 143.

[4] – د. ابراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص281.

[5] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 500–501.

– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 26.

[6] – الآأكثار: نبات جزري الشكل يزيد طوله عن أكثر من ذراع تكسوه زهور بيضاء وينمو في المزارع والجبال.

– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص7–8.

[7] – الأرجيقنة: نبات يشبه الأرز في هيئته، ورقه يميل إلى البياض وأزهاره صفراء.

– ابن البيطار: المصدرالسابق، م1، ص ص 27–28.

[8] - المصدر نفسه. ص ص 5, 20؛ –د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق ص 291.

[9] - د. ابراهيم بن مراد: المرجع السابق ص 280. وسيأتي شرح لهذه النباتات في موضعه من الفصل الرابع.

[10] – المرجع نفسه، ص 295. وسيأتي شرح لهذه النباتات في موضعه من الفصل الرابع.

ومستعجلة وصنفان للأقحون والأنتلة البيضاء وصنفان للبشنين والبهش والخريع وصنف للزقوم والعبهر والشقواص والغافث العراقي والقنب الهندي وصنفان للمخلصة وصنفان للمشكطرا مشير والطواره[1].

كما ساهم الطبيب أبوالعلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن عبد الملك بن خلف بن زهر (ت525هـ/1131م)[2] بدوره في اكتشاف أدوية جديدة[3]، كدواء "الزمرد"[4] و"الزعفران"[5] و"الأدخر"[6].

أماالطبيب أبومروان عبدالملك بن زهر فلقد اكتشف دواء الترياق السبعيني والمركب من سبعين مادة[7] كما ساهم الطبيب أبو بكر بن مروان بن زهر(ت595هـ1197م) في اكتشاف الترياق الخمسيني والمركب من خمسين مادة للخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور[8].

ألف بعض الأطباء الصيادلة كتبا فيما ابتكروه في علم النباتات وقيمتها الدوائية والعلاجية، منهم أبي عبد الله محمد الإدريسي الذي ألف كتابا بعنوان "الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والأثمار والأصول والأزهار"[9]

---

[1] – ابن البيطار: المصدر السابق, م1, ص ص6 , 30, 90, 131, 167, 174, 325, 471–472؛ م2, ص ص 82, 88, 114, 141, 157, 159, 197, 290, 306, 308, 426, 447–448؛ د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص285–287.

[2] – ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 267.

[3] – ابن زهر: التيسير، ص ص 476–477، 479–480.

[4] – الزمرد: وهو حجر أرضي، أخضر شديد الخضرة، وهو من الأحجار النفيسة
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 473.

[5] – الزعفران: نبات من نوع البصل، زهره بنفسجي اللون، في داخله ثلاث شعرات صفراء، وأخرى حمراء طيبة الرائحة جدا وهي التي تعرف بالزعفران.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 276.

[6] – الأدخر: نبات له أصل مندفن وقضبان دقاق، وثمره يدخل في صناعة الطيب.
-أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق،ج1، ص 47.،ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص21.

[7] – ابن زهر التيسير, ص 538؛ ابن ابي اصيبعة: المصدر السابق, ص520.

[8] – ابن ابي اصيبعة : المصدر نفسه, ص522. عبد الهادي الحسيسن : المرجع السابق, ج1, ص155
– عبد العزيز بنعبد الله: أسرة بني زهر مدرسة رائدة, ص35.

[9] – د. أحمد مختار العبادي: الزراعة وتراثها العلمي، ص 125.
– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 337.

وأحمد بن محمد الغافقي صاحب كتاب "جامع الأدوية المفردة"[1]، ولقد كان لهذا الطبيب الصيدلي الفضل في تقدم علم خصائص النباتات الطبية، وذلك من خلال كتابه السالف الذكر، والذي يحوي أهم أسماء النباتات الطبية في الأندلس والمفردة باللغة العربية واللاتينية[2]، فضلا عن مؤلفات الطبيب أبي العلاء بن زهر من بينها كتاب "الأدوية المجردة"[3]، ولقد حظي هذا الطبيب بمكانة خاصة لدى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وابنه علي بن يوسف (500-538هـ/1106-1143م)، فأمر هذا الأخير بجمع الملاحظات الطبية التي سجلها هذا الطبيب، ونسخها ثم نشرها، حتى ينتفع بها في ميدان الطب والصيدلة[4]. وهو ما يؤكد مرة أخرى اهتمام المرابطين بعلم الطب والصيدلة، ومما يؤكد ذلك أيضا، إهداء الطبيب أبي عبد الله محمد بن مالك الطغنري كتاب "زهرة البستان ونزهة الأذهان" لحاكم غرناطة المرابطي أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين[5] (ت520هـ/1126م)[6]، والكتاب خاص بعلم الطب والبستنة[7]. وللطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر (557هـ/ 1161م) أيضا، مؤلف بعنوان "كتاب الأغذية"[8] جمع فيه صاحبه جميع أصناف الأغذية النباتية والحيوانية، مع توضيح منافعها ومضارها، كما يحتوي الكتاب أيضا أصناف العطور والطيوب وكل ما يتعلق

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص500-501.

[2] – د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 337.
-د. علي أحمد: المرجع السابق، ص ص219-220.
- أنخل جنثالت بالنثيا: المرجع السابق، ص ص472-478.

[3] – ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 268.
– عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 28.

[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 519.
– عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 29.

[5] – اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: المرجع السابق، ص 1374.
– د. أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص ص419-420.

[6] – ابن القطان: المصدر السابق، ص ص65-66.

[7] – اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: المرجع السابق، ص 1374.

[8] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص81-165.

بالصحة[1]. ولهذا الطبيب كتاب آخر بعنوان "التيسير في المداواة والتدبير" والـــذي يعـد موسوعة طبية تضاهي المعجمات الطبية الكبرى[2].

تضاف إلى المؤلفات الطبية السالفة الذكر، والتي تعكس وتؤكد تطور وازدهـــار صناعة الأدوية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثـــاني عشـــر الميـــلادي، مؤلفات الطبيب العشاب ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن البيطار: ". أعـــرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها..."[3]،من بينـــها كتـــاب "الجـــامع لمفردات الأدوية والأغذية " الذي يعتبر من أكمل ما ألفه العرب في علم النباتات الطبية[4] حيث لم يكتف فيه صاحبه بالنقل عمن سبقوه في علم النباتات وخصائصها العلاجية، بـــل أضاف أشياء جديدة، معتمدا في ذلك على تجاربه الخاصة[5]، ويكفي كدليل على ذلك أنّـــه نال حتفه أثناء تناوله لنبات خلال إحدى تجاربه[6].

والجدير بالذكر أنّ الأدوية لم تكن تستخرج من المواد النباتية فحسب، بـــل كـــانت تستخلص أيضا من المواد الحيوانية فقد تكون من الألبان والزبد، والبيض وغـــير ذلك[7]، كما تستخلص أيضا من المعادن والصخور كالنّحاس والذّهب والفضة والزمرد والحجارة والملح والطين[8] وغيرها من المعادن، ونذكر على سبيل المثال لا الحصـــر أنّ الأطبـــاء الصيادلة بالأندلس قد استعملوا حجر الشاذنة[9] -الذي تشتهر به جبال قرطبة- في مـداواة

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 25.

[2] – ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، ص ي.

[3] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 601.

[4] – أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 479.

– خوان فيرنيه: المرجع السابق، ص 1306.

- Ana Maria Cabo Conzalez: Ibn Al Baytar et Son Influence sur la Pharmacologie occidentale du XII siecle l`occident Musulman et l`occiden Chretien au moyen age ,serie colloque et seminaires , Universite Mohamed V, Rabat, 1995, N° 48, P 286.

[5] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص 285-287.

[6] – المقري: نفح الطيب، ج3، ص 368.

– د. أحمد مختار العبادي : الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي ، ص 126.

[7] - ابن زهر : التيسير, ص 16؛ الدكتور محمد كامل حسين : المرجع السابق ص334.

[8] - ابن زهر : التيسير, ص 324.

[9] - ابن الخطيب : الاحاطة, م1, ص98.

العين وخشونة الأجفان[1]، وكذا حجر اليهودي -الذي يوجد في ناحيـــة حصـــن البونـــت شمالي غرب بلنسية- في علاج حصاة الكلى[2].

نستنتج مما سبق أن صناعة الأدوية بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، لم تعد حرفة يمارسها بعض العارفين بها من بـــاب التـــوارث[3] بـــل أصبحت علما نال تطوراً وازدهارا وتشعبا، مما دفع ببعض أطبـــاء فـــترة موضـــوع الدراسة إلى الدعـــوة للفصـــل بين الطب والصيدلة، وفي مقدمتهم الطبـــــيب أبـــي مروان عبد الملك بن زهر[4].

إنّ هذا الازدهار الذي أحاط بعلم الطب والصيدلة في هذه الفترة، قد ساهم فـــي إيجاد علاج لعديد من الأمراض التي عرفتها الأندلس، والتي سوف توضح فيما يلي:

2-المداواة بالأدوية:

بذل الأطباء الصيادلة في الأندلس مجهودات كبيرة من أجل اكتشاف مـــا يمكـــن اكتشافه من الأدوية، وبعد النقل عن المشارقة في ميدان الطـــب والصيدلـــة، وترجمـــة مؤلفات الإغريق في ذلك، أضافوا مساهماتهم من نقد وتصحيح ما وقع فيه الذين سبقوهم في المجال نفسه، مبتكرين الجديد في الطب والصيدلة، وذلك بعدمـــا قـــاموا بتجـــارب تطبيقية حول النباتات والأعشاب، ولم يترددوا لأجل ذلك في إقامـــة حدائـــق خاصـــة، والتجول في أرض المغرب والأندلس، وبلاد الشام والحجاز من أجل الغرض نفسه كمـــا ذكرنا آنفا. فسمحت لهم هذه المجهودات في إيجاد أدوية جديدة، إلى جانب أدوية قديمـــة، ساهمت في النهاية في علاج كثير من الأمراض.

---

[1] - المقري : نفح الطيب، ج1، ص ص141-142.

[2] - د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص334.

[3] - ابن زهر: التيسير، ص ط.

-Levi Provencal: Seville Musulmane, P P 101-102, 104-105.

[4] - د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 187.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T 2, P 87.

إن العلاج كان يتم بطريقة تدريجية، فيبدأ باتباع نظام صحي ومنظم[1]، وللطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر كتاب خاص بالأغذية بعنوان "كتاب الأغذية"[2]، ويضمّ جميع أصناف الأغذية النباتية والحيوانية من حيث منافعها ومضارها[3]، ولوالده الطبيب أبي العلاء بن زهر كتاب في نفس الموضوع بعنوان"كتاب الخواص"[4]، وإن تعذر الشفاء عن طريق اتباع النظام الغذائي الصحي والمنظم، يلجأ الطبيب إلى الجمع بين هذا الأخير وتقديم الأدوية البسيطة[5]، ويقصد بها الأدوية المستخلصة من النباتات أو المواد الحيوانية أو المعدنية، واستعمالها كما هي من غير مزج مع دواء أو مادة أخرى[6]، مع العلم أنّ مصدر المواد النباتية لصناعة الأدوية البسيطة تكون من بذور، أو حبوب، أو أوراق، أو ثمر الشجر، أو أدهان، أو صموغ، أو قشور[7]. أما مصدر المواد الحيوانية فقد تكون من الألبان والزبد، والبيض، وغير ذلك[8]، زد إلى ذلك، المعادن والصخور، كالنحاس والذهب والفضة والزمرد والحجارة والملح والطين[9].

وإن تعذر العلاج أيضا بالنظام الغذائي المنظم والصحي والأدوية البسيطة، يلجأ الطبيب إلى العلاج بالأدوية المركبة[10]، ويقصد بها الأدوية المستخلصة من النباتات،

---

[1] – د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 190.

[2] –محمد العربي الخطابي : الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص81–165.

[3] – عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص35.

– محمد العربي الخطابي:الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 25.

[4] – المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[5] – ابن زهر: التيسير، ص ص60،69 86–87 89،104 121،227، 261، 315.

– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 290؛ عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 35.

[6] – ابن زهر: التيسير، ص 333.

–Encyclopedie de L`Islam, nouvelle edition Maison neuve, Hiram, larose, 1991, T 3 P 1002.

[7] – البكري: المصدر السابق، ص ص126–127؛ ابن البيطار: المصدر السابق،م1، ص ص 233–234.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 334.

[8] – ابن زهر: التيسير، ص 16.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 334.

[9] – ابن زهر: المصدر السابق، ص 324؛ ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص 98.

– المقري: نفح الطيب، ج1، ص ص141–142.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 334.

[10] – محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 290.

أو المواد الحيوانية، أو المعدنية مع تركيبها[1]، مع العلم أن الأدوية إلى جانب كونها بسيطة أو مركبة، قد تكون سائلة من أشربة أو معاجين أو على شكل أدهان[2].

ولقد دعا الطبيب أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي إلى ضرورة المداواة بالأدوية البسيطة، والعمل قدر المستطاع على تفادي المداواة بالأدوية المركبة، والتي في نظره قد يترتب أثناء تركيبها وعند العلاج بها تفاعلا قد يسبب تسمما[3].

يفهم من هذا، أن العلاج بالأدوية ليس بالأمر الهيّن، فلا يجب على المريض أن يستعجل في أخذ الأدوية البسيطة أو المركبة إلا إذا تعذر العلاج عن طريق الغذاء الصحي والمنظم، ويفهم من هذا أيضا أنّ نظام الغذاء أمر هام وأساسي لصحة الإنسان.

ومما سبق ذكره، يتبين لنا دور وأهمية الطبيب في وصف الدواء الذي لا يعطى إلا وفق شروط معينة، والمتمثلة في سن المريض، ودرجة تقبله لتناول الدواء، والفصل الذي يصاب خلاله بالمرض، وطبيعة المنطقة التي يعيش فيها المعلول من حيث الحرارة والبرودة، والرطوبة والجفاف[4]. ومما يستحق الذكر، فإنّ ما توصل إليه أطباء الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي من اكتشاف لأدوية جديدة، ساعدتهم على تقديم وصفات علاجية متباينة في مداواة المرض الواحد.

2-1- أبرز الأمراض التي عولجت بالأدوية المركبة أو البسيطة:

2-1-1-أمراض المعدة:

ارتبطت أمراض المعدة كما سبق الذكر بالنظام الغذائي، ولتفادي اصابة هذا

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص ص106،116،125،129، 137.
- د. محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 334.
- د. قدري حافظ طوقان: المرجع السابق، ص24.

[2] - ابن زهر: التيسير، ص ص136-137. - د. حربي عطيتو محمد: المرجع السابق، ص 304.

[3] - د. ابراهيم بن مراد :المرجع السابق ص 134.
- د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 190.

[4] - ابن زهر: التيسير، ص ص161-228.
- د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 190.

العضو بالأمراض ينصح بأكل الزنجبيل والباذنجان[1] والخوخ[2] والسفرجل[3]، والعبقر[4] والعنب وقصب السكر[5] وبيض الدجاج المسلوق[6].

وللطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الفضل في اكتشاف أهمية حجر الزمرد في تقويته للمعدة[7]، ويعتبر أكثر الأطباء دراية بالأدوية الأكثر فعالية في العلاج، والتي لا تجعل المريض عرضة للخطر[8].

ومن الأدوية النافعة لعلاج تأليل المعدة، شراب عود السوس و"المصطكى"[9]، وللطبيب "أبي مروان عبد الملك بن زهر" الفضل في اكتشاف أهمية هذا الأخير الدوائية[10]، ومما ساعده على ذلك اهتمامه بالصيدلة وصناعة الأدوية، مع اختبار مفعولها وقوتها، ومما ينوه إليه، فإن هذا الطبيب يرى أن الطبيب الذي لا يعرف مزايا الأدوية واستخراجها، وتنظيمها واستخلاص الفائدة منها، لا يستحق لقب الطبيب[11]، ولقد ذهب إلى نفس الرأي الطبيب أبو جعفر أحمد الغافقي[12].

ومن الأدوية التي تصلح لعلاج التأليل أيضا دهن النشا[13]، والبسباس والنرجس ودهن السمسم[14].

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 214.

[2] – المرجع نفسه، ص 220.

[3] – المرجع نفسه، ص 222.

[4] – العبقر: يعرف عند الأندلسيين باسم البرقوق.
– محمد العربي الخطابي: المرجع نفسه، ص 223.

[5] – المرجع نفسه، ص ص 224-225.

[6] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 88.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص 12.

[8]- Rosa Khune: Op Cit, P 138.

[9] – المصطكى: ويعرف أيضا بعلك الروم، وهي كلمة تطلق على شجرة المصطكى، يستخرج من قشرها وأصلها وورقها عصير ودهن دوائي.
- محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 373.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص ص 448- 449.

[10] – ابن زهر: التيسير، ص ص12، 213.

[11]- Rosa Khune: Op Cit, P P 135,137

[12] – ابن البيطار: المصدر السابق، ص ص422-423.

[13] – النشا: وهو دقيق الحنطة بعد أن ينقع في الماء ويصفى منه. – ابن بيطلر: المصدر السابق، م2، ص 478.

[14] – ابن زهر: التيسير، ص ص 213، 216.

عند انقباض المعدة وإمساكها، ينتج عن ذلك مرض يعرف بالبواسير كما سبق الذكر، وهو من العلل التي كثيرا ما نهى الأطباء عن التكاسل في علاجها أول حدوثها، لما قد يترتب عنها من نفث الدم، وانحلال القوة وترهل البدن[1]، ولعلاجها ينصح في أول الأمر بتناول المواد المساعدة على تلهينها، كالبقول أو شرب الماء بعد مزجه بالعسل[2]، والإستنجاء بماء الورد، واستعمال الأدهان، كدهن السنبل والياسمين[3]، فضلا عن شراب خبث الحديد الذي يذهب البواسير ويوقف نزيف الدم[4].

2-1-2- علاج سدد الكبد:

يعتبر الكبد من الأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان[5]، لذلك فإنّ الأطباء قد اهتموا به اهتماما بليغا، واعتبروا أيّ خطأ في تشخيص علل الكبد بدقة، وفي وصف الدواء لها، قد يترتب عنه نتائج خطيرا على الإنسان، وعلى رأسهم الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر[6] الذي يعود له الفضل في اكتشاف علاج جديد لأمراض سدد الكبد، والمتمثل في حجر البازهر[7] وعصارة الدلاع وماء الورد[8] وشراب القرصعنة[9] والدوقو[10] والكشوث[11]، وتعطى هذه الأشربة كل واحدة منها حسب الوقت، وما يترتب عنها من

---

[1] - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 296.

[2] -محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 344.

[3] - المرجع نفسه، ص 367.

[4] - المرجع نفسه، ص 368.

[5] - ابن زهر: التيسير، ص 185.

[6] - محمد العربي الخطابي:الطب والأطباء في الأندلس، ص 293.

[7] - البازهر: هو حجر نفيس يجلب من الصين والهند.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 112.

[8] - ابن زهر: التيسير، ص 195.
- محمد العربي الخطابي:الطب والأطباء في الأندلس، ص 293.

[9] - القرصعنة: نبات شوكي ذو زهور بيضاء، وأوراق صغيرة وهو يمتاز بطعمه الحلو.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 254.

[10] - الدوقو: وهو الجزر البري له ورق طيب الرائحة يأكل مطبوخا.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 222، 409.

[11] - الكشوث: وهو نبات محبب مقطوع الأصل، أصفر اللون.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص ص334-335.

نتائج على صحة الإنسان[1]. إلى جانب هذه الأدوية، ينصح بتناول غذاء صحي ويتمثل في العدس المطبوخ في ماء الدلاع والخل[2] والفستق[3].

ومما يستحق الذكر فإنّ الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر وإخلاصا منه للدين الإسلامي، لم يستعمل الخمر في تحضير الدواء، وكان يستبدل ذلك برب العنب[4]

2-1-3- علاج أمراض القلب:

إن القلب أيضا من الأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان كما سبق الذكر، لذلك فإنّ إصابة هذا العضو ببعض الأمراض، يكون انعكاسها خطيرا على حياة الإنسان، وفي حالة سلامته فإنّ انعكاس ذلك يكون إيجابا على صحة الإنسان العضوية والنفسية، لأنّ هناك مرض يصيب هذا العضو بالذات، بسبب سوء الحالة النفسية، الناتجة عن غضب وشدة الخوف كما سلف الذكر.

ومن الأدوية التي وصفت لعلاج مرض الخفقان الذي يصيب القلب، تعديل المزاج عن طريق شم الروائح الطيبة، كرائحة الريحان والورد[5]، والصندل[6]، مع النصح بتناول قلوب الخيار[7]، وهذا ما يؤكد أهمية النظام الغذائي وانعكاس ذلك على الصحة.

أمّا علاج أورام القلب، فيتمّ عن طريق تناول مركب دوائي في صبيحة كلّ يوم قبل تناول أيّ شيء آخر، وهو خليط من المواد النباتية كالبسباس، والقرنفل، والتفاح، وزهو الورد، والحرير، والذهب[8]. في حين يعالج التهاب غشاء القلب بشرب لبن المعز، مع شمّ روائح التفاح ونوار البنفسج[9]، والنيلوفر[10]، وإن دلّ هذا على شيء، إنما يدلّ على

---

[1] – ابن زهر: التيسير، ص ص 195-196.

[2] – المصدر نفسه، ص 195.

[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 154.

[4] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 300.

[5] – ابن زهر: التيسير، ص 182.

[6] – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 119.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص 182.

[8] – المصدر نفسه ص180-181.

[9] – المصدر نفسه، ص 184.

[10] – النيلوفر: وهو نوع من الأزهار لها روائح قوية، أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 395.

ما للروائح الطيبة من انعكاس إيجابي على الجانب النفسي للإنسان وعلى الجانب الصحي له.

2-1-4- علاج أمراض الرئة:

تصاب الرئة بالعديد من الأمراض، وأن البعض منها قد تؤدي إلى الموت، ويقصد بذلك، الأورام التي تتطور إلى السلّ كما سلف الذكر، وفي حالة شفاء المصاب من هذا المرض، فإنّه يصبح ضعيف البنية وسريع التأثر وخاصة بالهواء الوبائي[1]، لهذا فالعناية الفائقة بهذا المرض والحرص على علاجه أمر لا يستهان به.

ينصح العليل في بداية الأمر، بأكل "العنّاب"[2]، ورب توت[3]، وماء الشعير البارد، وحسو الفتات[4]، وأكل الخبز المختمر بمربى الورد السكري ولبن المعز[5].

أمّا الأدوية التي توصف لهذا الداء فالأولى بسيطة، وتتمثل في شراب القرصعنة، أو "الراوند"[6]، أو عود السوس[7]، أما الثانية فهي المركبة، وتتمثل في "الطين المختوم"[8] والكزبرة، والبسباس، وقشر "الأترج"[9]، وشراب الورد[10].

و مرض السعال، فعلاجه يتم عن طريق تناول دواء مركب على امتداد ستين يوما،

---

[1] – ابن زهر: التيسير، ص 170.

[2] – العنّاب: ثمر يخرج من الشجر العظام ويكثر هذا النوع في غرناطة والجزيرة الخضراء وطليطلة.
– ابو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص 434.

[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص 112-113.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص 161.

[5] – المصدر نفسه، ص ص 169-170.

[6] – الراوند: نبات رخو لونه اقرب إلى حمرة الدم لا رائحة له، وأجود أنواعه الراوند الصيني.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص143-144.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص ص 166-167.

[8] – الطين المختوم:نوع من الطين الأحمر يستعمل في تحضير الأدوية.ابن البيطار: المصدرالسابق، م2، ص ص 143-144.

[9] – الأترج: نبات طيب الرائحة لونه ذهبي. ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص13-14.

[10] – ابن زهر: التيسير، ص ص 168-169.

ويتمثل في الصمغ العربي[1]، والكمثري[2]، وبزر الورد، والطين المختوم، وشراب عود السوس، مع نصح المريض بأكل بيض الدجاج المسلوق[3]، وشرب عصير العنّاب[4]، مع تجنب أكل الأغذية المذمومة، والإجهاد في الحركة، والصياح، والنّوم على المواضع الصلبة[5].

2-1-5- علاج أمراض الكلى والمثانة:

تعد الكلى بدورها من الأعضاء المهمة والحساسة في جسم الإنسان، ومن أبرز العلل التي تصاب بها، الحصاة كما سلف الذكر، ولعلاجها نصح الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر بأكل لحوم الأرانب، والدجاج، والعصافير، والبطيخ، والخبز المختمر بالجوز، أو حب الصنوبر، وكلها مواد تساعد على تفتيت الحصاة في الكلى والمثانة[6]، وتؤكد على أهمية النظام الغذائي في العلاج. واستعمل لعلاج هذا الداء كذلك زيت الهرجان[7].

وللنباتي أبي عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي الدور غير المباشر في اكتشاف دواء جديد لأمراض الكلى والمثانة، وذلك باكتشافه لنبات الآأكثار والذي

---

[1] - الصمغ العربي: مادة تستخرج من خشب الشجرة التي تعرف باسم تيغرا أو أم الغيلان، وهي مادة نافعة لتليين خشونة الصدر.
- أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص 402.

[2] - الكمثري: ويعرف ايضا باسم الاجاس وهو نوع من الفواكه.
- ابو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 329.

[3] - محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 88.

[4] - المرجع نفسه، ص 109.

[5] - ابن زهر: التيسير، ص ص 174-176.

[6] - المصدر نفسه، ص 257. - كتاب الأغذية، ص ص91-120.
- محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 228.

[7] - زيت الهرجان: هو زيت يستخرج من نواة شجر الهرجان الذي ينبث في جنوب المغرب.
- أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص 605.

استخلص منه الطبيب أبو محمد عبد الله بن البيطار المادة الدوائيـــة الصالحـــة لتفتيـــت الحصاة بالكلى والمثانة[1].

2-1-6- علاج أمراض العين:

تصاب العين كما سبق الذكر بالعديد من الأمراض من بينـــها داء الحـــول، ويتـــم علاجه عن طريق تكميد العين بدهن مركب من السوسن، والشبث[2]، والورد[3].

أما داء السلع والغلظ، فعلاجهما يتم عن طريق دهن العين المعلولة بزيـــت الـــورد المركب على دهن اللوز الحلو[4]. في حين ينصح لعلاج الرمد، تلطيف الغذاء مع الصـــبر على الجوع، وغسل العين بماء الورد الفاتر، ثم تقطير دواء مركـــب مـــن الحضض[5]، وبزر السفرجل وماء الورد[6].

ومما يستحق الذكر، فإن عامة الناس وبعض خواصهم، كـــانوا يســـتعملون مـــادة الكحل[7]، سواءا كانت العين معلولة أو سليمة. وتصنع هذه المادة من مســـحوق اللؤلؤ[8]، والبسند[9]، والمامثا[10]، ومسحوق الثوم[11]، ونوى التمر، وقشر البيض[12].

---

[1] - ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 8.

[2] - الشبت: نوع من البقليات، وهو نوعان أحدهما له ورق طويل خضرته تميل إلى لون الغبرة لـــه ســـاق ملســـاء مجوفة وأغصانه رقيقة، وله عروق بيضاء غائرة في الأرض، اما النوع الثاني فهو مثل الاول إلا فـــي الـــبزر، إذ أن بزر هذا الأخيير عدسي الشكل، لونه بين الخضرة والصفرة، وتشتهر به مدينة طليطلة
أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص ص 565-566.

[3] - ابن زهر :التيسير: ص 47.

[4] - المصدر نفسه، ص 48.

[5] - الحضض: هي شجر تمشوكة يزيد طول أغصانها عن ثلاثة أذرع، ولها ثمر شبيه بالفلفل الأســـود وهـــو مـــر المذاق، ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 279.

[6] - ابن زهر: التيسير، ص 71. - ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 279

[7] - ابن زهر :التيسير، ص 13. - د. ابراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 105.

[8] - اللؤلؤ: حجارة تجلب من البحار، وهي نافعة لأمراض العين. ابن البيطار: المصدر السابق، م 2، ص 389.

[9] - البسند: نبات ينبت في أعماق البحر ومسحوقه يستعمل في علاج أمراض العين.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص ص 128-129.

[10] - المامثا: نبات صغير ينمو بين الصخور الجبليةويعرف أيضا بالحضض.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 404.

[11] - محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص 354-355.

[12] - المرجع نفسه، ص ص 89،115.

2-1-7- علاج داء السرطان:

يعدّ مرض السرطان من الأمراض الخطيرة ودون الأمراض الأخرى، فإنّ الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر قد أشار إلى أنّه مرض عسير البرء، وصعب الشفاء[1]. ويضيف قائلا: "... وعلاج هذا كاد أن يكون من الممتنع..."[2]. ومع ذلك، حاول بعض أطباء الأندلس إيجاد علاج له[3]، من بينهم الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر الذي على الرغم من قوله أنّ مرض السرطان صعب الشفاء، إلا أنه حاول إيجاد علاج لهذا الداء والتخفيف منه، ويتمثل ذلك في دواء مركب من قشر الأترج الرقيق، والبسباسة[4]، وفقاح البابونج[5]، وبزر البطيخ والعسل، وينصح بتناول هذا الدواء كل غدوة[6].

وفي حالة إصابة الساقين بداء السرطان، ينصح أيضا بتكميدها بدقيق الشعير، والبابونج المعجون بالماء العذب الفاتر، وماء الورد[7]، ودهنها بدهن البابونج[8].

يضيف الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر إلى جانب الدواء المذكور، ضرورة إلزام العليل بنظام غذائي خاص، والمتمثل في لحم الديكة الصغيرة، والخبز المختمر الجيد الطبخ، ولب الصنوبر، واللوز، والفستق، والرمان، والبرقوق[9].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هذا الطبيب لإيجاد علاج لهذا الداء، فإنّه يؤكد في كلّ مرة عسر تأثير الأدوية وشفاء المريض من هذه العلّة[10].

---

[1] -ابن زهر: التيسير، ص 370.

[2] - المصدر نفسه، ص 371.

[3] - ابن زهر: التيسير، ص ص 370، 372-373. - د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 110.
- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص 258.

[4] - البسباسة: قشور الجوز أجودها الحمراء وهي طيبة الرائحة.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص127-128.

[5] - البابونج: نبات ذو زهر أبيض وأصفر ينمو في فصل الربيع ويستخلص منه عطر دوائي.
- ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص101-102.

[6] - ابن زهر: التيسير، ص 370.

[7] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[8] - المصدر نفسه، ص ص370-371.

[9] - المصدر نفسه، ص 371.

[10] -المصدر نفسه، ص ص 370-371.

2-1-8- علاج مرض الخدر:

يتم علاج مرض الخدر في حالة عدم إصابة المخ به، باستعمال دهن السوسن المركب على زيت الزيتون[1]، ودهن البان[2] المركب على دهن الياسمين[3]، أودهن الورد، ودهن السوسن المركب على زيت الورد أو زيت الياسمين[4]، ودهن حب البشام[5] المركب على دهن حب الضرّو[6]، ويكون استعمال الدهن الأخير هذا في فصل الشتاء، وفي حالة عدم توفره، فإنّه يستبدل بدهن البلسان، مع تناول شراب الجندبادستر[7].

وإن دلّ هذا على شيء، إنّما يدل على التجارب النباتية التي كان يقوم بها الأطباء الصيادلة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

أما عن النظام الغذائي، فينصح بتناول أغذية وافية الحرارة دون إفراط، منها الحمام، ورؤوس الأرانب والديكة، مع تجنب الإجهاد في الحركة[8]. ومما ينوه إليه، فإنّ للطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الفضل في تخفيف هذا المرض على المصاب به في البلعوم، والذي لا يستطيع الأكل والشرب، حتى أنّه قد يموت هزلا، ويتمثل ذلك في اكتشافه لأنبوب من فضة أو من قصدير يتم من خلاله إيصال الغذاء من حليب أو حسو إلى المعدة[9].

---

[1] – ابن زهر : المصدر السابق، ص 134.

[2] – البان: شجر ذات أوراق هذبة وخشبها رخو خفيف وثمارها تشبه قرون اللوبيا شديدة الاخضرار يستخرج منها دهن البان.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 108.

[3] – ابن زهر: التيسير، ص 135.

[4] – المصدر نفسه، ص 136.

[5] – البشام: يعرف عند الأطباء الصيادلة الأندلسيين بحب البلسان وهو ثمر شجر عظيم عطر الرائحة.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص130.

[6] – الضرو: شجر ينمو بالجبال مثل شجر البلوط، يستخرج من ثمره دهن كثير.
– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص349.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص ص124-125.

[7] – الجند بادستر: خصية إحدى الحيوانات البرمائية وتعيش في النهر.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 234-235.

[8] – ابن زهر: التيسير، ص 354.

[9] – المصدر نفسه، ص 155.

2-1-9- علاج الكسور:

اهتم أطباء الأندلس بعلاج الكسور، على غرار اهتمامهم بعلاج الأمراض الأخرى، مركزين على ضرورة التوازن ما بين الغذاء الصحي والدواء، ولعلاج الكسور ينصح بتغذية العليل بلحم الديكة والخبز[1]، مع تناول شراب ماء الورد، وشراب لسان الحمل[2] مع الكافور، والطين المختوم، ودواء الأفيثيمون[3]، وورق الحنظل[4]، ولب اللوز، والفستق، أو تناول دواء آخر مركب من العنّاب، وعود السوس، وزهر البنفسج والنيلوفر، والسنبل الهندي، والمصطكى[5]، وللطبيب أبي جعفر أحمد محمد الغافقي الفضل في اكتشاف القيمة الدوائية للمصطكى في علاج الكسور[6]، وينصح أيضا بدهن الأعضاء المكسورة بزيت الورد[7]، بعد تسويتها إن كان المكسور منها الذراعين أو الساقين على لوح مستوي، ويلف العضو المكسور بجبيرة من قصب أو عاج[8].

2-1-10- علاج الأمراض النفسية:

يصاب الإنسان بأمراض نفسية، ومن أهمها كما سلف الذكر الصرع الذي يوصف لعلاجه، تلطيف الغذاء كأكل لحم الدجاج الفتي، والخبز المختمر، وطبيخ الأيرساء[9]،

ـــ -عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص34. د. عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 307.

[1] – ابن زهر: التيسير، ص 228.

[2] – لسان الحمل: نبات له ورق، ينمو في المواضع الرطبة من سبخات وبحيرات.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 381.

[3] – الأفيثيمون: نبات شبيه بنبات الصعتر له زهور. – ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 55.

[4] – الحنظل: نبات له أغصان وورق مفروش على الأرض، وثمره مستدير شديد المرارة.
– ابن البيطار :المصدر السابق، م1، ص 296. – أبو خير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص ص 187-188.

[5] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 349.
– ابن زهر: التيسير، ص ص 322-323.

[6] – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 450.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص ص 315-316.

[8] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 147.

[9] – الأيرساء: نوع من السوسن له ساق وزهر منحني طيب الرائحة ذو الألوان المختلفة من أزرق وابيض وأصفر وسمي بذلك نسبة لقوس قزح.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 78. ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 98.

والكزبرة، وسقولوقندريون[1] بالعسل ويكون تناول ذلك على الصوم[2]، ويعتبر الثوم أيضا دواء نافع لهذا الداء[3]، وكذا النرجس[4] الذي يعد من اكتشاف الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر[5]. ولعلاج هذا الداء أيضا ينصح بشراب مركب من صبر سقوطري[6] وأغاريقون أنثى[7] وتربد[8] وبسبايج وبزرالأفثيمون[9]، وحجر اللازرد ورب السوس[10]، والبنفسج، والملح، وشحم الحنظل وورقه، وعصارة التفاح، ولب اللوز، وشراب المصطكى، وربّ العنب[11].

أما الجنون فعلاجه حسب الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر عسيرا وبخاصة إن كان المصاب شيخا[12].

2-2 علاج الأمراض الوبائية:

اهتم الأطباء الأندلسيون بالبحث عن الأدوية الصالحة لعلاج الأمراض الوبائية، مع أنّ أغلبها فتاكا، وقلّما يسلم منها الإنسان. ومن أبرزها، الطاعون، الجذري والجذام.

2-2-1 علاج وباء الطاعون:

لعلاج وباء الطاعون، ينصح بشراب الصندل[13]، وماء الطين المختوم، مع إلزام المريض بتناول خبز الحنطة[14]، وتجنب أكل اللحوم[15]، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف

---

[1] – سقولوقندريون: نوع من الحشائش ذات الأوراق وتنمو في الصخور.– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 26.

[2] – ابن زهر: التيسير، ص 86.

[3] – المصدر نفسه، ص87.

[4] – النرجس: نبات ذو زهور بيضاء وصفراء طيبة الرائحة. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص476.

[5] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 301.

[6] – صبر سقوطري: شجر ثقيل الرائحة مر المذاق، أوراقه صفراء كالزعفران.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م 2، ص ص104 – 105.

[7] – أغاريقون أنثى: نبات متخير مجلوب إلى الأندلس.أنظر ابن زهر: التيسير، ص 87.

[8] – تربد: نبات ينمو بالسواحل له أزهار متغيرة اللون تستعمل في العلاج.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص114.

[9] – بزرالأفثيمون: نبات ينمو في الصخور الندية، وخضرته مائلة إلى الصفرة، وهو عديم الزهر والثمر.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 107.

[10] – السوس: نبات يشبه الصعتر وهو عبارة عن حشائش تنمو في شهر ماي وتجمع في آخره.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص 66.

[11] – ابن زهر: التيسير، ص 87.

[12] – المصدر نفسه، ص ص 114– 115.

[13] – الصندل: نبات يشبه شجر الرمان، ورقه بين الخضرة ولون الغبرة، عسر الإنفراك ينبت بالجبال الشاهقة، وله رائحة طيبة. أبو الخيرالإشبيلي: المصدر السابق، ج2، ص405. ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 119.

[14] – الحنطة: نوع من الحبوب يستعمل منه الدقيق. ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 298–299.

[15] – ابن زهر: التيسير، ص ص 420–421.

المساعدة على العلاج، كتهوية سكن المصاب بهذا الداء، ورشّ جدرانه بالخلّ[1].

إنّ علاج هذا الداء صعبا ويتطلب جهودا كبيرة ومهارة فائقة من الطبيب، والدليل على ذلك قول الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر لما عرض عليه فتى به وباء طاعوني: "...أجهدت نفسي في علاجه"[2].

2-2-2 علاج وباء الجذري:

إنّ علاج الجذري يكون بأكل العدس بالخلّ[3]، والخصيات بالخل، وقلوب القثاء والخيار، وماء الشعير، ومسلوق القرع والدفاع، مع التقطير في عين المجذور ماء الورد حتى لا يفقد بصره[4].

2-2-3 علاج الجذام:

لعلاج الجذام إن لم يستحكم في المصاب به، ينصح بتناول دواء مركب من أصل الطرفاء[5] وقشر أصل الكبر[6]، وعود السوس والزبيب[7]، كما ينصح بتناول الترياق الفاروق[8]، وأكل الخبز بالديكة والدجاج، ودهن اللوز[9]، ويعد لحم السلحفاة أيضا نافعا لعلاج هذا الداء بعد تناوله سبعة أيام متتالية[10].

هكذا إذن اهتم الأطباء في الأندلس بالأمراض، وبذلوا جهودا كبيرة من أجل إيجاد علاج لها، وبعد البحث العميق والتجارب العديدة، تمكن البعض منهم من إيجاد أدوية

---

[1] – ابن زهر :المصدر السابق، ص 421.

[2] – المصدر نفسه، ص 419.

[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص343-344.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 388.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص339.

[5] – الطرفاء: شجرة لها ثمار شبيهة بالزهر.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 287. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص ص132-133.

[6] – أصل الكبر: نبات له ورق دائري مشوك، وله زهر أبيض. أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 305.

[7] – ابن زهر: التيسير، ص 348.

[8] – الترياق الفاروق: معجون مركب من أقراص الأفاعي والأفيون وتعظيما لشانه سمي بالفاروق لأنه يفرق بين الصحة والمرض. ابن زهر: المصدر السابق، ص 538.

[9] – المصدر نفسه، ص ص 349-350.

[10] – د. إبراهيم القادري بوتشيش: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص 105.

جديدة لعدة أمراض. وإلى جانب اهتمامهم بالأدوية لضرورتها العلاجية، فإنّهم لم يغضوا النظر عن الوعي الصحي والطب الوقائي كأساس لحماية الإنسان من الإصابة بالأمراض، وحمايته من العدوى، ووقايته في حالة المرض وفي مرحلة النقاهة، حتّى لا يستفحل أمره.

وفيما يلي، توضيح لأهمية الوعي الصحي والطب الوقائي في المحافظة على صحة الإنسان.

3- الطب الوقائي (الوعي الصحي):

اهتم المرابطون والموحدون من بعدهم بالطب، فحظي الأطباء في عهدهم بمكانة معتبرة، حتى ارتقى البعض منهم إلى المناصب العليا في الدولة كما سلف الذكر، وقد دفع ذلك بالأطباء إلى أن يهتموا بدورهم بهذا الفرع من العلوم، فانكبوا عليه مهتمين بجميع جوانبه، فعرفوا الداء وحاولوا إيجاد الدواء، كما عملوا قدر المستطاع على تجنب الداء ، فاهتموا بالطب الوقائي والوعي الصحي من أجل ذلك.

وقد ذكرنا سابقا، ما قام به المرابطون والموحدون من بعدهم من أجل المضي قدما بالطب، وبخاصة عند استحداثهما لمنصب رئيس الصناعة الطبية ومزوار الأطباء للحرص على السير الحسن للطب ومهنته، وفي نظر الباحث، فإنّ استحداث هذا المنصب إن دلّ على شيء، إنّما يدل ويؤكد على إدراك كل من المرابطين والموحدين للوعي الصحي والطب الوقائي، فمراقبة رئيس الصناعة الطبية أو مزوار الأطباء للأطباء الصيادلة في جميع نشاطاتهم الطبية، تعتبر في حدّ ذاتها وقاية للمجتمع من أي أخطاء قد يقع فيها هؤلاء الأطباء، فينعكس ذلك سلبا على صحة وسلامة المجتمع.

أمّا الأطباء، فقد دعوا بدورهم إلى ضرورة حفظ الصحة والوقاية من الأمراض قبل الوقوع فيها، ورأوا أن ذلك أهم بكثير من المداواة والعلاج، ودليلنا على ذلك أن أول ما افتتح به الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر كتابه "التيسير في المداواة والتدبير"

قوله: "... وبعد فإنّي ملبّي بامتثال الأمر العزيز في تصنيف علاجات ... وابدأ في ذلك إن شاء الله بما يحفظ الصحة"[1].

ومن أبرز ما يحفظ صحة الإنسان من المرض:

– نظام الغذاء: رأى جلّ الأطباء الصيادلة والعشابين في الأندلس، أنّ أفضل ما يقدّم في الغذاء، المواد النباتية، وقد دفع ذلك البعض منهم إلى تأليف كتبا بكاملها حول المنافع الغذائية والصحية للنباتات، من ذلك الطبيب العشاب أبو الخير الإشبيلي (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) صاحب كتاب "عمدة الطبيب في معرفة النباتات"[2]، والطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر صاحب كتاب "كتاب الأغذية"[3]، وأبي الوليد بن رشد الذي خصص فصلا من كتابه "الكليات" للأغذية[4] والطبيب الصيدلي ابن البيطار صاحب كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"[5].

ومن المواد النباتية التي تحفظ الصحة البقليات والحبوب ، وإنّ هذه الأخيرة أحسن وأنفع للصحة من الأولى[6]، ولقد أشار الطبيب أبو مران عبد الملك بن زهر إلى أنّ أفضل الأخباز، خبز الحنطة والقمح والشعير، شريطة أن تكون مختمرة دون إفراط، وهي تنفع للأصحاء مثلما تنفع للمرضى[7]، لأنّ البقليات كالفول والحمص واللوبيا تحدث في المعدة والأمعاء أوجاعا ورياحا[8]، أما الأحساء، فأفضلها المتخذة من الحنطة والقمح والشعير[9].

---

[1] – ابن زهر : التيسير، ص 7.

[2] – أبو الخير الإشبيلي :عمدة الطبيب في معرفة النباتات ،الجزء الأول، ص ص39–397، الجزء الثاني،ص ص 398–642.

[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص82–165.

[4] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص169–209.

[5] – ابن البيطار :الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، المجلد الأول، ص ص5–489، المجلد الثاني، ص ص3–521.

[6] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 149.

– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص ص50، 241.؛ ج2، ص ص 510–511، 586.

– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 169–171.

– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص25، 415؛ م2، ص ص83–84.

[7] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص82–85.

[8] – المرجع نفسه، ص ص 83–84.

[9] – المرجع نفسه، ص 85.

أما اللحوم، فأفضلها لحم الدجاج، وتصلح بالخصـــــوص للمنـــهوكين والمرهقيـــن والناقهين[1]، وينصح بها أيضا لمـــن ظهر عليه ابتـــداء داء الجذام[2]، لأنّ لحوم البقر بطيئة الهضم، ولحوم المعز بخاصة الشوارف منها تسبب الصرع[3]، أما لحوم السمك فهي نافعة للصحة وأفضلها البحرية[4].

الفواكه، إنّ آخر ما ينصح بتناوله في الوجبات الغذائية الفواكه وشرب المياه العذبة[5]، ومن بين الفواكه النافعة للصحة التين والعنب، وفيهما يقول جالينوس أنهما سيدا الفاكهـــة، فالتين يليّن البطن، في حين العنب يخصب البطن ويقطع القيء[6]، أما التفاح فـــإنّ شـــمه يقوي القلب والدماغ، في حين ينفع من الخفقان شم فاكهة السفرجل[7]، ولفاكهـــة الكمـــثري والبرقوق دور في تقوية المعدة[8]، ولأهل الجهد والتعب ينصح لهم بأكل التمر[9].

أمّا المياه والتي نختم بها الوجبات الغذائية كما ذكرنا، فإنّ أحسنها مياه العيون العذبـة مع تجنب المياه الباردة[10]. ومما ينوه إليه، فإنّ شرب الألبان نافعة للصحـــة، وإنّ شـــربها على الصوم يغذي البدن ويسمن المسلولين[11]، والعسل أيضـــا، جيّـــد للصحـــة ويـــداوي الأسقام[12]، ولأهميته فإنّ الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر قد خصص جزءا هاما من

---

[1] –محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 85.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 171–172.
[2] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 85 .
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 366.
[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص90.
[4] – المرجع نفسه، ص 98.
[5] – المرجع نفسه، ص 149.
[6] – المرجع نفسه، ص ص108–109.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 173.
[7]– ابن زهر: المصدر السابق، ص ص110–111.
[8]– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص176–177.
[9]– ابن زهر: التيسير، ص 115.
[10]– المصدر نفسه، ص ص 121، 124، 149.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 292.
– المرجع نفسه، ص ص 173–174.
[11] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 95.
[12] – ابن زهر: التيسير، ص 124.

"كتاب الأغذية" لتوضيح ذلك[1]، ويعتبر أوّل الأطباء الذي أبـــرز قيمـــة العســـل الغذائيـــة والدوائية[2].

– الرياضة : وللرياضة أهمية لا تقلّ عن أهمية العسل في انعكاسها الإيجابي علـــى الصحة، شريطة أن لا تكون على الصوم[3]، فهي تحسن الهضم وتجيده، وتحسن الأمزجـــة وتبّعد عن الأمراض، ويؤكد ذلك "ابن خلدون " بقوله: "...ثم الرياضـــــة مفقـــودة لأهـــل الأمصار... أمّا البدو ... إنّ الرياضة موجود فيهم ... فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد عـــن الأمراض، فتقل حاجتهم إلى الطبّ ..."[4].

– المحيط والبيئة: إنّ الاهتمام بالمحيط والبيئة أمر ضروري أيضا لوقاية المجتمـــع من الأمراض، وبخاصة الوبائية منها لارتباط هذه الأخيرة بالهواء وطبيعته، لذلك فقد شدد فقهاء الأندلس[5] خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على نظافـــة البيئـــة وبعض المظاهر العامة منها، والتي قد تؤدي أو تسبب أمراضا في حالة عـــدم نظافتـــها والاهتمام بها ، والحرص على ذلك، وهم مشجعون في ذلك من طرف الحكام المرابطيـن والموحدين، فشددوا على منع الذبح في الأسواق إلا في القصارى[6]، ومنع طرح المزابـــل والفضلات داخل المدن، بل يكون ذلك في مواضع مخصصة ومعدة لذلك، كما شددوا على بائعي كل ما له صلة بالدم والزبل أنّ ينظفوا مواضعهم وأماكنهم ، وعلى أهل الأربـــاض

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص 310–317.

[2] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 285.

[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 150.

[4] – ابن خلدون :المقدمة، ج2، ص 502.

[5] – من بينهم: أبو عبد الله محمد بن أحمد السقطي، فقيها وعالما رحالة من أهل مالقة، تولى منصب المحتسب بها فـــي أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.
– ابن عبد الرؤوف وعمر بن عثمان الجرسيفي، عاشا في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثـــاني عشـــر الميلادي.
– محمد بن أحمد بن عبدون الإشبيلي، عاش في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأوائل القـــرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ما بين فترة اعتلاء المعتمد بن عباد للحكم بإشبيلية سنة 461 هـــــ/ 1068م إلى فترة انتهاء عصر المرابطين سنة 541هـ/1147م.
– د. نيكولا زيادة: المرجع السابق، ص ص57–59.
- Levi Provencal: Seville Musulmane, PP VI- XXIV.

[6]- Levi Provencal: Ibid. PP 98-106.

والأحياء أن ينظفوا ما اجتمع عندهم من الزبل والقاذورات[1]، زد على ذلك فإنّ فقهاء فترة موضوع الدراسة قد شددوا أيضا على ضرورة تعميق القبور عند حفرها بالقدر الذي لا يسمح لروائح الجثث أن تظهر، فتفسد الهواء مسببة أمراض وبائية[2] ، ولتفادي ذلك وإصلاح الهواء، ينصح بحرق خشب الطرفاء[3] لأنّه نافع لذلك[4].

ومن المظاهر العامة كذلك والتي شدد الفقهاء على ضرورة الحفاظ عليها، الحمامات، فدعوا إلى مراقبتها لكونها أهمّ مكان يلجأ إليه عامة النّاس للاغتسال، فاشترطوا على المشرفين عليها أن يبيّتوا محاكهم التي يحكون بها أرجل الناس في الماء والملح[5]، لأن الملح ينقي ويحلل ويذهب الروائح الكريهة[6]، كما دعوهم إلى غسل ميازرهم كل عشية بالصابون[7]، ولأهمية هذا المكان وكثرة تردد الناس عليه لما له من دور في تعديل المزاج وإذهاب التعب واستفراغ فضول البدن[8]، فإنّ الطبيب أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي (ت 467هـ/1074م) قد ألف كتابا بكامله حول الحمامات بعنوان: "علم الحمامات"[9]. أمّا المترددون على هذه الأماكن، ومن باب الوقاية، فينصح أن لا يدخلوها ومعدتهم ممتلئة أو فارغة، وأن لا يكونوا متعبين، كما ينصح المريض أن لا يدخلها إطلاقا لأن ذلك قد يسبب في هلاكه[10].

أمّا المساكن، فإنّ أفضلها التي تكون أكثر تعرضا للشمس لأنّ هذه الأخيرة تقتل الجراثيم العالقة في الهواء[11]، وفي حالة وجود مرض وبائي ينصح أن يرش بيت المصاب

---

[1]- Levi Provencal: Seville Musulmane, PP 71, 81-83.

[2] – ابن زهر: التيسير، ص 421. – د.نيكولا زيادة:المرجع السابق، ص 128.

[3] – الطرفاء: هو نوع من الشجر العظام، ورقه مهدّب، وخشبه أحمر وزهره دقيق أبيض.
– أبو الخير الإشبيلي: المصدر السابق، ج1، ص 287.

[4] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 163.

[5]- Levi Provencal: Op. cit. P 108.

[6] – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 456.

[7] – د. نيكولا زيادة : المرجع السابق، ص 127.

[8] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 150.

[9] – د. فرانشيسكو فرانكو سانشث: المرجع السابق، ص193.

[10] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 150.

[11] – المرجع نفسه، ص ص 422-423.

بالقطران، وأن يشمّ المصاب الريحان وماء الورد مع الخلّ[1]. وللحدّ من انتشار عدوى الأمراض الوبائية ينصح بعزل المرضى عن الأصحاء في أماكن خارج المدن، ولا يسمح لهؤلاء أن يختلطوا بغيرهم[2].

على ضوء ما تقدم، يتبين لنا أن الأطباء في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي قد بحثوا في أسباب الأمراض وحاولوا إيجاد العلاج لها، وقد تظافرت جهودهم إلى جانب جهود الحكام المرابطين الموحدين والذين لم يهتموا بالطب والأطباء فحسب، وإنّما اهتموا أيضا بالمحيط والبيئة، فتعاون الجميع للمضي قدما بالطب. ولقد استطاع الأطباء في نهاية المطاف إلى الوصول إلى نتيجة طبيعية، ألا وهي (الوقاية خير من العلاج) وهذا خلافا لاعتقاد الأوربيين خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلادي القائم على أنّ الأمراض الوبائة هي من غضب الله جزاء على أعمال البشر والذين لا يؤمنون به، ولقد بقي هذا الاعتقاد لديهم إلى غاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[3].

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 163.

[2] – الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص ص404– 405.

– د. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 411.

[3] – زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 273.

– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 273.

المبحـــث الثالث

المداواة بالجراحة

اهتمّ علماء الأندلس بعلم الطب اهتماما كبيرا، ولقد نال هذا الفرع من العلوم تطـورا وتقدما ملحوظا بفضلهم، حيث توصل البعض منهم إلـــى اكتشـــاف أمـــراض جديـــدة وعلاجها، ولقد كان العلاج بالأدوية سواءً البسيطة منها أو المركبة أهـــم الوســـائل التـــي اتخذها هؤلاء لعلاج مختلف الأمراض، مع الاهتمام في الوقت نفسه بـــــالوعي الصحـــي للحماية من الوقوع فيها، أو الحدّ من استفحالها في مرحلة النقاهة. ولما يستعصي العـــلاج بالأدوية، فإنّهم يلجأون للجراحة، وهي آخر ما يعتمدون عليها في العلاج، لأنها عملية في غاية الخطورة، وخلالها يقع الاستفراغ من الدم –والذي تقوم عليه الحياة– عند فتح عرق أو شق على ورم أو إخراج سهم وغير ذلك من العمليات الجراحية، وكثـــيرا مـــا تكـــون نهايتها الموت، وبسبب ذلك فإنّ الطبيب الأندلسي أبا القاسم الزهراوي نصح وحذر مـــــن الإقدام على العلاج بالجراحة وحذر من عواقب ذلك بقوله: "...ولا تقدموا على شيء مـــن ذلك إلا بعد علم يقين يصح عندكم بما تصيغ عليه العاقبة المحمودة واستعملوا في عـــــلاج مرضاكم تقدمة المعرفة والإنذار إلى ما يؤول إليه السلامة..."[1].

1- تطور علم الجراحة بالأندلس:

مرت الجراحة بالأندلس ــ شأنها شأن الطبّ والصيدلة ــ بعدة مراحل، أولها ترجمة أمهات الكتب اليونانية التي ألفها أبقراط وجالينوس وآرسطو، ولقد كانت مؤلفات هـــؤلاء تحوي معلومات حول الجراحة[2]، من بينها كتـــــاب" المقـــالات الخمـــس فـــي التشـــريح" بجالينوس، وكتاب "علم أبقراط بالتشريح"، وكتاب "علم أرسطوطاليس بالتشريح".

---

[1] – د. محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص 111.

[2] – د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 152.

– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 97.

بعد هذه المرحلة، استقل الأطباء العرب بمؤلفاتهم الطبية والتي تضمنت فصولا في علم التشريح والجراحة، وعلى رأسهم الطبيب الشهير علي بن ربن الطبري (ت236هـ/850م) صاحب كتاب "فردوس الحكمة"، والذي خصص جزء منه للجراحة[1]، والطبيب أبو بكر بن زكريا الرازي (ت 313هـ/925م) الذي خصص السفر الحادي عشر من مؤلفه "الحاوي"، لعلم الجراحة[2]، والطبيب علي بن العباس (ت384هـ/994م) الذي أفرد 110 فصلا من كتابه "الملكي" المعروف أيضا "بكامل الصناعة الطبية" للجراحة وعلم التشريح[3]، والطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت428هـ/137م) الذي احتوى كتابه "القانون" للعديد من المعلومات عن الجراحة والعمليات الجراحية[4]. ولقد أبدع هؤلاء في مؤلفاتهم هذه وأضافوا أشياء جديدة في الجراحة، بل إن البعض منهم قام بتصحيح ما وقع فيه من سبقهم في علم التشريح والجراحة، وعلى رأسهم الطبيب علي بن العباس الذي صحح في كتابه "الملكي" أخطاء أبقراط، منها قول هذا الأخير أن الطفل في بطن أمه يتحرك بنفسه تلقائيا ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم، في حين يرى علي بن العباس أن الولادة تتم بعد حركة الرحم المولّدة والتي تدفع الطفل بالخروج بواسطة انقباض عضلاته[5].

توصل الأطباء السالفي الذكر إلى ما وصلوا إليه من جديد في الجراحة، بعد اعتمادهم على التشريح، إذ لا يمكن لأي طبيب أن يكون جراحا، إلا إذا كان على دراية بمنافع الأعضاء وهيئاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات

---

[1] – د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 98.
– د. احمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 152.
[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 420، 423.
– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص ص 281– 289.
– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص ص 98– 100.
[3] – ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص320
– د. فرانسشكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 195.
– د. عامر النجار: المرجع السابق، ص ص 116– 119.
[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 457.
– د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص ص 100– 104.
[5] – زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 271.
– د. عامر النجار: المرجع السابق، ص118.

وعددها ومخارجها، وغير ذلك من أحوال كل عضو من الجسم[1]. ومما ينوه إليه فإنّ الأطباء العرب لم يهتموا من قبل بالجراحة والتشريح، بل كانوا يعتبرون ذلك صناعة يدوية، ولقد اهتموا بالدرجة الأولى بالطب، وكانوا يعتبرونه من نتاج العقل الذي يعد في اعتبارهم أعلى منزلة وقدرا من اليد[2]، ومع هذا، فإنّ التشريح والجراحة لم تكن مهملة عند هؤلاء، بل كانت في بادئ الأمر من جملة صناعة الحجامين[3]، وكانت الجراحة في الأصل تسمى "صناعة اليد"[4]، ولهذا السبب كانت المعرفة بالتشريح والجراحة ضعيفة، ويعبر عن ذلك الطبيب أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي (ت403 هـ-1013م) بقوله: "...إن الأطباء بالاسم كثير وبالفعل قليل لا سيما في صناعة اليد"[5]، ولكن مع تقدم الطب كان لابد أن يصاحب ذلك تقدما في التشريح والجراحة[6]، حتى أصبح علما قائما بذاته وقد تحقق ذلك على يد الطبيب الأندلسي أبي القسم خلف بن العباس الزهراوي الذي يعود له الفضل في الفصل بين الجراحة والمواضيع الطبية الأخرى، كما يعود له الفضل أيضا في توضيح أن الجراحة علما متميزا وقائما على معرفة التشريح[7]، ويعد كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" موسوعة طبية كاملة أفرد فيها هذا الطبيب الجراح المقالة الثلاثون للجراحة، وهي أوّل ما كتب في علم الجراحة مقرونة برسوم إيضاحية لكثير من الآلات الجراحية، والتي أصبح أطباء الأندلس من بعده يعتمدون عليها[8]. وفيها يجمع صاحبها إلى

---

[1] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 139.
- محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم: الفهرست، دار المعرفة بيروت، 1378هـ/1978م ،ج1، ص ص 403-404.

[2] - ابن زهر: التيسير، ص 320.
- د. محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 97.

[3] - الحجامين: نسبة إلى كلمة الحجامة، وتعني الذي يشرط الجلد بالمشراط ثم يلقى في المحجمة - وهي الآلة التي يقال لها كأس أو قارورة الحجّام- ورق أو قطن ملتهب يلزم بها مكان الشرط فتجذب الدم بقوة الإمتصاص.
- ابن زهر: التيسير، ص 380.
- ابن منظور الإفريقي: المصدر السابق، ج11، ص 390. ج12، ص 117.

[4] - ابن زهر: المصدر السابق، ص ص 27،29،58،73،76.
- د. محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص 106.

[5] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] - المرجع نفسه، ص 97.

[7] - محمد العربي الخطابي: الطب والاطباء في الأندلس الإسلامية، ص 125.
- د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص154. كمال اليازجي: المرجع السابق، ص 72.

[8] - د. أحمد عبد الرزاق أحمد : المرجع السابق، ص 155.

جانب العديد من المعلومات السابقة في الجراحة إسهاماته وابتكاراته في ذلك، بعد خبرة وتجربة وطول معاناة[1]، فأصبح بذلك بحق رائدا في علم الجراحة بالأندلس[2]، وظلت أوربا بعد ترجمة كتابه السالف الذكر إلى اللاتينية تعتمد عليه في علم الجراحة لمدة خمسة قرون[3]، ومن أبرز إسهاماته الجديدة في علم الجراحة إيقاف النزيف بربط الشرايين، ويعتبر الأول في وضع المبادئ الأساسية لجراحة الفتوق، والأول في الوصف بالتفصيل لخياطة جراحة الأمعاء باستعمال خيوط من أمعاء الحيوان[4]، مع العلم أن خيوط الجراحة من قبل كانت مستمدة من حرير "الإبريسم"[5]، فضلا عن ذلك فهو يعد الرائد في جراحة التجميل، بحيث تخاط الجروح جراحة داخلية، لا تترك أي أثر مرئي منها[6]، ويعود له الفضل أيضا في استحداث أدوات جديدة في الجراحة كاستحداثه لمقص اللوزتين والمخدع الخاص بشق الأورام[7]، وجهاز خاص لغسل المثانة وهو المحقن، كما اكتشف آلات لتفتيت حصاة المسالك البولية. أما في جراحة الفم والأسنان، فهو أول من مارس عملية جرد الأسنان وتقويتها، ويعتبر أيضا أوّل من حاول نقل الأعضاء[8]. ولهذه

---

[1] – د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 104.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 125.
– فرانشيسكو فرانكو سانشث: المرجع السابق، ص 195.

[2] – محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 125.
– د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 154.
– كمال اليازجي: المرجع السابق، ص 72.

[3] – د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص154.
وللمزيد من المعلومات حول مساهمة الزهراوي في تطور علم الجراحة بالأندلس يمكن الرجوع إلى:
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 125–274.
– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 104 وما بعدها.
– د. علي أحمد: المرجع السابق، ص ص 217– 218.
- Lucien Leclerc: Op. Cit. PP 437, 454- 455.

[4] – محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 126.
– د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 154.
– د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 137.

[5] – الإبريسم: نوع من الحرير كان يستعمل أثناء العمليات الجراحية
– معجم الأطباء، المكتب الدائم لتنسيق التعريب، جامعة الدول العربية، الرباط، 1970، ص 320.

[6] – د. عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 291.
– د. أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 154.

[7] – د. أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص 14.

[8] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص126 –127. ـــ

الإسهامات كلها حُقّ أن يوصف بأبي الجراحة[1].

أثرّ هذا الطبيب الجراح على أطباء أوربا في الجراحة على امتداد خمسة قرون كما سلف الذكر، كما أثر على أطباء العرب في الفترات المتعاقبة، ومن الذين تأثروا به وأخذوا عنه مبدعين في علم الجراحة والتشريح في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،الطبيب أبوالوليد بن رشد(520-595هـ/1127-1197م)، ومما ساعد هذا الأخير على ذلك، اتساع أفقه الفكري الذي أكسبه القدرة على فحص آراء سابقيه ونقد ما يستحق النقد منها وفق منهاج علمي[2]، ومن الذين نقدهم ابن رشد،الطبيب الإغريقي جالينوس في التشريح ووظائف الأعضاء، كتصحيحه لرأي هذا الأخيرأن الكبد مركز القوة الغاذية الرئيسية في البدن في حين يسند أبوالوليد بن رشد ذلك إلى القلب[3]، ويعتبر هذا الأمر اكتشاف جديد حققه هذا الطبيب دون غيره من أطباء فترة موضوع الدراسة. لم يصحح هذا الطبيب الأندلسي لجالينوس فحسب، بل صحح أيضا لرائد الجراحة أبي القاسم خلف بن العباس الزهراوي من ذلك، تصحيحه له في تحديد موضع القلب بدقة ومكانه في الصدر، فيؤكد أنّ رأسه يميل إلى اليسار قليلا، وأنّ مكانه في الصدر لا في وسطه كما كان يعتقد الزهراوي[4].

لم يكتف هذا الطبيب بنقد وتصحيح غيره من الأطباء، بل أضاف الجديد في علم الجراحة، من أهمها، تحديده لعدد الأغشية(les Valves)التي يتألف منها الصمام(LaValvule) الموجود في القسم الأيمن من القلب، وتحديد وظيفته بدقة أكبر[5]. وفيما يخص الأوعية الدموية، فإنّه كان أكثر دقة في وصفها عن الطبيب أبي القاسم خلف

ـــ د. محمد عبد الرحمن مرحبا : المرجع السابق، ص 292.

[1] – جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص 591.

– د. عامر النجار: المرجع السابق، ص 220.

– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص292.

[2] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 324.

[3] – المرجع نفسه، ص 342.

[4] – المرجع نفسه، ص 333.

– المرجع نفسه، ص 341.

[5] – المرجع نفسه، ص ص 333-334، 341.

بن العباس الزهراوي[1]، وله الفضل أيضا في إبداع صورة للعين مظهرا فيها العصب الواصل إلى الدماغ، كما حدد وظيفة شبكة العين وعملها في الإبصار[2]، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على براعة هذا الطبيب ودقته في العمليات الجراحية.

ألف هذا الطبيب العديد من المؤلفات الطبية، أبرزها مؤلفه "الكليات" الذي خصص قسم منه لتشريح الأعضاء[3]، مع العلم أن هذا الطبيب على الرغم من شغفه بالجراحة والتشريح ونقده لآراء سابقيه في ذلك، فإنه لم يتعرض لآلات الجراحة، إلا أن ذلك في نظر الباحث، لا يقلل من شأنه وقدره ومكانته كطبيب أضاف الجديد في علم التشريح خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ومما يستحق الذكر أيضا، أنّ بقدر ما نبغ هذا الطبيب في علم التشريح والجراحة، فإن معاصره الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر قد نبغ وأجاد في وصف الأمراض وعلاجها[4] -كما لاحظنا ذلك في المبحث الأول- وأن هذا الطبيب وإن كان ينفر من الجراحة ويغشى عليه عند رؤيته للدم[5]، فإن ذلك لا يقلل من شأنه هو الآخر كطبيب برع في وصف الأمراض وعلاجها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، بل وله الفضل في اكتشاف بعض الأمراض وعلاجاتها. ولهذا فالطبيبان أبو مروان عبد الملك بن زهر وأبو الوليد بن رشد يعدا طبيبان مكملان لبعضهما البعض، ويتبين ذلك بخاصة من خلال كتاب "الكليات" لأبي الوليد بن رشد الذي خص قسم منه لعلم التشريح، وكتاب "التيسير" لأبى مروان عبد الملك بن زهر، الذي عنى فيه بوصف الأمراض وعلاجاتها، مع العلم أن تأليفه لكتابه التيسير كان بتشجيع من الطبيب أبي الوليد بن رشد[6].

برز في علم الجراحة والتشريح أيضا في فترة موضوع الدراسة، الطبيب أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي (504-581هـ/1110-1185م)، وقد وصفه

---

[1] - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 334-335، 340.

[2] - المرجع نفسه، ص ص 367-368. - د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 414.

[3] - محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 325.

[4] - د. رحاب خضر العكاوي: المرجع السابق، ص ص68-69.

[5] - ابن زهر: التيسير، ص ص 70، 123.

[6] - د. رحاب خضر العكاوي: المرجع السابق، ص 68.

بعض المؤرخين أنّه من أهل الحذق في الطب وفي العمليات الجراحية[1]. كان هذا الطبيب الجراح على علاقة طيبة بالطبيب أبي الوليد بن رشد[2]، ومما لا شك فيه فإن هذه العلاقة بين هذين الطبيبين، قد أتاحت لهما الفرصة في أن يتعاونا في علم الطب والجراحة، وأن يمضيا به قدما وبخاصة وأنهما كانا في حضرة الخليفة العالم أبي يعقوب يوسف المنصور الموحدي (558-580هـ/1162-1184م) الذي سبق وأن أشرنا إلى اهتمامه بعلم الطب والأطباء، ومما يؤكد لنا ذلك تعاون الطبيبين في مراجعة القسم الخاص بالأدوية من كتاب "الكليات" لابن رشد[3].

ظل ابن طفيل الطبيب الأول في بلاط أبي يعقوب يوسف الموحدي ،إلى أن تقدمت به السن، فتخلى عن مهنة الطب لصديقه أبي الوليد بن رشد، فصار هذا الأخير الطبيب الأول للخليفة الموحدي المذكور[4]. وفي نظر الباحث، فإن هذا الأمر كان له دوره وتأثيره في أن يبرز الطبيب أبو الوليد بن رشد في علم التشريح والجراحة أكثر من الطبيب أبي بكر بن طفيل، وبخاصة وأن كتاب ابن طفيل في الطب "الأرجوزة الطبية" ظل مجهولا[5].

هكذا إذن، ومما سبق ذكره يتبين لنا أنّ علم التشريح والجراحة وإن لم ينل ويحظى بنفس الاهتمام الذي حظي به علم الطب لدى أطباء الأندلس قبل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فإنه قد شهد تطورا ملحوظا، وبخاصة على يد الطبيب الجراح أبي القاسم الزهراوي الذي يرجع له الفضل في جعل علم التشريح والجراحة تخصصا قائما بذاته، ومما يستحق الذكر، فإن أدوات الجراحة التي استعملها هذا الطبيب الجراح والتي يرجع له الفضل في ابتكارها، ظلّ معظمها يستعمل في العمليات الجراحية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ويظهر لنا ذلك من خلال ما

---

[1] – ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 323-324.
– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 207.
[2] – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 242.
– د. رحاب خضر العكاوي: المرجع السابق، ص 62.
[3] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 327.
– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 415.
– د. رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق، ص 63.
[4] – د. رحاب خضر عكاوي : المرجع السابق، ص 63.
[5] – ابن الخطيب: الإحاطة، م2، ص 479.

ذكره الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر في كتابه "التيسير"[1]، وإن دل ذلك على شيء إنّما يدل في نظر الباحث، على ريادة أبي القاسم الزهراوي في علم الجراحة، حتى أن جراحي الأندلس خلال فترة موضوع الدراسة لم يجدوا نقصا في أدوات الجراحة لتعويضه، ولعل ذلك كان السبب المباشر في عدم ظهور آلات جراحية بارزة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ومما يستحق الذكر أيضا، فإنّه على الرغم من التطور الذي طرأ على علم التشريح والجراحة، حتى أصبحت الجراحة علما قائما بذاته، فإنّ ممارسيه بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ظل يطلق عليهم صنّاع اليد.

برز في علم التشريح والجراحة في فترة موضوع الدراسة أيضا أبو الوليد بن رشد فبفضله وفضل مجهودات غيره من جراحي الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تمكن الأطباء الأندلسيين من علاج بعض الأمراض التي استعصي علاجها بالأدوية، فحققوا ذلك عن طريق الجراحة وفيما يلي توضيح لذلك:

2- المداواة بالجراحة :

شهد الطب والصيدلة وصناعة الأدوية في الأندلس تطورا كبيرا خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولقد استطاع أطباء الأندلس في هذه الفترة اكتشاف القيمة الدوائية لنباتات جديدة، كما توصل البعض منهم أيضا إلى اكتشاف أمراض جديدة وعلاجها، وعلى الرغم من ذلك ظلت بعض الأمراض مستعصية العلاج بالأدوية، الأمر الذي تطلب تدخل الجراحة، ومن أبرز الأمراض التي تعالج بالجراحة.

2-1- أمراض الكسور:

إنّ العظام تصاب بأمراض كثيرة من بينها الكسور[2]، ويتم علاجها بالتجبير لتثبيتها وإصلاحها حتى يتمّ تجنب تشويهها وتغيير صورتها الحقيقية وإبقاؤها على شكلها الطبيعي، ويكون ذلك عن طريق تسوية العظم المكسور كالذراعين أو الساقين على لوح

---

[1] - ابن زهر : التيسير، ص ص 52، 54، 226، 313.

[2] - المصدر نفسه، ص 314.

مستو[1]، وفي الوقت نفسه تحضر جبيرة من قصب مصفوف أو عاج كأنّها لوح[2]، وبعد تسوية العضو المكسور، يدهن بزيت الورد، ويلف عليه خرقة لينة توضع عليه بطريقة متينة، ثم تطوى الجبيرة السابقة الذكر حول الخرقة، وتربط فوق ذلك ربطا معتدلا وتترك لمدة ثلاثة أيام ثم تحلّ، وإن لم يظهرعلى العضو المكسور نفخ، تعاد نفس العملية من جديد، ثم يُتفقد العضو بعد أيام، وهكذا إلى أن يتحقق الشفاء[3].

أمّا إن كان الكسر مصحوبا بشظايا، فيقوم صانع اليد بإزالة شظايا العظم المكسور[4] بواسطة مقطع أو مبضع ذي طرف حاد[5] -وقد سبق وأن ذكرنا أن معظم آلات الجراحة التي استعملت في فترة موضوع الدراسة، هي نفسها التي ابتكرها الطبيب الجراحأبو القاسم الزهراوي- وبعد ذلك يقوم صانع اليد بربط الشرايين المقطوعة[6]. ومما ينوه إليه فإن هناك أمراض يمكن علاجها بالأدوية دون الجراحة كما رأينا ذلك من خلال المبحث الأول، أما الأمراض التي تعالج بالجراحة فإنّه لا يتمّ علاجها بها فحسب، بل لا بد أن يصحب ذلك بالأدوية، حيث يشير الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر في كتابه "التيسير" إلى تضميد الجروح بعد إخاطتها بقطن من زيت الورد وغسلها يوميا بماء العسل[7].

2-2- جراحة العيون:

أبدع صنّاع اليد الأندلسيين في جراحة العين، ويعتبر هذا العضو من الأعضاء الحساسة والخطيرة في نفس الوقت، لذلك كان الإبداع في جراحته أمر في غاية الأهمية، ويدل دلالة واضحة في نظر الباحث، على إدراك جراحي الأندلس خلال القرن السادس

---

[1] - ابن زهر : التيسير، ص ص315- 316.

[2] - المصدر نفسه، ص 315.

- محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 147.

[3] - ابن زهر: المصدر السابق، ص 316.

[4] - المصدر نفسه، ص ص27- 28، 321.

[5] - د. محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص ص 145-146.

[6] - ابن زهر: التيسير، ص 135.

- د. محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص121.

[7] - ابن زهر : المصدر السابق، ص ص 27-28.

الهجري/ الثاني عشر الميلادي لأهمية جراحة التجميل ، وما لهذا العضو من دور في ذلك.

يصاب هذا العضو كما ذكرنا بالعديد من الأمراض، إلا أن علاج بعضها يستلزم الجراحة، منها البردة، وهي عبارة عن تصلب يحدث في باطن جفن العين[1] ويعيق حركتها الطبيعية، ولعلاج ذلك يتطلب تدخل صانع اليد بالشقّ عليها[2] بالمشرط[3].

إنّ هذه العملية الجراحية عملية دقيقة، إذ يشير الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر أن القائم بها لابد أن يكون على دراية كبيرة بعلم التشريح[4]، ومن هنا يتبين لنا دور ومساهمة الطبيب أبو الوليد بن رشد في علم التشريح والجراحة.

تصاب العين أيضا بأشعار زائدة في حروف الأجفان وذلك بإعوجاجها إلى داخل منبتها، فيضر ذلك بالعين ويعيق النظر، وقد كانت هذه العلة تعالج بقطع جزء من الجلد الرقيق الذي على جفن العين، وتخاط الشفار بحرير الإبريسم[5]، وفي فترة موضوع الدراسة، فإنّ صناع اليد الأندلسيين قد توصلوا إلى طريقة جديدة لعلاج هذا الداء، وتتمثل في قرض جلدة الجفن، وبعد شق شظية من قصب، تدخل الجلدة المثناة في الشق شريطة أن يكون طرفا الشظية سليمين حتى لا تسبب خدشا في العين، ويترك الجرح كذلك إلى أن تتعفن الجلدة المثناة وتسقط الشظية منها ويكون الجرح قد إلتأم، بعد تضميده بملء الورد[6]. إنّ هذه الطريقة في إجراء العملية الجراحية على العين، تسمح بتجنب الخياطة والتئام الجرح تلقائيا،وهذا ما يعكس براعة صناع اليد في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في علم الجراحة وبخاصة في جراحة التجميل.

---

[1] – ابن زهر: التيسير، ص 49.

[2] – المصدر نفسه، ص 50.

[3] – د.محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص 117.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص 50.

[5] – المصدر نفسه، ص 52. – د. محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص ص 188– 189.

[6] – ابن زهر: المصدر السابق، ص52.

ومن العمليات الجراحية التي قام بها صناع اليد بالأندلس، قدح ماء العين وإخـــراج المياه الفاسدة منها[1]، وكان يتم ذلك عن طريق إبر خاصة لقدح الماء النازل فـــي العيـــن (Couching)[2] وتسمى بالمقدح[3]، وفي حالة صلابة العين تستعمل آلة المبضع والتي تسمى البريد (Scalpel)[4]، فضلا عن قطع السبل، ويقصد بها العروق الدموية الغليظة التي تظهر على بياض العين[5]، وتتم هذه العملية عن طريق كشط العروق الدموية بآلة اللقط ويعـــرف القائم بهذه العملية بالأندلس بـــ"لاقط السبل"[6]، وفي نظر الباحث، فإن ذلك يـــدل علـــى أن علم الجراحة والذي أصبح تخصصا قائما بذاته تفرع هو الآخر إلى فروع واختصاصات.

2-3- جراحة الأورام السرطانية:

حاول أطباء الأندلس وجراحوها علاج الأورام السرطانية عن طريق الأدويـــــة أو الجراحة، ولقد ذكر الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر أن والده أصيب بورم في جنبه الأيسر، فحاول الأطباء علاجه بالجراحة، إلا أنّ ذلك لم يتحقق، لكون هذا المرض كان قد استفحل في صاحبه، ولقد أشار نفس الطبيب إلى صعوبة الشفاء من هذه العلة وبخاصة إن لم تكن في بدايتها[7]، وفي نظر الباحث، فإن وصول هذا الطبيب إلى هذا الرأي يدل علـــى تقدم وتطور الطب في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميـــلادي لأن الرأي نفسه أكده الطب الحديث.

ومما يؤكد هذا التطور أيضا، أن الطبيب الجراح أبا القاسم الزهراوي قد أشار هـــو الآخر قبل ذلك إلى أن الأورام السرطانية وبخاصة التي تحدث في الثدي والفخذ ونحوهـــا

---

[1] – ابن زهر : التيسير، ص 65.

[2] – د. محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص194. – د. أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص19.

[3] – ابن زهر: المصدر السابق، ص 65.

[4] – د. أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق، ص 19.

[5] – ابن زهر: التيسير، ص 73.

[6] – المصدر نفسه، ص 73.

[7] – المصدر نفسه، ص 382.

من الأعضاء، يمكن علاجها إن كانت مبتدئة صغيرة، وإن كان الورم عظيما فلا ينبغي أن يقرب له حتى لا يستفحل أمره[1].

2-4- جراحة البطن:

عرفت الأندلس إلى جانب العمليات الجراحية السالفة الذكر جراحة البطن، وفي نظر الباحث، فإن هذه الأخيرة كانت أكثر شيوعا في فترة موضع الدراسة بسبب الحروب الناتجة عن المد المسيحي، الذي استفحل أمره في هذه الفترة كما ذكرنا ذلك سابقا.

تتعرض البطن لجروح بسبب ضربة سيف أو خنجر أو سهم، فتمزق البطن، وقد تسبب في بروز الأمعاء، ولعلاج ذلك، يقوم صانع اليد برد الأمعاء برفق إلى موضعها، ويكون ذلك في أسرع ما يمكن حتى لا يحدث انتفاخ في الأمعاء، وبعد ذلك، يقوم بإخاطة الجزء الممزق من جلدة البطن بحرير الإبريسم بدقة محكمة مع وضع على الخياطة ما يساعد ويعين على التحام الجرح من زيت ورد العطر[2]، وفي حالة إصابة الأمعاء الدقيقة بتمزق فالشفاء منها عسيرا.

أما إن كانت الإصابة في الأمعاء الغليظة، فالشفاء ممكنا شريطة أن يلتزم العليل السكون وأن لا يرفع صوته ولا يملأ بطنه بالأكل وأن يلطف غذاءه[3]. يُستنتج من هذا، أن العلاج بالجراحة والأدوية فضلا عن الوعي الصحي، كلّها سبل مكملة لبعضها البعض لتحقيق العلاج وأنّ هذا لا يتحقق إلا بها.

ومما يستحق الذكر، فإنّ صنّاع اليد بالأندلس كانوا يستعملون خلال عملياتهم الجراحية مواد مخدرة كمادة الشيلم[4] والأفيون[5] والزوان[6].

---

[1] – د .محمد كامل حسين : المرجع السابق، ص 119.

[2] – ابن زهر: التيسير، ص ص 198- 199.

[3] – المصدر نفسه، نفس الصفحات.

[4] – الشيلم : نبات ورقه شديد الخضرة رطب، ويقول النباتي الأندلسي أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي أن شرابه يخدر وينوم نوما ثقيلا. – ابن البيطار : المصدر السابق، م2، ص 99.

[5] – الأفيون : لبن بزر الخشخاش الأسود، ينمو بأسيوط بصعيد مصر ويستعمل في التخدير والتنويم
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 61، 328.

[6] – الزوان: حبة تكون في نبات الحنطة وتستعمل للتخدير .
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 483.

هكذا إذن تظافرت جهود كل من أطباء وجراحي الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي للمضي قدما بالطب والجراحة والإبداع فيهما. فكان للطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر على سبيل المثال الفضل الكبير في الوصف الدقيق للأمراض واكتشاف الجديد فيها وفي علاجها، في حين كان للطبيب أبي الوليد بن رشد الفضل الكبير في تطور علم التشريح والجراحة.

إنّ الاهتمام بالطب والجراحة لم يقتصر على الأطباء والجراحين فحسب، بل كان ذلك مستمدا من اهتمام السلطة الحاكمة في فترة موضوع الدراسة بها، ومما يؤكد لنا ذلك إلى جانب تنصيب هذه السلطة لبعض الأطباء في المراكز العليا للدولة- كما سلف الذكر- عنايتها بالوقاية والوعي الصحي، لما له من دور في عدم الإصابة بالمرض أو استفحاله وبخاصة الأمراض الوبائية، ولتحقيق هذا الوعي الصحي كان لابد إلى جانب دور الأطباء في ذلك، أن تتدخل السلطة الحاكمة.

تحقق ذلك بالفعل بعد استحداث كل من المرابطين والموحدين من بعدهم لمنصب رئيس الصناعة الطبية ومزوار الأطباء، لمراقبة كل النشاطات الطبية والحرص على أن تكون على أحسن وجه، والحرص على نظافة بعض المظاهر العامة، والتي تنعكس إيجابا على الواقع الصحي للرعية في حالة الاهتمام بها كنظافة الشوارع، والأسواق، والحمامات وغيرها من الأماكن العمومية. وإن دل هذا على شيء، إنّما يدل ويؤكد على أنّ كلا من المرابطين والموحدين كان لهما دورا كبيرا في المد الحضاري الإسلامي في الأندلس، ويدفعنا هذا مرة أخرى إلى أن ننفي ما أتهم به المرابطين على وجه الخصوص من طرف بعض المستشرقين على أنهم بدو لا علاقة لهم بالحضارة، بل إنّ هؤلاء إلى جانب الموحدين وبسبب اهتمامهم بعلم الطب والأطباء قد ساعدوا على أن تلد أرض الأندلس شخصيات بارزة تركت بصماتها في تاريخ الطب، وهذا ما سوف نوضحه في الفصل الموالي.

الفصل الرابع

الأطباء والصيادلة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

المبحث الأول: الأطباء

1-أبو مروان عبد الملك بن زهر

2-أبو الوليد بن رشد

المبحث الثاني: الأطباء الصيادلة

1-أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

2- أبو جعفر أحمد الغافقي

3- أبو العباس احمد بن الرومية

اهتم كلّ من المرابطين والموحدين في الأندلس بالطب والأطباء، فوفروا لهم الظروف المادية من إغداق الأموال عليهم، وتقليدهم المناصب العليا في الدولة. كما هيئوا لهم الظروف المعنوية من اهتمام بالمراكز العمومية والحرص على نظافتها، وقاية للمجتمع من الأوبئة والأمراض، ومساندةً منهم للطبّ والأطباء. فكانت سببا من أسباب اهتمام المجتمع في الأندلس بدوره بعلم الطب وتبجيله له، فحرص هذا المجتمع سواءً الطبقة العامة منهم أو الخاصة على أن يلقن أبناءه هذا الفرع من العلوم بصفة خاصة.

وسبب آخر كان له دور لا يستهان به في تطور علم الطب بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ويتمثل في ما كان للقرن السابق له أي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي من تنافس علمي بين ملوك الطوائف، الأمر الذي حال دون موت الحركة الفكرية التي قادها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر. استمرت هذه الحركة في الوجود مما كان لها انعكاس هي أيضا على فترة موضوع الدراسة.

اجتمعت هذه الظروف كلّها، فكانت نتيجتها أن أنجبت أرض الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي شخصيات طبية بارزة تركت بصماتها واضحة على علم الطب بالأندلس، ليس خلال فترة موضوع الدراسة فحسب، بل ما زال ذكرها لحد الساعة، كأبي الأصبغ عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز(ت523هـ/1128م) وأبي العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان(ت525هـ/1130م) وأبي بكر محمد بن يحي بن الصائغ التجيبي الشهير بابن باجة(ت533هـ/1138م) ،والطبيب يحي بن بقي السلوي(ت563هـ/1167 والطبيب عبيد الله بن علي بن غلندةالأموي (ت581هـ/1185)و الطبيب الجراح محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي(581هـ/1185م)، وأحمد بن علي بن موراطير(كان حياعام583هـ/1187م)، وأحمد بن الغزال .

وفيما يلي دراسة لأبرز الشخصيات في الطب والصيدلة خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي والذين لم يتميزوا في هذا الفـــرع مـــن العلـــوم فحسب، بل كان لهم إبداع وتجديد.

المبحث الأول

أطباء الأندلس

جمع علماء الأندلس العديد من العلوم والمعارف كالفقه والفلسفة وعلم الحديث وعلم اللغة، فضلا عن علمهم بالفلك والعدد والطب، ولقد برع في هـــذا الفــرع الأخير من العلوم خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عدد مـــن الأطباء، واشتهروا به مبدعين فيه ومخترعين، إلا أنّ بعضهم مال إلـــى الطــب السريري أو علم التشريح والجراحة ، ومن أبرز هــؤلاء .

1- أبو مروان عبد الملك بن زهر:

1-1- مولده وشيوخه:

ولد أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بـــن محمد بن زهر الأيــّادي بإشبيلية[1] عام 487هـــ/1094م[2]،من أسرة ضمن الأســـر التي شكلت مثالا للبيوتات العلمية في الأندلس. فهو من أب طبيب أبوالعلاء زهــر بن عبد الملك (ت 525هـــ/1131م) الذي عرف بمهارته في المـــداواة والعلاج[3]، فضلا عن علمه بالأدب، فكان حسن التصنيف والتأليف فيه[4].ولعلو المكانة العلميــة لهذا الطبيب الأب فانه كان يلقب بالعلامة و الرئيس وأحيانا الوزير[5] ،كما حظـــي بمنزلة رفيعة لدى بعض الأمراء المرابطين[6]. ومما يستحق الذكر، فإنّه على الرغم من تبحر هذا الطبيب الأب في علم الأدب إلا أنّ شهرته تجلت في الطب، فوصفــه

---

[1] – ابن الأبار: التكملة، ج3، ص 80. – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 519.

[2] – د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 411.

[3] – ابن الأبار: التكملة، ج4، ص 91.
– ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص ص 434، 436.
– ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 75.

[4] – ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم2، م1، ص 218.
– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 517.

[5] – ابن خلكان: المصدر السابق، ص 436.
– ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ص 225.

[6] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 517.

ابن بسام في قوله: "...ومال إلى علم الأبدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا أن الغلو آفة المديح لتجاوزتُ طلق الجموح... "[1].

كما نشأ أبو العلاء بن زهر هو أيضا في بيئة علم وأدب، حيث كان والده أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر الأيـّادي الجد (ت 470هـ/1098م) متفننا في علم الطب وغيره من العلوم إذ قال فيه ابن بسام : "جمع شعاعها واستوفى أجناسها وأنواعها... وفرّق بين غربها ونبعها..."[2]، حتى ذاع صيته في أقطار الأندلس[3].

حظي الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر الحفيد لنشأته في بيت جليل ونباهة سلف[4]، وأن يترعرع بين أهل أغلبهم علماء وحكماء[5]، كما تلاحق من بعده عدد من مشاهير الأطباء[6].

إنّ هذه البيئة العلمية التي أحاطت بأبي مروان عبد الملك بن زهر كانت حافزا ومشجعا له لأن يتلقى العلوم والمعارف وأن يتخصص في علم الطب، فلقد تتلمذ هذا الطبيب على العديد من شيوخ الأندلس وفي مقدمتهم الطبيب أبو العلاء ابن زهر الوالد[7]، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب

---

[1] – ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم 2، م1، ص 220.

[2] – المصدر نفسه ، القسم 2، م1، ص 218.

[3] – صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص 197.

– ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص 517.

[4] – ابن الأبار: التكملة، ج3، ص 80.

[5] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 434.

[6] – نبغ في هذه الأسرة عدد من مشاهير الأطباء حظيت بهم أرض الأندلس على مدار ثلاثة قرون وهم:

- أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر بن زهر (ت 470هـ/1078م).
- أبو العلاء زهر بن أبي مروان (ت 525هـ/1131م).
- أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (ت 557هـ/1161م).
- أبو بكر محمد بن أبي مروان بن زهر الحفيد (ت 596هـ/1199م).
- أبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر بن زهر (ت 602هـ/1205م).
- عبد العزيز بنعبدالله:: أسرة بني زهر مدرسة رائدة، ص ص 28– 37.

[7] – ابن الأبار: التكملة، ج3، ص 80.

– محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1948، ج4، ص 163.

القرطبي (433-520هـ/1041-1126م)[1] الذي درّس له الفقه والحديث واللغة والشعر[2]، فضلا عن الأديب الأندلسي وإمامها في علم الآداب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون (ت 519هـ/1125م)[3].

إنّ تتلمذ أبي مروان عبد الملك بن زهر على أيدي هؤلاء الشيوخ فضلا عن البيئة العلمية التي نشأ فيها كما سلف الذكر، مكنته من التفوق علميا، وأن يبدع في علم الطب حتّى لقب بشيخ الطب[4].

1-2- علمه ومؤلفاته في الطب:

يعد أبو مروان عبد الملك بن زهر من أعظم أطباء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولقد اقترن دون غيره من الأطباء بأشهر أطباء المشرق الإسلامي وهم، الطبيب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي وأبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا[5]، واعتبره الطبيب الأندلسي أبو الوليد بن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس[6].تلقى هذا الطبيب العديد من العلوم، إلا أنّ أكثر اهتماماته كانت بعلم الطب[7]، فبرع فيه معتمدا الملاحظة والتجربة، كما اعتمد الدراسة السريرية في تشخيصه للأمراض وعلاجها[8]، الأمر الذي يؤكد ما للجانب التطبيقي من دور في علم الطب. ولقد ميزت هذه الطريقة الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر

---

[1] - ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص ص 348- 349.
- ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 86.
- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص 262، 306.

[2] - ابن الأبار: التكملة، ج 3، ص 80.

[3] - عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 144.
- ابن الزبير: صلة الصلة، القسم4، ص ص43- 44.

[4] - الذهبي: المصدر السابق، ج17، ص 422.

[5]- Lucien Leclerc: Op. Cit. T2, P.86

[6] - ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر5، القسم 1، ص 18.

[7] - ابن الزبير: المصدر السابق، القسم3، ص 241.
- Rosa Khune: Op. Cit. P 131.

[8] - د. فرانشيسكو فرا نكو سانشت: المرجع السابق، ص 187.
- د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 413.

عن غيره من أطباء فترة موضوع الدراسة، حيث وصفه الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة بقوله: " كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة قد ذاع ذكره في الأندلس وغيرها من البلاد... ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وله حكايات كثيرة في تأتّيه الأمراض ومداواتها مما لم يسبق أحد من الأطباء إلى مثل ذلك."[1]

إنّ تميّز هذا الطبيب في صناعة الطب واعتماده الدراسة السريرية والدقة والتجربة في تشخيص الأمراض وعلاجها، قد دفعت الطبيب أبو الوليد بن رشد إلى مطالبته بتأليف مصنف طبي ليكون مفصلا ومكملا لكتاب الكليات لأبي الوليد ابن رشد، والذي وضع فيه صاحبه ما كان معروفا عن الأمراض في زمانه دون التطرق إلى التفاصيل في العلاج. فلبى الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر طلب أبي الوليد بن رشد وألفّ كتابه "التيسير في المداواة والتدبير"[2].

ولقد مكنت هذه الطريقة الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر من أن يكتشف أمراض جديدة، ويصف العلاج للعديد منها، والتي لم يتمكن غيره من التعرف عليها، كالأورام التي تحدث في الغشاء الذي يقسم الصدر طولا[3]، واكتشافه لأورام غشاء القلب[4]، ويعتبر أول الأطباء في الأندلس الذي وصف السل الرئوي[5]، وأولهم من شق قصبة الرئة (Trachectomie)[6]، وإن دلّ هذا على شيء، إنّما يدل على أنّ الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر قد مارس الجراحة رغم

---

[1] – ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 519.

[2] – المصدر نفسه، ص 521.

[3] – ابن زهر: التيسير، ص 223.

- Encyclopedie de l`Islame, T III, Nouvelle Edition, Paris Maisonneuve Hiram, Larose, 1975, P 1002.

[4] – ابن زهر: المصدر السابق، ص 183.

[5] – ابن زهر: التيسير، ص ص 164–، 165.

- Rosa Khune: Op. Cit, P 129.

[6] –ابن زهر : التيسير ، ص 150 .

_ عبد العزيز بنعبد الله : المرجع السابق، ص 34.

- Encyclopedie de l`Islam, Op. Cit. P 1003.

كراهيته لرؤية الدم[1] . وفي نظر الباحث، فإنّ هذا الطبيب قد قام بذلك حرصا منه على دقة الملاحظة في الأمراض لأن يكون دقيقا في المعالجة.

وللطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الفضل أيضا في اكتشافه للحقنة الشرجية المغذية في حالة إصابة المريض بداء الخدر[2] والذي سبق وأن ذكر من قبل، كما اكتشف أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع[3]، وكذا طفيلية الجرب، والتي سماها بـ "صؤابة الجرب"[4]، ومما ينوه إليه هنا، أنّ هذا الطبيب كان دائما ينصح في علاجاته بالمداواة بالأعشاب النباتية[5] ويركز على الوقاية قبل العلاج، ومما يؤكد لنا ذلك افتتاح كتابه "التيسير" بقوله: "...وبعد فإني ملب في تصنيف علاجات للأسباب الممرضات... وأبدأ في ذلك إن شاء الله بما يحفظ الصحة"[6]. كان لهذا الطبيب الأندلسي الشهير إلى جانب كتابه "التيسير في المداواة والتدبير" مؤلَف طبي آخر وهو "كتاب الأغذية"[7]، ذكر فيه المؤلف جميع أصناف الأغذية النباتية والحيوانية مبينا منافعها ومضارها، كما يحتوي الكتاب أيضا أمورا عن الرياضة ومنافعها الصحية والاستحمام وما له علاقة بالوقاية، وفي الكتاب أيضا ذكر للطيوب والعطور[8]، وإن دل هذا الكتاب على شيء، إنّما يدل ما للطب الوقائي من دور في حفظ الصحة، وما لهذا الطبيب من فضل في التوعية والتنبيه إلى ذلك.

---

[1] - ابن زهر: التيسير ، ص 70 .

[2] – المصدر نفسه، ص 301.

– د. حميد مراني : تاريخ العلوم عند العرب، ص 54.

[3] – ابن زهر: التيسير، ص 155.

– جوستاف لوبون : حضارة العرب، ص 530.

- Encyclopedie de l`Islam, Op. Cit. P 1003.

[4] – ابن زهر: المصدر السابق، ص 364.

– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ج1، ص 285.

– زيغريد هونكه: المرجع السابق، ص 189.

[5] – عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 35.

[6] – ابن زهر : التيسير ، ص 7.

[7] – ابن سعيد الأندلس: المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص 196.

[8] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص ص 81- 165.

ألف أبو مروان عبد الملك بن زهر إلى جانب كتابيه السالفي الذكر كتبا أخرى في الطبّ وهي: "كتاب الزينة" ويتعلق بالأدوية وكيفية تناولها[1] ومقالة في علل الكلى، ورسالة في علّتي البرص والبهق[2]، ورسالة "التذكرة" خاصة بمنافع الأدوية[3]، وكتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد" وهو خاص بالأمراض وعلاجها.

دعا الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر، إلى الفصل بين الجراحة والطب العام والصيدلة[4]، فسبق بذلك وعلى حد قول أنخيل جنثالث بالنثيا: "... إلى مفهوم الطب الحديث."[5] وهذا ما يوحي في نظر الباحث، إلى بداية تفرع علم الطب في هذه الفترة إلى فروع وتخصصات بسبب التعمق والتوسع في الدراسات الطبية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والتوصل إلى اكتشافات جديدة فيها، مما دفع بعض أطباء هذه الفترة الدعوة إلى الفصل بين فروع الطب والتخصص فيها.

1-3- مكانته:

حظيت الأندلس خلال القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي بالطبيب الشهير أبي مروان عبد الملك بن زهر الذي كان وعلى حدّ قول ابن عبد الملك: "... متحققا بصناعة الطب متقدما فيها موفقا في علاج المرضى..."[6] ، ولقد شهد له بذلك أطباء عصره، وفي مقدمتهم الطبيب أبوالوليد بن رشد الذي كان يقول فيه

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 521.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T II, P 93.

[2] – ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص 521. – د. حسن خلاف: المرجع السابق ، ص 248.

[3] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 521.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. t II. P 93.

[4] – ابن زهر: التيسير، ص ص 27- 28، 50،319-320 ،482- 483.

[5] – أنخل جانثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 471.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T II, P 87.

[6] – ابن عبد الملك :الذيل والتكملة، السفر5، القسم 1، ص 18.

وعلى حد قول ابن عبد الملك: "... بتفضيله في صناعته -أي الطب-على غـــيره من أهل عصره ويرفع به ويشهد بمهـــارته..."[1].

تميز هذا الطبيب عن غيره من أطبـــاء الأندلـــس خـــلال القـــرن الســـادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، باعتماده دقـــة الملاحظـــة والتجربـــة والدراســـة السريرية التطبيقية في تشخيص الأمراض وعلاجاتها كما سلف الذكر، حتّـــى أنّ مؤرخي الطب خلال القرن الثامن عشر الميلادي صنفـــوه لأجـــل ذلـــك ضمـــن العباقرة[2].

مكنت هذه الطريقة العلمية الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهـــر مـــن أن يكتشف أمراضا جديدة ويصف لها العلاج، مؤلفا كتابه المشـــهور "التيســـير فـــي المداواة والتدبير"[3]، والذي ما إن ترجم إلى اللغة العبرية واللاتينية[4] حتى ذاعـــت شهرة صاحبه ليس في الغرب الإسلامي[5] فحسب، بل وحتّى في أوربا[6]. ولقد كـــان لهذه الترجمة دور كبير وتأثير عميق في تطور علم الطب في العصور الوسطى[7]، ومما يدل على ذلك، أنّ هذا الكتاب ظل يدرس في جامعات أوربا قرونا عديـــدة[8]، وكان يعتبر من أعظم الكتب العربية التي عرفت في تاريخ الطب[9]، بل والأكـــثر من ذلك فإنّـــه تم طبعه ما بين سنة 1490-1574م عشر مرات[10].

---

[1] – ابن عبد الملك :الذيل والتكملة، السفر5، القسم 1، ص 18.

[2]- Rosa Khune: Op. Cit. P 130.

[3] – ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق،ج1، ص 176.

[4] – د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص ص 320- 322.

- Rosa Khune: Op. Cit. P130.

[5] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 519.

[6] – د. علي أحمد: المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية المغربية في الغرب الأوروبي، ص 218.

[7] – د. عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 414.

[8] – د. علي أحمد: المرجع السابق، ص 218.

[9] – د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 320.

[10]- Rosa Khune: Op. Cit. P 130.

لم يـُعتمد على هذا الكتاب في جامعات أوربا الغربية فحسب، بل لقد أُعتمـد عليه أيضا في الدراسات الطـبية في المشرق الإسلامي[1]، حيث يقول ابن أبـي أصيبعة: "... ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البـلاد واشـتغل الأطبـاء بمصنفاته..."[2]، كما يؤكد ابن الأبارعلى ذلك بقوله: "...ألف كتاب التيسير... شـهر في الناس واستعمل... "[3]، ويضيف ابن عبد الملك: "...شهـر في الناس وتداولـوه وانتفعوا به واعتمدوه"[4].

إنّ براعة هذا الطبيب في الطب وتميزه في تشخيص الأمراض وعلاجاتها قد مكنته من أن يحظى بمكانة خاصة وقدر وافر لدى بعـض الأمـراء المرابطيـن والموحدين من بعدهم[5]، ونخص بالذكر في ذلك الأمير المرابطي علي بن يوسـف ابن تاشفين (500-537هـ/1006-1142م) الذي خصـه مـن أن يكـون طبيبـه الخاص، وخاصة بعد أن وفق في مداواته العديد من المرات[6].

كما كان أبو مروان عبد الملك بن زهر الطبيب الخاص للأمير أبي إسـحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، و نزولا عند رغبته ألف له كتابا طبـيّ بعنـوان "الاقتصاد في صلاح الأنفس والأجساد"[7] .لقد نال الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر من هؤلاء الجاه الكبير والأموال الكثيرة[8] . وكل ذلك يدل في نظر البـاحث على مكانة هذا الطبيب العلمية البارزة وجلالة قدره لدى الأمراء، حتى أصبحـوا يخصصون به أنفسهم لأن يكون طبيبهم الخاص ، كما يؤكد في الوقت نفسه علـى اهتمام الأمراء المرابطين بالعلم و مجالس العلماء بما في ذلك الأطباء و تشـجيعهم

---

[1] – المقري:نفح الطيب، ج3، ص 199.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 519.

[3] – ابن الأبار: التكملة، ج3، ص 81..

[4] – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر5، القسم1، ص 19

[5] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 519.

[6] – ابن زهر: التيسير، ص ص 38، 198.

[7] – ابن الأبار: التكملة، ج3، ص81.

- H.P J Renaud: Nouveaux Manuscrits d'Avenzoar, P P 94- 95.

[8] – ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص 519.

– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 65.

لهم ، الأمر الذي يدفعنا إلى نفي ما اتهم به هؤلاء من التخلف و عدم المتّ بالصلة للحضارة من طرف بعض المستشرقين كما سلف الذكر .

إنّ هذا الشأن الكبير الذي بلغه الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر لم يحظ به لدى الأمراء المرابطين فحسب، بل لقد علا قدره أيضا لدى الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي(537-558 هـ/1143-1162م) حيث كان طبيبه الخاص، وفي ذلك يقول ابن أبي أصيبعة: "... اختص أبو مروان عبد الملك بن زهر لنفسه وجعل اعتماده عليه في الطب وأناله من الأنعام والعطاء فوق أمنيته وكان مكينا عنده عالي القدر متميزا على كثير من أبناء زمانه..."[1]. ونزولا عند رغبة هذا الأمير ألف له كتاب " الأغذية"[2] ، الأمر الذي يؤكد اهتمام هذا الأخير كغيره من الأمراء الموحدين بالطب و الأطباء ، وبخاصة وأنّ هذا الطبيب قد ساعد هذا الأمير الموحدي على أن يتناول ما يكرهه من الأدوية، إذ حقق له ذلك بسقي كرمة بالدواء الذي كان على الأمير أن يتناوله، وبعدما تشرّبت الكرمة قوة الأدوية، قدم الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر لأميره عنقودا من العنب وأشار إليه للأكل منه. فوجد الأمير بعد ذلك راحة كبيرة، مما زاد من قدر هذا الطبيب ومكانته لدى الأمير عبد المؤمن بن علي[3]، والأمر نفسه يؤكد في نظر الباحث ذكاء هذا الطبيب وبراعته في العلاج.

لم يكتف الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر من ممارسة حرفته كطبيب لأفراد الأسرة الحاكمة، بل كان يعالج أيضا مرضى الطبقة العامة، ولم يتوار أن يفعل ذلك حتى وهو مارًا بأزقة مدينة إشبيلية[4]، كما كان يعالج أفراد هذه الطبقة عند إصابتها بالحميات والأمراض الوبائية التي كانت تتعرض لها الأندلس[5] .

---

[1] – ابن أبي أصيبية: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 520 .

[2] - المصدر نفسه ، ص521 .

[3] – محمد العربي الخطابي : الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 81 .

[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص520 .

[5] - ابن زهر: التيسير ،ص419.

و كل هذا يعكس تواضعه وخفض جناحه، الأمر الذي زاد من قدره ومكانته و علو شأنه ليس لدى الطبقة الخاصة فحسب، بل وحتى في أوساط الطبقة العامة.

على الرغم من هذا التواضع الذي تميز به هذا الطبيب، وإبداعه في علم الطب، إلا أنّه تعرض لأذى من طرف الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، فاعتقله في مدينة مراكش سنة 524هـ/ 1129م[1]، وتم ذلك عندما اكتشف الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر أثناء معالجته للأمير المرابطي أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين والي مدينة إشبيلية (516-517هـ/1122-1123م)، أنّ أحد أفراد حاشية هذا الأخير والمقربين إليه كان ينوي قتله بالسم[2]، فكشف الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر ذلك ولم يلتزم الصمت، فكانت النتيجة سجنه، إلا أن تم العفو عنه بعد ذلك[3].

إنّ هذا الأمر يؤكد على جدية هذا الطبيب في ممارسته لمهنة الطب، حتى ولو كان ذلك على حساب جاهه ومصدر حظوته.

ولقد نصحه بعض أصدقائه على الالتزام بالصمت حتى لا يفقد مكانته لدى أمراء المرابطين ويعرض نفسه في الوقت ذاته للخطر، إلا أنه ردّ عليهم قائلا: "... فلم يصرفني شيئا من ذلك عن قول الحق..."[4]. كما يؤكد هذا الأمر في نظر الباحث، التزام هذا الطبيب بتعهد "أبقراط" السالف الذكر في ممارسته لمهنة الطب.

---

[1] - ابن زهر: التيسير، ص ص 97-98، 233- 234.
- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5، القسم1، ص 19.
- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص ص 65-66.

[2] - إنّ سبب محاولة قتل الأمير المرابطي أبا الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين في نظر الباحث، إنما يعود للطمع في منصبه، ومما يؤكد ذلك أن الأمير المرابطي علي بن يوسف، عزل أخاه أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عن الولاية بحجة مرضه وعدم شفاءه وقدرته على تسيير شؤون الولاية، وبعد ذلك مباشرة قام بتنصيب ابنه الأمير أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين(517-522هـ/1123-1128م).
- ابن زهر: المصدر السابق، ص 98.
- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 67.

[3] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5، ص 19.
- Rosa Khune: OP. cit. P 132.

[4] - ابن زهر: المصدر السابق، ص 98.

ظلّ هذا الطبيب بعد ذلك في خدمة أمراء الموحدين إلى أن توفي في إشبيلية سنة 557هـ/ 1161م[1].

2- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد:

2-1- مولده وشيوخه:

ولد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد عام (520هـ/1126م)[2] في بيت فقه وعلم[3]، حيث كان والده أبو القاسم أحمد فقيها بعلم الحديث، مما مكنّه لأن يكون قاضي القضاة بقرطبة عام(532هـ/1137م)[4]، مع العلم أنّ هذا المنصب، كان جليل القدر والمتولي له ذو نفوذ كبير لدى السلطة الحاكمة وصاحب وجاهة بين المسلمين[5]. كما كان جده أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد (450-520هـ/1058-1126م)، عالما بعلم اللغة والفقه والحديث، فتولى هو أيضا منصب قاضي الجماعة بقرطبة عام 511هـ/1117م[6]. ولقد كانت دولة المرابطين تأخذ بآرائه ولا تستغني عن مشوراته[7].

نشأ أبو الوليد بن رشد الحفيد في هذه البيئة العلمية، فأهلته لأن يكون له هو الآخر شأن بالأندلس. وقد سبق الذكر أنّ أهل هذه المنطقة سواءً أكانوا من العامة أو الخاصة كانوا يهتمون خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

---

[1] - ابن لأبار: التكملة، ج3، ص 81.
- ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر5، القسم1، ص 19.
- محمد بن محمد مخلوف: شجرة النورالزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1349هـ، ص 131.

[2] - ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص 73.

[3] - ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 320.

[4] - ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص 235.
- د. المختار بن الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص 95، 209.

[5] - المقري: نفح الطيب، ج1، ص ص 217-218.

[6] - ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص ص 576-578.
- الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج4، ص 47.

[7] - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 90.
- د. محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص 126.

اهتماما كبيرا بالطب وبالأطباء، وكانوا حريصين على تلقينه لأبنائهم، فكيف لبيت أهل العلم والفقه من هذا المجتمع أن لا يكون حريصا هو الآخر على ذلك. فقد أشرف أبو القاسم أحمد بن رشد الوالد على تلقين ابنه أبي الوليد بن رشد الفقه والحديث و"استظهر عليه الموطئ حفظا"[1]، كما أخذ أبو الوليد بن رشد علمه على يد مجموعة من الشيوخ الذين تنوعت علومهم وتعددت اختصاصاتهم، فساهم هؤلاء هم أيضا إلى جانب والده أبي القاسم أحمد في تكوينه الفكري والخلقي، فأثروا فيه وتأثر بهم.

من بين هؤلاء الشيوخ أبو بكر بن سليمان بن سمجون الأنصاري القرطبي (ت563هـ/1167م)، العارف والمختص بإقراء القرآن وتعليم العربية والحساب[2]، والإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (ت536هـ/1141م)[3]، فضلا عن الفقيه والمؤرخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال (ت 578هـ/1183م) الذي كان هو الآخر تلميذا لابن رشد الجد[4].

---

[1] – ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 284.

[2] – ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 74.

[3] – أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري: كان من كبار فقهاء المذهب المالكي في المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس والسادس الهجريين، ولقد صنف العديد من الكتب، منها كتاب "المعلم في شوح مسلم" وكتاب "التلقين" لعبد الوهاب المالكي، توفي بالمهدية بإفريقية سنة 536هـ/1141م عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين سنة.

– عبد الحي الدمشقي: شذرات الذهب، ج2، ص 114.

– ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص ص 279– 281.

– ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص 285.

– أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي: ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت،[د.ط]، [د.ت]، ج1، ص ص 72– 73.

[4] – أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال: مؤرخ أندلسي بدأ حياته العلمية منذ نعومة أظافره، فقد كان والده من رجال الحديث ورواته، فأخذ عنه وعن عدد من علماء الأندلس بقرطبة وإشبيلية علومه ومعارفه، وفي مقدمتهم القاضي أبي الوليد بن رشد الجد، والقاضي أبي بكر بن العربي، الأمر الذي جعله متسع الرواية، شديد العناية بها، حجة فيما يرويه ويسنده، مقدما على أهل وقته لأخبار الأندلس، ولقد رحل إليه الناس وأخذوا عنه هو أيضا العلوم وانتفعوا به، كانت وفاته سنة 578هـ/1183م.

– ابن الأبار: التكملة، ج1, ص ص 248–249.

– ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 284.

– ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص ص و– ي.

إنّ هذا الأمر كان له دوره في طبيعة علاقة ابن رشد الحفيد بشيخه أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الذي لا محالة كان حريصا على تلقين تلميذه أبي الوليد بن رشد الحفيد على أحسن وجه، تقديرا لشيخه ابن رشد الجد.

لم يقتصر شيوخ أبي الوليد بن رشد على تلقينه علم اللغة والفقه والحديث، بل قام بعضهم على تلقينه علم الطب أيضا. وقد سبق الذكر أن شيوخ هذه الفترة كانوا يجمعون العديد من العلوم والمعارف. وممن لقن أبا الوليد بن رشد علم الطب، الطبيب أبو جعفر أحمد بن هارون التّرجلي الذي برع في صناعة الطب وأتقنها وبخاصة طب العيون، ونظرا لشهرته ومكانة هذا الطبيب العلمية عيّنه الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1184م) طبيبا خاصا به[1].

تلقى أبو الوليد بن رشد علم الطب أيضا، على يد الطبيب أبي مروان عبد الملك بن محمد بن جريزل البلنسي الذي اشتهر بالطب وإشعاع معارفه بين طلبة الأندلس[2]، فضلا عن الطبيب أبي نصر فتح بن محمد بن الحجام القرطبي الذي برع هو الآخر في الطب[3].

حظي أبو الوليد بن رشد بتلقيه علومه على يد هذه المجموعة من شيوخ وأعلام الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وازداد حظا لما تتلمذ على يد الطبيب الأندلسي أبي مروان عبد الملك بن زهر (ت557هـ/1162م). ولقد تأثر أبو الوليد بن رشد بأستاذه أبي مروان عبد الملك بن زهر بصفة خاصة، حتى وصفه بأنّه أعظم طبيب بعد جالينوس[4].

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 530.

[2] – ابن الأبار: التكملة، ج3، ص 79.

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص 315. – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 64.

[4] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 64.

– عبد الهادي أحمد الحسيسن: المرجع السابق، ج2، ص 22.

– محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، القسم1، ص 473.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T II, P 106.

2-2- علمه ومؤلفاته الطبية:

نشأ أبو الوليد بن رشد في بيئة علمية ساعدته على تلقي العلوم، وعمل هو أيضا على التفوق فيها وشق الطريق لنفسه في ذلك، متجاوزا حدود أسرته العلمية حتى قيل أنّه: "...لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله..."[1]، ومما ساعده على ذلك ذكاؤه المفرط[2] واتساع أفقه الفكري، فبرع في العلوم حتى وصفه الطبيب أبو بكر بن الطفيل بقوله :"... لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك..."[3]، كما قال عنه المؤرخ ابن الأبار: "... لم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما..."[4]، ويضيف ابن عبد الملك قوله: "... كان مقدما في المعارف"[5].

أول ما أصبح أبو الوليد بن رشد مؤهلا للتعلم، حفظ القرآن الكريم[6] وتعلم اللغة العربية ثم حفظ "الموطأ"[7]، كما درس الفقه وتميز فيه حتى أصبح "يفزع إلى فتياه في ذلك..."[8] . وتفوق أيضا في الفلسفة حتى وصفه ابن عبد الملك بقوله: "...كان متقدما في علوم الفلسفة... منسوبا إلى البراعة فيها وإدامة الفكر وتدقيق النظر في معانيها[9].

اهتم أبو الوليد بن رشد إلى جانب العلوم السالفة الذكر بعلم الطب أيضا، فمالت نفسه إليه، وأخذ هذا الفرع من العلوم عن أكبر شيوخ الأندلس ، وفي مقدمتهم أبو مروان عبد الملك بن زهر كما سلف الذكر، فبحث أبو الوليد بن رشد

---

[1] – ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص 74.
– عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 315.
[2] – ابن ابي أصيبعة: المصدر السابق، ص 530.
– ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 320.
[3] – عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص 315.
[4] – ابن الأبار: التكملة، ج2، ص74.
[5] – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص 22.
[6] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[7] – ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 284.
[8] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[9] – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص 22.

مع شيوخه أصول صناعة الطب ومعرفة أبعادها واطلّع على أسرارها، فبرع في هذا الفرع من العلوم[1]، حتى أصبح وعلى حد قول ابن الأبار: "...يفزع إلى فتواه في الطب..."[2]، كما يصفه ابن عبد الملك بقوله: "...كان متقدما في الطب..."[3]، ويؤكد ذلك أيضا ابن أبي أصيبعة بقوله "...كان متميزا في علم الطب..."[4].

بل والأكثر من ذلك فإنّ الطبيب أبا بكر بن الطفيل قدمه للخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف على أنّه حاكم من أعيان الحكماء[5]، وقد قام الطبيب أبو بكر بن الطفيل (584هـ/1188م) بذلك على الرغم من ظهوره في الوقت نفسه الذي ظهر خلاله مجموعة من الأطباء الأعلام كأبي مروان عبد الملك بن زهر وأبي بكر بن الطفيل فضل عن أبي بكر بن أبي مروان بن زهر(595هـ/ 1198م). وإن هذا ليدلّ على تفوق أبي الوليد بن رشد العلمي.

تميز الطبيب أبو الوليد بن رشد إلى جانب بعض أطباء عصره، بتنوع معارفه، فكان ذا حظ وافر من علوم اللسان العربي[6] ومتقدما في علوم الفلسفة[7]، وبارعا في علم الفقه[8] ومتميزا في علم الطب[9]، فضلا عن اتساع أفقه الفكري الذي أكسبه القدرة على فحص آراء سابقيه ونقد ما يستحق النقد منها وفق منهاج علمي، وبخاصة في علم الطب[10].

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 530.

[2] – ابن الأبار: التكملة، ج2، ص274.

– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص 308.

[3] – ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، السفر6، ص 22.

[4] – ابن ابي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 530.

[5] – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 314.

[6] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص 22.

[7] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[8] – ابن فرحون: المصدر السابق، ج1، ص 284.

– الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 21، ص 308.

[9] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 530.

[10] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج1، ص 324.

ألف هذا الطبيب في هذا الفرع من العلوم عدة مؤلفات[1]، خلدت اسمه ضمن أعلام الأندلس، ومن أبرزها كتابه "الكليات"[2]، يتألف هذا الكتاب من سبعة أقسام تبحث في علم التشريح ومنافع الأعضاء وأشكالها، كما تبحث في المرض والأدوية والأغذية، وفيها أيضا سبل لحفظ الصحة[3].

ومما ينوه إليه، أنّ أبا الوليد بن رشد قد ذهب إلى القول، بأنّ الصحة لا تتحقق ولا يزول المرض إلا بعد الإلمام بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء[4]، لأنّ الصحة في مفهومه هي "حالة العضو"[5]. ولقد ألح قبله الطبيب أبو القاسم خلف الزهراوي على ضرورة معرفة التشريح لأنه ضروري للجراحة[6].

إنّ ما وصل إليه هذا الطبيب من إدراك لعلاقة الصحة بحالة الأعضاء قد دفعته إلى القول: "... من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيمانا بالله..."[7]، وقد يدفعنا هذا إلى نفي ما قيل من بعض الغربيين من أنّ علم التشريح علم لم يكن للمسلمين فيه طرف، وأنّهم لم يكونوا مبدعين فيه لأسباب دينية[8] تمنعهم من القيام بالتشريح، وأن معلوماتهم التشريحية مأخوذة من تعاليم جالينوس[9].

---

[1] – خلف أبو الوليد بن رشد مؤلفات عديدة ليس في علم الطب فحسب، بل ألف كتبا في الفقه والفلسفة والفلك، من بينها:
– "مناهج الأدلة في أصول الدين"، "فصل المقال في بيان ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، "الرد على الغزالي في تهافت الفلاسفة"، "الجوامع في الفلسفة"، "السماء والعالم"، "في الكون والفساد"، "جوامع سياسة أفلاطون"، "شرح ما بعد الطبيعة"، "مقالة في الجرم السماوي"....
– ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص ص 23– 24.
– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 415.
- Lucien Leclerc: Op. Cit. Tome 2, P101

[2] – نال هذا الكتاب شهرة كبيرة في الغرب الأوربي ويعرف هناك باسم Collegite.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 326–329.
- Lucien Leclerc: Op. Cit. Tome 2, PP 103-104.

[3] – د. زهير حميدان : المرجع السابق، ص 415.

[4] – محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 325.

[5] – المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[6] – د. عبد الناصر كعدان : المرجع السابق، ص 36.

[7] – ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص 532.

[8] – د. فرانشيسكو فرا نكو سانشت: المرجع السابق، ص 194.
– محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 324.

[9] – د. عبد الناصر كعدان : المرجع السابق، ص 35.

يشمل كتاب الكليات السالف الذكر، أصولا في علم الطب والنظريات العامة له، ولقد أكّد صاحبه فيه إمكانية تطور العلم وتغيير النظريات، وبخاصة بعد مناقشته لبعض آراء جالينوس في التشريح ووظائف الأعضاء قائلا: "...ويشبه أن لا يكون في أيدينا من المقدمات ما نصل به إلى اليقين في كثير من هذه المطالب... فإنّه غير ممتنع أن نلوح هاهنا أشياءً فيما بعد يمكن الوقوف على يقين في كثير مما لا يمكننا نحن في زماننا هذا."[1] وإن هذا يدل في نظر الباحث على تواضع هذا الطبيب وانخفاض جناحه، مع العلم أنّه برع في علم التشريح وتوصل إلى اكتشاف الجديد فيه، من بينها:

إبداعه لصورة العين في وسطها الجليدية وإظهاره للعصب الواصل بينها وبين الدماغ، وإدراكه لوظيفة شبكة العين وعملها في الإبصار. كما أبدع صورة للرئة[2]، وأكّد أنّها مجللة للقلب[3]. وأبدع أيضا صورة للصدر والمثانة والطحال.

وفي تشريح القلب، توصل الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد إلى تحديد موضعه في الصدر على أنّه يميل إلى ناحية اليسار قليلا[4] خلافا للمكان الذي حدده له الطبيب الجراح أبو القاسم خلف الزهراوي أنّه يقع في وسط الصدر[5].

كما بيّن أبو الوليد بن رشد أنّ هذا العضو يتكون من بطينيين عظيمين، أحدهما في الجانب الأيمن والآخر في الجانب الأيسر، وأنّ للبطين الأيمن منه فوهتان، إحداها فوهة العرق المتصل بالكبد وعلى هذه الفوهة ثلاثة أغشية تنفتح عند دخول الدم إليها، ثم تنسد انسدادا محكما.

أما الفوهة الثانية لهذا البطين، فتتمثل في فوهة العرق الذي يتصل من هذا التجويف بالرئة، وعلى هذه الفوهة أيضا أغشية تنفتح إلى الخارج وليس إلى الداخل.

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 324– 325.

[2] – د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 414.

[3] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 334.

[4] – المرجع نفسه، ص 333.

[5] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أمّا البطين الأيسر، فقد توصل الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد إلى اكتشاف أنّ له أيضا فوهتان إحداهما فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة، وعلى هذه الفوهة غشاء ينفتح من الخارج إلى الداخل، وله أيضا زائدتان شبيهتان بالأذنين إحداهما يمنى والأخرى يسرى، وأنّ للقلب ليف كثير[1].

أمّا في تشريح العروق، فقد توصل هذا الطبيب إلى اكتشاف أنّ الشرايين مؤلفة من طبقتين متشابهتي الأجزاء، فالداخلة منها ليفها ذاهب عرضا، والخارجة منها ليفها ذاهب بالطول، وأنّ الأولى منها أصلب من الثانية، كما توصل إلى أنّ التجويف الأيسر للقلب يخرج منه شريانان، أحدهما أصغر وطبقته واحدة وهي أرق من إحدى طبقتي سائر الشرايين، وهذا العرق يدخل إلى الرئة وينقسم فيها. أمّا الآخر فهو أكبر كثيرا ويعرف بالأبهر، وحين يطلع تتشعب منه شعبتان فتصير إحداهما إلى التجويف الأيمن من تجويفي القلب، وهي أصغر الشعبتين، في حين تستدير الأخرى حول القلب، ثم تدخل إليه وتتفرق فيه.

أما القسم الثاني من العرق النابت من تجويف القلب الأيسر – بعد إنشعاب هاتين الشعبتين منه – فإنّه ينقسم إلى قسمين، فيأخذ أحدهما إلى أسفل البطن، في حين يأخذ الآخر إلى أعاليه، وتنقسم من هذا الأخير في مصعده في الجانبين، شعب تتصل بما يحاذيها من الأعضاء حتى إذا حاذ الإبط خرجت منه شعبة من العرق الإبطي غير الضارب إلى اليدّ، وتنقسم فيه كتقسيمها آنفا، وتتصل منه شعب صغار بالعضل الظاهر والباطن من العضد. وهو مع ذلك غائر مندفن حتى إذا صار عند المرفق صعد إلى فوق قليلا، حتى أنّ نبضه يظهر في هذا الموضع في كثير من الأبدان. وأكّد الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد أيضا أنّ الإبط ملاصقا له حتى ينزل عند المرفق قليلا، ثم يغوص في العمق، وتخرج منه شعب شعرية تتصل بعضد الساعد مسافة معينة.

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 333– 334.

أما في الأوردة، فقد توصل إلى أنّها من طبقة واحدة متشعبة من عرق عظيم في محدب الكبد، وأنّ هذا العرق ينقسم إلى قسمين أحدهما – وهو الأعظم– يأخذ إلى أسفل البدن، أما الثاني فإنّه يأخذ إلى أعلاه[1].

ولهذا يعتبر الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد الرائد الأول في اكتشاف حركة الدم في الأوعية المُعدَة له[2]، وأنّ القلب مركز القوى الغادية الرئيسية في البدن، أي أنّ هذا العضو هو الذي يزود سائر الأعضاء بالدم والروح[3].

وبفضل تلخيصاته النقدية والتفسيرية لكتب الطبيب الإغريقي جالينوس وأرسطو طاليس، فإنّه استطاع أن يمهد السبل لفهم نظريات الإغريق في الطب، وبخاصة بعد ترجمة تلخيصاته إلى اللغة اللاتينية والعبرية[4]. بل والأكثر من ذلك، فقد تمكن هذا الطبيب من إبطال نظريات جالينوس القائلة بتولد الدم من الكبد، قائلا أنّ الشرايين هي التي تغذي الجسم بالدم النقي، وأنّ ما يجري في الأوردة من الدم فهو دم غير نضج[5].

ومما ينوه إليه، أنّ كتابه الكليات قد ترجم إلى اللغة اللاتينية والعبرية العديد من المرات[6]، ومن خلال هذه الترجمات قد استطاع أطباء الغرب في العصر الحديث من الاستفادة مما توصل إليه الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد في علم الطب التشريحي، وعلى رأسهم الطبيب الفيلسوف الإنجليزي وليام هريفي صاحب

---

[1] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس،، ص ص 334–337.

[2] – عبد العزيز بنعبد الله: المرجع السابق، ص 36.

[3] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 342.

[4] – المرجع نفسه، ص ص 328– 329.

[5] – المرجع نفسه، ص 346.

[6] – ترجم كتاب الكليات إلى اللغة اللاتينية سنة 653هـ/1255م من طرف بونا كوزا بإيطاليا، وترجم إلى نفس اللغة عام 887هـ/1482م، وعام 960هـ/1552م بمدينة البندقية. كما ترجم من طرف يعقوب منتينوس وجان شامبيه عام 944هـ/1537م في ليدن بهولندا.

– د.علي أحمد:المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوربي، ص ص 25– 26.

– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 415.

- Encyclopedie de l`Islam, TIII, P 935.

ولقد قام الباحث محمد العربي الخطابي بتحقيق ونشر فصول من هذا الكتاب في كتابه "الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم ونصوص"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص ص 350، 409.

بحث بعنوان "دراسة تشريحية لحركة القلب والدم في الحيوان" نشر عـلم 1628م[1]، وعلى الرغم من أنّ هذا الطبيب جاء متأخرا عن فترة الطبيب الجراح "أبي الوليـد بن رشد" بقرون، إلا أنّ هذا الأخير قد سبقه في معرفة وظيفة الصمامات الكائنـة في القلب والأوعية الدموية، كما أبطل قبله نظريات "جالينوس" في تولد الدم مـن الكبد، وأكد قبله أيضا أن الشرايين هي التي تغذي الجسم بـالدم النقـي، وأن مـا يجري في الأوردة من الدم غير نضج[2].

وإن دل هذا على شيء في نظر الباحث، إنما يدل ويؤكد مرّة أخرى براعة هذا الطبيب العربي في التشريح والجراحة، وتميزه في ذلك، وهذا ما يدفعنا مـرّة أخرى إلى تأكيد تواضع هذا الطبيب الجراح العلمي، والذي وعلى الرغـم ممـا توصل إليه من اكتشافات جديدة في علم التشريح والجراحة، سـبق إليـها أطبـاء جاءوا من بعده بقرون، إلاّ أنّـه ذهب إلى القول بإمكانية تطور النظريات الطبيـة كما سبق الذكر.

كما يؤكد لنا هذا أيضا طموح هذا الطبيب العلمي الذي ساعده إلى جـانب تأليفه لكتاب "الكليات"، تأليفه لتصانيف أخرى في الطب، من بينها:

المسائل الطبية.

مقالة في الترياق.

في العلل والأعراض.

في الأعضاء الآلمة.

في الحميات.

في المقالات الخمس من الأدوية المفردة.

في المقالات التسع من حيلة البرء.

مقالة في مسألة من العلل والأعراض.

---

[1] – محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص ص 344– 346.

[2] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص ص 345– 346.

مسألة في نوائب الحمى[1].

تطرق الطبيب الجراح "أبو الوليد بن رشد" في مؤلفاته الطبية إلى عدد من النظريات التي عرضها في كتابه "الكليات" سواءً باختصار أو تطويل أو زيادة أو بيان[2].

إلى جانب هذه التصانيف، قام الطبيب الجراح "أبو الوليد بن رشد" ببعض التلخيصات النقدية والتفسيرية لبعض الأطباء الذين سبقوه كما سلف الذكر، منها تلخيصه لكتاب "الاسطقسات" و"المجاز الطبيعي" و"العلل والأعراض" لجالينوس، وكذلك تفسيره وشرحه لأرجوزة ابن سينا، وقد قام بهذا الشرح تلبية لطلب الأمير الموحدي أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن(ت610هـ/1213م) حاكم غرناطة، وانتهى من ذلك سنة 575هـ/1179م[3]. وفي هذا الشرح عاد "ابن رشد" لتأكيد رأيه في مسائل القوى الطبيعية في الإنسان، كما أكد أهمية القلب في جهاز الدورة الدموية[4].

2-3- مكانة أبو الوليد بن رشد:

برع الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد في الطب وتميز فيه، فكان له بذلك شأن عظيم بالأندلس بين العامة والخاصة، وقد سبق وأن ذكرنا مدى اهتمام المجتمع بالأندلس بهذا الفرع من العلوم خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر

---

[1] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص ص 23- 24.
- ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص 532.

[2] - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 325.

[3] - المرجع نفسه، ص ص 326- 327. قام محمد العربي الخطابي بنشر فصول من هذه الأرجوزة ضمن كتابه "الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية"، ج1، ص ص410- 418.
ومما ينوه إليه، فإنه وعلى الرغم من هذا الرصيد العلمي لهذا الطبيب الجراح، فإن معظم مصنفاته العربية في الطب قد ضاعت ولم يبقى منها إلا القليل، وأنّ معظم ترجماتها اللاتينية والعبرية ما تزال مخطوطة.
- محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 328.
- د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 412.
- Encyclopedie de l` Islam: Op cit , P 935.

[4] - محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص 342.

الميلادي وتبجيلهم للأطباء، حتى كانوا يطلقون عليهم الحكماء، واهتمام حكام هذه الفترة بذلك أيضا، فنال الأطباء في عهدهم أعلى المراكز في الدولة.

ولقد كان للطبيب الجراح أبي الوليد بن رشد في ذلك نصيب، حيث حظي بمكانة بارزة لدى الأمراء الموحدين، وبخاصة بعدما عرفوا كفاءته العلمية وخبرته الطبية فقربوه إليهم[1]، مانحين له الجوائز[2]، ومما يؤكد لنا ذلك قول ابن أبي أصيبعة: "... كان مكينا عند المنصور وجيها في دولته، وكذلك كان ولده الناصر يحترمه أيضا ..."[3]، وقوله: "... ومما كان في قلب المنصور من ابن رشد أنّه كان متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم بان يقول له تسمح ياأخي..."[4]. وإن دل هذا النص الأخير في نظر الباحث إنما يدل على تعظيم الخليفة الموحدي "أبو يوسف يعقوب المنصور" للطبيب الجراح "أبي الوليد بن رشد" وتواضعه معه حتى سمح له بأن يناديه يا أخي. ومما ساعد هذا الطبيب على أن يحظى بهذه المكانة لدى الأمراء الموحدين إلى جانب براعته في علم الطب في نظر الباحث أيضا، حسن خلقه وفصاحة لسانه، ولقد وصفه "ابن عبد الملك" بقوله: "... كان حسن الخلق جميل المدارات فصيح العبارة وجادا للكلام في المجالس السلطانية والمحافل الجمهورية"[5]، إضافة إلى حرصه على مصالح أهل بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس، حيث لم يكن يصرف ما يغدق عليه من الأموال على نفسه، ومما يؤكد ذلك قول ابن الأبار: "... وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال إنّما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس عامة ..."[6]، وكذا قول ابن عبد الملك : "... وكان

---

[1] – ابن الأبار : التكملة، ج1، ص 157.

[2] – عبد الواحد المراكشي:المعجب، ص 315.
– ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 135.
– د. المختار بن الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص 104.

[3] – ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 531.

[4] – المصدر نفسه، ص 532.

[5] – ابن عبد الملك :الذيل والتكملة، السفر6، ص 24.

[6] – ابن الأبار : التكملة، ج2، ص 74.

على تمكن حظوته عند الملوك وعظم مكانته لديهم لم ينفق جاهه قط في شيء يخصه ولا في إستجرار منفعة لنفسه وإنما كان يقصره على مصالح بلده خاصة ومنافع سائر بلاد الأندلس عامة... "[1].

إنّ هذا الإكرام والسخاء من طرف الطبيب الجراح "أبي الوليد بن رشد" لأهل بلده في نظر الباحث، لا يزيده مكانة لدى الحكام فحسب، – حيث تعتبر مساعدته لمجتمعه مساعدة منه للحكام – وإنّما يرفع من شأنه أيضا ويزيد من قدره في أوساط العامة.

حظي أبو الوليد بن رشد بمكانة عظيمة لدى الأمراء الموحدين، ولم تتبلور هذه المكانة في إغداقهم عليه بالأموال فحسب، وإنّما منحوا له بعض المناصب العليا في الدولة، حيث استدعاه الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى قصر الخلافة بمراكش عام 578هـ/1183م برسم الطب ليتولى الإشراف على صحته[2]، وليتولى أيضا منصب رئاسة أطباء البلاط[3]. وقد نعم هذا الطبيب في عهد هذا الخليفة بالإطمئنان الكامل والرعاية المطلقة التي مكنته من مواصلة نشاطه العلمي[4]. وقبل ذلك فقد نُصّب هذا الطبيب من طرف الخليفة نفسه قاضيا على مدينة إشبيلية سنة 565هـ/1169م[5]، وعلى مدينة قرطبة عام 566هـ/1170م[6]، وعلى الرغم من بقاء هذا الطبيب في هذا المنصب قرابة إحدى عشرة سنة، إلاّ أنّ ذلك لم يشغله عن نشاطه العلمي، ولم ينقطع عن التأليف والكتابة وبخاصة في علم الطب[7].

---

[1] – ابن عبدالملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص 24.

[2] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 207.
– السلاوي: المصدر السابق، ص 202.

[3] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 207.

[4] – محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 323.

[5] – ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق, ص 531.

[6] – د. المختار بن الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص 107.

[7] – المرجع نفسه, الصفحة نفسها.
– محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص 323.

لمـــا توفي الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي خلفه ابنه أبو يوسف يعقـــوب بن يـــوسف بن عبد المـــؤمن الملقب بـــالمنصور (580-595هـــ/1184-1198م)، فنال الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد ما ناله لدى والده من علو شـــأن وجلالـــة قدر، فقد عينه الخليفة الجديد ضمن أطباءه المقربين[1].

لم يتوقف اهتمام هؤلاء الأمراء بهذا الطبيب عند هذا الحد فحسب، بل لقـــد شجعوه على التأليف وفسحوا له المجال لنشر علومه وتدوين آراءه[2]، ومما يؤكد لنا ذلك، أنّ شرحه لأرجوزة ابن سينا في الطب كان تلبية لطلب أمير غرناطة أبـــي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحدي وتشجيعا منه.

إنّ ما ناله هذا الطبيب الجراح من مكانة لدى الأمراء الموحدين، وما بلغـــه من تفوق في التشريح والجراحة قد أكثر من حساده، فرموه بتـــهم ألبـــت ضـــده الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور وتسببت في اعتقاله بمدينة اليســـانة بقرب من مدينة قرطبة، بأمر من هذا الخليفة سنة 593هـــ/1196م[3]، وفـــي ذلـــك يقول ابن عبد الملك: "...أما أبو الوليد بن رشد فكان قد نشأ بينه وبين أهل قرطبـــة قديما وحشة جرتها أسباب المحاسدة ومنافسة طول المجاورة فانتدب الطالبون لنفي أشياء عليه... "[4]. ومن أبرز هذه التهم، أنّ الطبيب الجراح أبا الوليد بن رشد أثناء شرحه لكتاب الحيوان لأرسطوطاليس، وعند عرضه للزرافة وإظهاره كيف تتوالد وبأي أرض تنشأ قال: "...وقد رأيتها عند ملك البربر..."[5]، وقد قام هذا الطبيـــب بذلك تقليدا منه لطريقة العلماء في سرد أخبار الملوك والأمم وأسماء الأقاليم[6]، وقام

---

[1] - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 216.
- السلاوي: المصدر السابق، ص 183.
[2] - عبد الواحد المراكشي:المعجب، ص 315.
- د.المختار بن الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص 105.
[3] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص 25.
- د. المختار بن الطاهر التليلي: المرجع السابق، ص ص 108- 109.
[4] - ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر6، ص 25.
[5] - عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 384.
- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 532.
[6] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 384.

بذلك دون أن يستعمل اللقب الذي يليق بـــأبي يوسف يعقوب المنصور كخليفـــة[1]، مع أن هذا الأخير كان قد قربه إليه وحظي لديه بمكانة تليق بالعلماء، حتى كـــان يسمح له بأن يخاطبه يا أخي.

وفي نظر الباحث، فإنّ هذا الخليفة قد فهم هذا التصرف من طرف الطبيـــب الجراح أبي الوليد بن رشد انتقاصا من شأنه كخليفة، ولقـــد ذكـــر عبـــد الواحـــد المراكشي أنّ هذا التصرف كان غفلة من طرف الطبيب أبي الوليد بـــن رشـــد، وأنّـــه لم ينتبه لاستغلال أعداءه لمثل هذا الموقف ضده قائلا: "... غير ملتفت إلى ما يتعاطاه خدمة الملوك ومتحيلوا الكتاب من الإطراء والتفريط وما جـــانس هـــذه الطرق"[2].

حقق أعداء أبا الوليد بن رشد غرضهم، فأعتقل إلى مدينة اليسانة كما ســـلف الذكر، ولم يطلق سراحه ويعفى عنه إلاّ سنة 595هـــ/1198م، ولكنه لم يعمر بعـــد ذلك طويلا، حيث توفي بعد أشهر من صدور العفو عنه عـــام 595هـــ/1198م وكان دفنه بمدينة قرطبة[3].

هكذا إذن برع كل من الطبيبين أبو مروان عبد الملك بن زهر وأبي الوليـــد بن رشد، فتميز الأول باهتمامه بالأمراض وعلاجاتها مكتشفا الجديد فيها، في حين تميز الثاني في التشريح والجراحة مبدعا فيه أيضا، ولقد كـــان كلاهمـــا مكمـــلا للآخر.

ظهر في فترة خلا فترة ظهورهما أطباء صيادلة كان لهم هم أيضـــا فضـــل كبير على علم الطب والصيدلة بالأندلس في هذه الفترة. كما كانوا مكملين للطبيبين السالفي الذكر، وفيما يلي دراسة لأبرزهم.

---

[1]- Lucien Leclerc: Op. Cit. T II, P 99.

[2] – عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص 384.

[3] – ابن الأبار: التكملة، ج2، ص 74.

– ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر6، ص 31.

– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 532.

المبحث الثاني

الأطباء الصيادلة

برع في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في علم الطب العديد من الأطباء، فتعمقوا فيه بحثا مبدعين ومخترعين، فكان منهم الطبيب الشهير أبو مروان عبد الملك بن زهر الذي تميز في الأمراض وعلاجاتها، وأبو الوليد بن رشد في علم التشريح والجراحة، ولقد كان كل واحد منهم مكملا للآخر. وإلى جانب هذين الطبيبين الشهيرين ظهر في الأندلس خلال فترة موضع الدراسة أطباء صيادلة كانوا مكملين هم أيضا للطبيبين السالفي الذكر، ولقد تميزوا بصفة خاصة في علم الطب النباتي . ومن أبرز هؤلاء الأطباء الصيادلة الذين كان لهم بحث وإبداع في علم الطب النباتي بالأندلس في فترة موضوع الدراسة:

1- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي:

1-1 مولده وشيوخه:

حظيت الأندلس بمولد عالم موسوعي[1] على أرضها وهو أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني الأندلسي، فكان مولده في مدينة دانية من شرق الأندلس سنة 460هـ/1068م[2]. أخذ العلم على يد جماعة من علماء الأندلس وفي مقدمتهم قاضي مدينة دانية أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الكناني ويعرف أيضا بالوقشي (408-489هـ/1017-1095م) أبرز علماء الأندلس و"...أحد رجال الكمال في وقته باحتوائه على فنون المعارف وجمعه لكليات العلوم..."[3]، عرف

---

[1] – ابن سعيد الأندلسي:المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 189.
– ابن القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 57.

[2] – الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج19، ص 635.
– ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص 84.

[3] – ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص ص 653- 654.

بذكائه المفرط [1]، الأمر الذي مكنه لا محالة من أن يكون أبرز علماء عصره، إلى جانب آداب أخلاقه وحسن معاشرته[2].

أخذ أمية بن أبي الصلت علمه على يد أستاذه هشام بن أحمد الوقشي متأثرا به أشد التأثر حتى أنّه لم يستطع البقاء بالأندلس بعد وفاته، فغادرها سنة 489هـ/1095م[3]، بعد أن قضى بالأندلس زهرة شبابه في تلقي العلوم والمعارف، فحذا أمية بن أبي الصلت حذو أستاذه هشام بن أحمد الوقشي في التبحر في العلوم والجمع بين العديد منها، فكان أديبا شاعرا عالما باللغة، والفلسفة والفقه، والتاريخ[4]، والرياضيات وعلم الفلك[5].

أما في علم الطب، فقد كان وعلى حد قول ابن أبي أصيبعة: "...من أكابر الفضلاء في صناعة الطب... قد بلغ في صناعة الطب مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء..."[6]، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذا الطبيب الصيدلي[7] لم يجمع بين العلوم السالفة الذكر فحسب، بل كان يعرف بإتقانه لعلم الموسيقى فضلا عن براعته في العزف على العود[8].

---

[1] – ابن بشكوال: المصدر السابق،ج2, ص 653.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 84.
– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص 246.
– د. إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص 352.

[4] – ابن الأبار: الصلة،ج1، ص 168.
– ولقد اعتمد عليه في هذا الفرع من العلوم المؤرخ المغربي ابن عذاري المراكشي في كتابه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، ج5، ص 8.

[5] – ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 83.
– د.زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية ، ص 125.

[6] – ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 501.

[7] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
- Lucien Leclerc: Op. cit. T2, P 74.

[8] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 501.
– ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 83.
– د. رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام، ص 49.

إنّ قرض هذا الطبيب الصيدلي للشعر وتذوقه للموسيقى في نظر البـــاحث، هي التي جعلت منه رجلا مرهف المشاعر، والدليل على ذلك أنه غادر الأندلـــس بعد وفاة أستاذه هشام بن أحمد الوقشي سنة 489هـ/1095م كما سلف الذكر.

توجه أمية بن أبي الصلت بعد ذلك إلى مصر، وخلال إقامته فيـــها التقـــى بالعديد من الأطباء والمنجمين والشعراء ورجال الأدب[1]، الأمر الذي زاد في نظـو الباحث في علمه ومعارفه بعد احتكاكه بأهل العلم بمصر، ومـمـــا يؤكـــد ذلـــك أنّ عصارة فكره وإنتاجه العلمي حققه بهذه المنطقة.

ولقد حدث لأمية بن أبي الصلت أثناء إقامته بمصر حادثة مؤلمة، زادت مـــن غزارة علمه، وكان لها أبلغ الأثر في ذلك، وتتمثل في إخفاقه فـــي إنقـــاذ ســـفينة بالإسكندرية وحدث ذلك بعد أن صرّح بقدرته على إنقاذها، فصرفت لأجل ذلـــك الأموال الكثيرة دون جدوى، الأمر الذي أثار عليه ثائرة أمـــير الجيـــش بمدينـــة الإسكندرية، فأمر بسجنه[2]. نفذ أمر سجنه بالقاهرة ولكن في سجن خاص ومتمـــيز يتمثل في خزانة البنود بالقاهرة[3]، وكان بهذه الخزانة وعلى حد قول بـــن ســـعيد الأندلسي: "... خزائن من أصناف الكتب..."[4].

استاء أمية بن أبي الصلت من هذه الحادثة وحازت في نفسه أن يسجن لسبب لم تكن له فيه إرادة، فعبّر عن ذلك بقوله:

وكان لي سبب قد كنت أحسبني أحظى به فاذا دائى من السبب

فما مقلم أظافري ســـوى قلمي ولا كتائب أعدائي سوى كتبي[5]

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 514.
– حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص 891.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 501– 502.
– الذهبي: المصدر السابق، ج19، ص 635.
– رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق، ص 49.

[3] – ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق،ج1، ص 189.

[4] – المصدرنفسه، الصفحة نفسها.

[5] – ابن القفطي: المصدر السابق، ص 58.

رغم استياء هذا الطبيب مما حدث له بمصر، والتي توجه إليها لطلب العلم[1]، إلا أنّ ما كان يصبو إليه في ذلك قد تحقق له بها، ومما يؤكد ذلك قول ابن سعيد الأندلسي: "...فسجن في القاهرة... فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة من حديثة وقديمة"[2]، ويؤكد ذلك ابن بشكوال بقوله: "... فتفنن في الطب والآداب والعروض والتاريخ وسجن أثناء ذلك..."[3]، كما صنف جل مؤلفاته بها أيضا[4].

إنّ هذا الأمر يدفعنا إلى القول أن المؤرخ جمال الدين بن القفطي كان مبالغا عند حديثه عن نكبة أمية بن أبي الصلت بمصر وقوله: "... ودخل مصر في أيام أفضالها فلم ينل أفضالا وقصد النيل لم يجد لديه نوالا..."[5].

1-2-علمه:

حظي أمية بن أبي الصلت بتكوين علمي على أرض الأندلس، في الوقت الذي استقرت فيه هذه المنطقة بعد دخول المرابطين إليها، على إثر تمزقها سياسيا إلى نحو ست وعشرين دويلة مستقلة متناحرة فيما بينها كما سلف الذكر. ونالت من اهتمام حكامها الحظ الوافر بالعلم والعلماء، فأخذ أمية بن أبي الصلت علمه على يد جماعة من علماء الأندلس، وفي مقدمتهم، شيخه العلامة هشام بن أحمد الوقشي كما سلف الذكر.

كما كان له حظ أوفر أن يستكمل ثراءه العلمي، ويتفنن بخاصة في علم الطب، ويكون من أكابر الفضلاء في صناعته[6] على أرض مصر، أين حظي بأن

---

[1] – ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص 168.

[2] –ابن سعيد الاندلسي: المصدر السابق، ص 189.

[3] – ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1, ص 168.

[4] – ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ص 189.
– ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 247.
– ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 84.

[5] – ابن القفطي: المصدر السابق، ص 57.

[6] – ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص 168.
– د. رحاب خضر عكاوي: المرجع السابق، ص 49.

يسجن في مكتبة عامرة بالكتب بدلا من أن يسجن في سجن مقترفي الجرائم، وأين حظي أيضا بأن يحتك كما سلف الذكر بأهل العلم والمعرفة من الأطباء والمنجمين والشعراء والأدباء، مؤرخا لذلك في كتاب بعنوان "الرسالة المصرية"[1].

اجتمعت الظروف السالفة الذكر، فأهلت أمية بن أبي الصلت أن يكون بارعا في العديد من العلوم وأن يتميز فيها؛ مؤلفا كتبا تعبر عن رصيده العلمي[2]، فكان له منها في علم الطب عدة كتب من بينها كتابه "الانتصار في الرد على علي بن رضوان في رده على حنين بن إسحاق في مسائله"[3]، حاول من خلاله الطبيب الصيدلي أمية بن أبي الصلت الردّ على الطبيب المصري أبي الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر (ت453هـ/1061م)، في رد هذا الأخير بدوره على الطبيب البغدادي النصراني أبي زيد حنين بن إسحاق (ت 260هـ/873م)[4].

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 514.
– حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص 891.

[2] – ألف الطبيب الصيدلي أمية بن أبي الصلت العديد من المؤلفات في الأدب والفلسفة والتاريخ وغير ذلك، من بينها "كتاب الحديقة"، وفيه عرض ما شاهده في مصر من أحوال العلماء الذين التقى بهم، كما ذكر فيه أيضا أحداث مأساته وسجنه في هذه البلاد.
– ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 189.
– ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 243.
– د. زهير حميدان:المرجع السابق، ص 130.
– صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1978، ج3، ص 64.
– كما ألف كتبا أخرى وهي كتاب " رسالة العمل بالإسطرلاب"، وكتاب "الوجيز في علم الهيئة" وكتاب في المنطق"تقويم الذهب".
– ابن خلكان: المصدر السابق، ص 247.
– وللمزيد من المعلومات حول مؤلفات هذا الطبيب الصيدلي وبخاصة في الشعر والأدب والتاريخ والموسيقى، ارجع لـ:
– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص 354– 357.
– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص ص 127–132.

[3] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 514.
– ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 247.
– حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص 173.

[4] – أبو زيد حنين بن إسحاق الناصري:طبيب مشهور في تأليفه الطبية وعلاجاته.دخل في خدمة الخليفة العباسي المتوكل جعفر بن المعتصم 232–247هـ/846–861م، وله في ترجمة الكتب الطبية الإغريقية إلى العربية الفضل الكبير منها، ترجمته لكتب جالينوس، ولقد توفي هذا الطبيب سنة 260هـ/873م.
– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ص 257– 273. ـــ

ولقد كان الطبيب علي بن رضوان مشهورا بمصر، بمناقشته للأطبـاء، إلا أنّه كان كثير المبالغة في ذلك، إذ كان يشنّع على كثير ممن يريد مناقشـتهم مـن الأطباء[1]، من بينهم الطبيب أبو زيد حنين بن إسحاق، فرد عليه الطبيب أمية بـن أبي الصلت من خلال كتابه السالف الذكر[2]. وفي نظر الباحث فإنّ هذا الطبيب قـد قام بذلك لاهتمامه بعلم الطب وكلّ ما له علاقة به من جهة، ومدفوعـا بأخلاقـه ومشاعره الرهيفة من جهة أخرى. وقد سبق أن ذكرنا أنّه غادر الأندلس بمجـرد وفاة أستاذه هشام بن أحمد الوقشي ولم يطيق البقاء فيها بعده، فتوجه إلى مصر.

حظي هذا الطبيب الصيدلي في هذه المنطقة بلقاء العديد من العلماء كما سلف الذكر بما في ذلك الأطباء، فسجل بعض الأخبار عنهم وعن علم الطـب بمصـر ضمّنها في كتابه "الرسالة المصرية" التي سبق ذكرها.

ألف أميّة بن أبي الصلت أيضا كتابا قيما بعنوان "الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية"[3]، عرض فيه معلومات مفصلة عـن طبـائع الأدوية وأفعالها وأصنافها ومنافعها[4]، متبعا فيه طريقة خاصة، وتتمثل في تقسـيم الأمراض حسب أعضاء الجسم الباطنة منها والظاهرة، فأفرد لكل عضـو منـها الأدوية المفردة الصالحة لها.

نال هذا الكتاب شهرة واسعة وانتشارا كبيرا رغم صغر حجمه، بسبب ميزته العلمية، والدليل على ذلك اعتماد الطبيب العشّاب الأندلسي ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت 646هـ/1248م) عليه والنقل عنه[5].

ـــ ابن القفطي : المصدر السابق، ص ص 117- 121.

[1] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 563.

[2] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص 355-356.

- Lucien Leclerc: Op. cit. P 174

[3] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 247. وج2، ص 84.

– ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 144.

[4] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية، ص 23.

[5] – ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذيـة، م1، ص ص 323، 357. م2، ص ص 31، 47، 55، 158، 201، 260.

– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص 356، 358- 359.

1-3- مكـــانته:

اشتهر أمية بن أبي الصلت بالعديد من العلوم والمعارف كما سلف الذكـــر، فساعدته لأن تكون له مكانة خاصة ومتميزة بين علماء الأندلس في فترة موضـوع الدراسة، ومما يؤكد ذلك وصف بعض المؤرخين له بالحكيم العلامة الجامع للعديد من العلوم والمعارف[1]، فضلا عن ذلك، وعلى الرغم ما حـدث لـه علـى أرض مصر من سجن واعتقال، إلاّ أنّه وتقديرا لمكانته العلميـة سـجن هـذا الطبيـب الصيدلي في مكتبة عامرة بأمهات الكتب كما سلف الذكر.

إضافة إلى ذلك وبعدما أطلق سراحه من السجن بمصر، بعد أن شـفع لـه بعض أعيانها[2]، واستقر به الأمر بمدينة المهدية بإفريقية سـنة 506هـ/1112م قرّبه الأمراء الصنهاجيون بهذه المنطقة، فأحسنوا وفادته عليهم من بينهم الأمـير يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (501-509هـ/1007-1015م)[3] وابنه الأمير علي (509-515هـ/1115-1121م)[4]، فضلا عن الأمير الحسن بن علي (515-543هـ/1121-1148م)[5] ولقد عينه هذا الأمير لأن يكـون طبيبـه الخاص[6].

ومما يزيد تأكيدا على مكانة هذا الطبيب الصيدلي العلمية، وبخاصة في علم الطب اعتماد الطبيب النـّباتي الأندلسي الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بـن أحمد بن البيطار عليه والنقل عنه من كتاب "الأدوية المفردة" كما سـلف الذكـر،

---

[1] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 501،.
- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص ص 168- 169.
- ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص ص 83، 144.
- الذهبي: المصدر السابق، ج19، ص 635.
- الصديق بن حسن القنوجي: المصدر السابق، ج3، ص 64

[2] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 502.

[3] - ابن الأبار: المصدر السابق، ص 168.
- ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 246.

[4] - ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص ص 84، 144.

[5] - ابن سعيد الأندلسي: المصدر السابق، ج1، ص 189.

[6] - د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 345.

والجدير بالتنويه هنا أنّ ضياء الدين بن البيطار لم يعتمد في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الشهير إلا على ما رآه صحيحا يتفق والتجربة العلمية، ومما يؤكد ذلك قوله في مؤلفه المذكور: "... والغرض الثاني صحة النقل فيما أذكره على الأقدمين وأحرره عن المتأخرين فما صحّ عندي بالمشاهدة والنظر وتبث لدي بالخبر لا الخبر ادّخرته كنزا سريا... وما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أنّ ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق نبذته ظهريا وهجرته مليا..."[1].

تمثلت اقتباسات ضياء الدين بن البيطار عن الطبيب النّباتي أمية بن أبي الصلت في ثمانية مواد طبية دوائية وهي مادة "خربق أسود"[2]، "خيار شنبر"[3]، "سكبينج"[4] و"سني"[5] و "سورنجان"[6] و"عاقر قرحا"[7] و"غاريقون"[8]، فضلا عن مادة "قرطم"[9].

ومن مظاهر شهرة ومكانة أمية بن أبي الصلت العلمية، الإقبال على ترجمة نتاجه الطبي إلى اللغة اللاتينية والعبرية، حيث ترجم مؤلفه "الأدوية المفردة" إلى اللاتينية من طرف "أرنالد فيلانوفا Arnald Villanova" وإلى اللغة العبرية من طرف "يهوذا بن سليمان ناتان Yahuda Ben Salaman Natan"[10].

بقي الطبيب الصيدلي أمية بن أبي الصلت لدى الأمراء الصنهاجيين بالمهدية، يعوّض ما فاته وما حرم منه من الحرية والراحة والطمأنينة أيام إقامته مسجونا

---

[1] – ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 3– 4.

[2] – المصدر نفسه، م1، ص 323.

[3] – المصدر نفسه، م1، ص 357.

[4] – المصدر نفسه، م2، ص31.

[5] – المصدر نفسه، م2، ص47.

[6] – المصدر نفسه، م2، ص55.

[7] – المصدر نفسه، م2، ص 158.

[8] – المصدر نفسه، م2، ص 201.

[9] – المصدر نفسه، م2، ص 260.

[10] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 360.

– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 129.

بمصر، حيث يدل على ذلك قول ابن سعيد الأندلسي: " وعاد إلى المهدية وعظم عند ملوكها ذكره وأعقب عقابا نابها..."[1]، إلى أن توفي بها عام546هـ/1151م[2].

[1] – ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 189.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- أبو جعفر أحمد الغافقي:

2-1- مولده وشيوخه:

وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن أمية الغافقي [1] ولد في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[2] في مدينة غافق من ضواحي مدينة قرطبة[3] من أب طبيب كان مشهورا في مداواة أمراض العيون[4].

أمّا عن نشأة أبي جعفر أحمد الغافقي العلمية، فتكاد تكون مجهولة، إذ أغفلت كتب الطبقات والتراجم الأندلسية ذكره[5]. وفي نظر الباحث، فإنّ كون والده طبيبا كان له تأثير لا محالة لأن يحذو الابن حذو والده.

2-2- علمه:

نبغ في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي العديد من الأطباء، ولقد تبحر بعضهم في العديد من العلوم، فإلى جانب براعتهم في علم الطب فإنّهم كانوا على علم واسع بالفقه والفلسفة واللغة والفلك والعدد وغير ذلك من العلوم كما سلف الذكر. أما الطبيب أبو جعفر أحمد الغافقي فقد تركزت جل دراساته على الطب والصيدلة، إذ لم تذكر له عناوين لكتب ألفها في فروع أخرى من العلوم، ما عدى مؤلفه "الأدوية المفردة" في علم الطب والصيدلة، ولقد كانت دراسته لهذا الفرع من العلوم عميقة، ومما يؤكد ذلك اطلاعه على أكثر من ستين مؤلفا في هذا الفرع من العلوم[6]، وممن اعتمد عليهم ونقل عنهم، الطبيب سليمان بن حسان بن جلجل (ت 383هـ/953م)[7] الأمر الذي يؤكّد أنّ العلم تواصل، ويؤكد أيضا،

---

[1] - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 500.

- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبيك): الوافي بالوفيات، باعتناء سي د. يدرينغ، دار النتشر فرانز شتاينز بيفيسبادن، 1389هـ/1970م ج7، ص 350.

[2] - انخيل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 472.

[3] - الحميري : الروض المعطار، ص 426.

[4] - د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: تطور الطب في الأندلس، ص 193.

[5] - د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 402.

[6] - المرجع نفسه، ص 407.

[7] - محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء، ص 18.

وعلى حدّ قول محمد العربي الخطابي خبرة أبي جعفر أحمد الغافقي بالأدوية ومعرفته العميقة والواسعة لها وبخاصة المفردة منها[1].

وعلى الرغم من كون مؤلفات هذا الطبيب العشاب قليلة، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي من أن يكون من بين أبرز الأطباء الصيادلة لفترة موضع الدراسة. ومن أسباب ذلك درايته الواسعة بالأدوية المفردة كما سلف الذكر، ومما يؤكد لنا ذلك وصف ابن أبي أصيبعة له بقوله: "...كان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية ومنافعها وأعيانها ومعرفة أسماءها..."[2].

حاول هذا الطبيب العشاب في مؤلفه السالف الذكر الإيجاز والاختصار وجمع كل ما له علاقة بالأدوية المفردة للذين سبقوه في الميدان، مع شرح ما وقع في كتب الأطباء من أسماء الأدوية المجهولة وتوضيحها، مضيفا ومعقبا عن أقوال سابقيه وناقدا لهم في علم الطب والصيدلة[3]. ولهذا الطبيب الصيدلي الفضل الكبير في وضع الأسماء للنباتات بالعربية، والتي كانت تعرف بأسمائها الإغريقية من قبل بعد ترجمة كتاب ديسقوريدوس إلى العربية، ويبلغ عددها خمسة وستون وستمائة مصطلحا يوناني[4]، وبذلك يكون الطبيب العشاب أبو جعفر احمد الغافقي قد ساهم في تتممة ترجمة كتاب ديسقوريدوس في النبات.

وإن دلّ هذا على شيء في نظر الباحث، إنّما يدل على فضل هذا الطبيب العشّاب في علم الطب والصيدلة، وفضله في الدراسات الاصطلاحية اللغوية في الطب وهو ابن القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهذا ما يؤكّد أيضا أنّ اللغة العربية لغة علم وهي غير عاجزة لأن تكون أهلا لذلك.

---

[1] – محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 18. – محمدالعربي الخطابي : الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 26.
– ويذهب إلى نفس الرأي كل من د. إبراهيم بن مراد ود. أحمد مختار العبادي.
– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 407. د. أحمد مختار العبادي: الزراعة في الأندلس، ص 125.

[2] – ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 500.

[3] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص ص417– 418.

[4] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 280.

يعود لهذا الطبيب العشاب أيضا الفضل في اكتشاف إحدى عشرة نباتا جديدا مع وصفه لها وصفا دقيقا مركزا في ذلك على ملاحظاته العلمية ومعتمدا على المحيط الجغرافي للأندلس، فكان له بذلك الفضل في أن يُبرز غنى هذا المحيط وفضله في اكتشاف نباتات دوائية جديدة[1] وهي: آامليلس[2]،آذان الأرنب[3]، أطرمالة[4]،الجبار[5]، البذذ[6]، بربينة[7]، البشنه[8]،البلختة[9]،الوطم[10]، الهذيلية[11]، يربه شانه[12].

---

[1] – أبو جعفر أحمد الغافقي: المدصر السابق، ص 421. – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 408.

[2] – آأمليلس: شجرة تعلو قامة الإنسان، ورقه اخضر ناعم، له ثمر لين، في داخله خشب صلب أصفر.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 8.

[3] – آذان الأرنب: يعرف أيضا باسم آذان الشاة، أو آذان الغزال، وهو نبات له ورق رقيق خشن، لونه أسود وساقه غليظ يزيد طوله عن الذراع، وزهره أزرق وأبيض اللون، أصله متشعب،فالظاهر منه على سطح الأرض لونه أسود، أما المغروس في باطن الأرض فلونه أبيض لزج.
– ابن البيطار: المصدر السابق، ص24.

[4] – أطر مالة: نبات له ساق يزيد علوه عن الذراع وله أوراق وسنبلة بها تمر في شكل حبة الحمص، وفي داخله بزر دقيق لونه احمر يميل إلى السواد وعلى هذا النبات زهر دقيق أصفر اللون، وينمو هذا النبات عموما في التربة الخصبة. – ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 53.

[5] – نبات ينمو على شطوط الأنهار ورقه رطب، له أغصان رقيقة حمراء اللون يزيد طولها عن متر ونصف وزهره أحمر ذو بزر أما جذوره الخشبية فهي حمراء اللون ثابتة في الأرض.
– ابن البيطار: المصدر السابق، ص 79.

[6] – البذذ: عشبة لها ورق مشقق كورق الكسبرة، كما له أغصان رقيقة متفرعة من أصل واحد، حمراء اللون وجذورها رقيقة متشعبة بيضاء اللون رائحتها نتنة. – ابن البيطار: المصدر السابق، ص 117.

[7] – بربينة: وهو نبات له ورق طويل خشن الملمس قضبانه مربعة يزيد ارتفاعها عن ذراع وفي أطرافها زهر شبيه بزهرة الكسبرة. – ابن البيطار: المصدر السابق، ص 121.

[8] – البشنة: نبات صغير لا يزيد طوله عن طول الأصابع، له أغصان دقيقة تخرج من أصل واحد، وورقه دائري دقيق، وزهره أبيض وصغير وهو يشبه زهرة الكسبرة، ينمو هذا النبات في المناطق الصخرية.
–ابن البيطار: المصدر السابق، ص 131.

[9] – البلختة: عشبة تنبسط على الأرض أغصانها صغيرة وأوراقها تشبه دود البصل.
–ابن البيطار: المصدر السابق، ص153.

[10] – الوطم: نبات يشبه الأذخر يزيد علوه عن ذراع وأصله أسود اللون.
–ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 497.

[11] – الهذيلية: نبات ينمو في المناطق الرطبة، أوراقه تشبه أوراق الكرفس، وله عروق لينة شديدة المرارة.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 499.

[12] – يربه شانه: ويعرف أيضا عند الأندلسيين باسم العشبة الصحيحة، وهو نبات له ورق كبير يزيد عن الذراع، أما غصنه فصغير لا يزيد عن الشبر، وهو أملس أخضر اللون ساقه طويلة جوفاء مكسو بأوراق صغيرة وأزهار بيضاء بداخلها تمر يشبه البلوط، مملوء رطوبة لزجة، أما اصل هذا النبات فهو رخو.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 518.

إنّ هذا يدفعنا إلى القول أنّ هذا الطبيب العشاب لم يكن مجرد ناقل، بل كان مبتكرا أيضا، إذ أضاف أصنافا جديدة لنباتات أندلسية في علم الصيدلة العربية، أو بمعنى أصحّ يرجع له الفضل في الإضافة للقاموس العربي الطبي نباتات علاجية جديدة[1]، وفي نظر الباحث فإنّ هذا الأمر هو الذي دفع ابن أبي أصيبعة لأن يصفه بقوله: "... أعرف أهل زمانه بالأدوية المفردة... وكتابه في الأدوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه قد استقصى فيما ذكره "ديسقوريدوس" الفاضل و"جالينوس" بأوجز لفظ وأتمّ معنى، ثم ذكر بعد قوليهما ما تجدد للمتأخرين من الكلام في الأدوية المفردة، فجاء كتابه جامعا لما قاله الأفاضل في الأدوية المفردة ودستورا يرجع إليه فيما يحتاج إلى تصحيحه منها[2].

ومما ينوه إليه فإنه وعلى الرغم من اكتشاف هذا الطبيب الصيدلي لنباتات دوائية جديدة، ودوره في ترجمة بعض المصطلحات الطبية الإغريقية إلى العربية، وعلى الرغم أيضا من أن مؤلفه الأدوية المفردة جاء جامعا لمختلف المعارف المتصلة بالأدوية المفردة منذ العصور القديمة حتى عصره، إلا أنه لم يعرف عنه الكثير، بل وكما سبق الذكر فإن كتب الطبقات والتراجم الأندلسية قد أغفلت ذكره.

وفي هذا الصدد فإنّنا نذهب إلى نفس ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم بن مراد من أنّ هذا الطبيب العشاب كان إعجابه بنفسه شديدا واعتداده بعلمه كبيرا[3]، ويتجلى ذلك في مواقفه ممن سبقه من الأطباء الصيادلة العرب والمسلمين، حيث يرى هذا الطبيب العشاب أنّ ما من أحد منهم ألف في الأدوية المفردة إلا وقد غلط وعلى حدّ قوله الغلط الفاحش وأنّ لا أحدا منهم وصل إلى غرضه في علم الطب والصيدلة[4].

---

[1] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 279.

[2] – ابن أبي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ص 500– 501.

[3] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 402.

[4] – المرجع نفسه، ص 418.

وفي نظر الباحث، فإنّ ما دفع كتب التراجم والطبقات الأندلسية أن تغفل ذكره مما جعل حياته العلمية والاجتماعية مجهولة إلى حدّ ما، إنّما يرجع إلى غروره بعلمه وعدم تواضعه وانخفاض جناحه في ذلك، ومما يؤكد لنا ذلك أيضا قوله في كتابه "الأدوية المفردة"، وعند ذكره لسبب تأليفه له، أنه قام بذلك حتى يستغني عن غيره في كتب الطب والصيدلة والتي يصفها ناقصة ومخطئة[1]. يفهم من هذا أنّ هذا الطبيب العشاب كان يرغب في الاستغناء عن غيره من الأطباء الصيادلة مع أنه اعتمد على العديد منهم، وفي مقدمتهم الطبيب العشاب أبو حنيفة الديـنوري (ت 282هـ/895م) ومحمد بن زكريا الرازي (ت 313هـ/925م)[2].

إنّ الطبيب العشاب أبا جعفر أحمد الغافقي لم يكن منخفض الجناح في حياته العلمية، إذ يتهم الذين سبقوه في علم الطب والصيدلة بالتهاون في بحوثهم العلمية قائلا: "... بل ينبغي أن يلام الكلّ منهم لوما واحدا على توانيهم في البحث وقلة فحصهم على الحقائق ومن بحث منهم فلم يستوف البحث عن كل شيء ولم يستقصى على ما ذكره الاستقصاء التام... ولولا كراهة التطويل لأتيت بغلط كلّ واحد منهم وشرحته وبينته حتى يعلم القارئ لهذا الكتاب قدر ما بحثنا وطلبنا على حقائق الأسماء المختلفة فيها حتى وقف بنا الفحص على الحق من الباطل في أكثرها إلا اليسير الشاذ منها مما لم نجد إلى حقيقته سبيلا مرشدا لكن تقصّينا الأمر فيه بحسب الطاقة والإمكان"[3].يفهم من هذا النّص أنّ الطبيب العشاب أبا جعفر أحمد الغافقي في الوقت الذي دعا فيه إلى اللوم على من سبقوه من الأطباء الصيادلة ، واتهامه لهم على تقصيرهم وتهاونهم في البحث للوصول إلى اليقين في علم الطب والصيدلة، فإنه يبجل نفسه على أنّه وصل إلى حقائق كثيرة في هذا العلم، ملتمسا العذر لنفسه فيما لم يصل إليه، ومؤكدا أنّ ذلك قليل جدا.

---

[1] – د. إبراهيم بن مراد : المرجع السابق، ص 418.

[2] – المرجع نفسه، ص 421.

[3] – المرجع نفسه ، ص 417– 418.

إنّ هذا الطبيب العشاب قد ألف كتابه "الأدويـــة المفردة" ليس لغـــرض الاستغناء عن غيره من الأطباء الصيادلة كما سلف الذكر، وإنّما وعلى حد قولـــه: "...منفعة نفسي فقط ..."[1]، وهذا ما يوحي إلى أنّ هذا الطبيب كان منطويا علـــى نفسه قليل الاختلاط بغيره، مما يدفعنا إلى القول مرة أخرى أن هذا الأمر يعدّ سببا من الأسباب التي دفعت كتب التراجم والطبقات الأندلسية إلى الصمت عن ذكره.

ولعل سببا آخر يضاف إلى الأسباب السالفة الذكر أدت إلى صمـــت كتـــب التراجم الأندلسية وعدم ذكرها له، ويتمثل في عدم جاهه وماله، كما أنه لـــم يكـــن مأثورا لدى الأمراء[2].

وعلى الرغم من هذا كلّه فإنّ هذا الطبيب العشاب قد ألف كتابـــه "الأدويـــة المفردة" بإيعاز وتشجيع من بعض أصدقائه، ومن خلال كتابه السالف الذكـــر ذاع صيته في الأندلس كطبيب صيدلي برع في علم الأدوية المفـــردة، حتـــى اعتـــبر وعلى حد قول الدكتور حكمت نجيب عبد الرحمن: "..من أعظم الصيادلة أصالـــة وأرفع النباتين مكانة في العصور الوسطى..."[3]، وإلى جانب مؤلفه هـــذا فـــإنّ للطبيب العشاب أبي جعفر أحمد الغافقي" كتابين آخرين وهما "رسالة في الحميـــات والأورام" و"رسالة في دفع المضار الكلية للأبدان الإنسانية"[4]، إلا أنّ شهرته العلمية نالها من خلال كتابه "الأدوية المفردة" السالف الذكر.

2-3- مكانته:

جمع معظم أطباء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي العديد مـــن العلوم كاللغة والفقه والفلسفة والفلك وعلم العدد، إلى جانب الطب ، الأمر الـــذي أبرز وجودهم في المجتمع، ومكنّهم من أن يحظوا بمكانة خاصة لدى هذا المجتمـع

---

[1] - د. إبراهيم بن مراد : المرجع السابق، ص 419.

[2] - المرجع نفسه، ص 416.

[3] - د. حكمت نجيب عبد الرحمن : دراسة في تاريخ العلوم عند العرب، ص 332.

[4] - د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 405.

ولدى الطبقة الخاصة أيضا كما سلف الذكر، أما بالنسبة للطبيب العشاب أبي جعفر أحمد الغافقي فعلى الرغم من اقتصار جل دراساته على الطب والصيدلة والتعمق فيها دون غيرها من العلوم، إلا أنه ومن خلال مؤلفه "الأدوية المفردة" مكنه من أن يبرز هو الآخر كطبيب صيدلي متميز خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فبفضل هذا الكتاب أعتبر من أعظم صيادلة وأرفع نباتي العصور الوسطى[1].

إنّ هذا الكتاب والذي كتب مرتبا على حروف المعجم ورتبت أسماء النباتات الطبية فيه وصنفت من الناحية العلمية وسجلت بأسمائها العربية واللاتينية[2]، والذي بفضله صنّف صاحبه الطبيب العشاب أبو جعفر أحمد الغافقي في مصف أشهر الأطباء الصيادلة في العصور الوسطى، كان له الفضل أيضا على علم الطب والصيدلة بسبب ما يحويه من أسماء لنباتات طبية باللغة العربية واللاتينية، الأمر الذي لا محالة، مكّن من نقل ما يحويه هذا الكتاب من المعارف الطبية إلى العرب وغير الغرب. وهنا يتجلى مرة أخرى في نظر الباحث، دور هذا الكتاب في إبراز مكانة اللغة العربية وجدارتها لأن تكون لغة علم ولغة حضارة، وبخاصة وأن العلوم والحضارة اتصال وتواصل وتأثير وتأثر.

ومما ينوه إليه هنا أن الطبيب النباتي الأندلسي الشهير ضياء الدين بن البيطار قد اعتمد على أبي جعفر أحمد الغافقي أكثر من مائتي مرة في مؤلفه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"[3].

ومما يؤكد مكانة هذا الطبيب الصيدلي العلمية أيضا في مجال الطب والصيدلة، الإقبال على تلخيص كتابه "الأدوية المفردة" العديد من المرات، ففي

---

[1] – د. حكمت نجيب عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 332.
– د. محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع السابق، ص 337.
– د. فرانشيسكو فرانكو سانشت: المرجع السابق، ص 193.

[2] – د. محمود مكي: تاريخ الأندلس السياسي، ج1، ص 63.

[3] – ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 8, 24, 53, 79, 117, 121, 131, 153؛ م2، ص ص 497, 499.
– أنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 472.

القرن السابع الهجري اختصره أبـــو الفـــرج غريغوريـــوس بـــن العـــبري (ت 684هـــ/1396م)[1]، كما أختصر للمرة الثانية من طرف "أحمد بن علي بن أبـــي جمهوري[2]. وفي نظر الباحث، فإنّ هذه المختصرات قد نمّ القيام بـــها لأن تكـــون مرجعا وقيدا لأهل التخصص، ومما يؤكد ذلك قول ابن أبي أصيبعـــة عـــن هـــذا الكتاب أنه: "... دستورا يرجع إليه فيما يحتاج إلى تصحيحه..."[3]، إلى جانب هـــذه المختصرات، فإنّ الكتاب قد ترجم أيضا عام 657هـــ/1258م إلى اللغة اللاتينيـــة من طرف الإسباني ابن يوحنا (Mogister G. Filius Johannis)[4] كما ترجـــم إلى اللغة السريانية من قبل أبي الفرج بن العبري[5]، وكل هذا إن دل على شـــيء إنّما يدل على أهمية هذا الكتاب، ويؤكد مكانة صاحبه العلمية مرة أخرى.

وينبغي هنا أن نشير إلى أنّ الطبيب العشاب أبا جعفر الغافقي قد دعا أطبـــاء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى الجمع بين علم الطب والصيدلة – وقد سبق وأن ذكرنا أن علم النبات "الصيدلة" في هذه الفترة لم تكن منفصلة عن علم الطب– ناقدا بعض الأطباء الذين كانوا يرون عكس ذلك، ولقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه "الأدوية المفردة" بقوله : "...فأما حلي الأدوية واختيارها ومعرفـــة الجيد منها من الرديء، فهو أخص بغرض هذا الكتاب... وإن كان أكثر أطبائنـــا يرون أن ذلك فضل خارج عن صناعة الطب وأن الطبيب ليس عليه علم بشـــيء من ذلك بل تقليد في ذلك الشجارين والصيادلة... وأنا أقول...فمن قال منهم إنـــه ليس عليه معرفة الأدوية فهو منه جهل... وما أقبح بأحدهم... أن يطلـــب أدويـــة مفردة لتركيب دواء فيؤتى بأدوات لا يعلم هل هي التي أراد أم غيرهـــا فيركبـــها ويسقيها عليله ويقلد فيها الشجارين ولاقطي الحشائش وقوما لا يقرؤون الكتب ولا

---

[1] -أنخل جانثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 473.

[2] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 408.

[3] – ابن ابي اصيبعة: المصدر السابق، ص 501.

[4]- Vernet Juan: Ce que la Culture dois aux arabes d`Espangne, Traduit par G.M Agrois, Sindbad, Paris, 1985, P P 269- 270.

[5] – د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 410.

يعرفون من الأدوية إلا أقلها... والذي يعرفونه من الأدوية فـــهم فـــي معرفتـــهم مقلدون لغيرهم بغير علم"[1].

يفهم من هذا النص انّه إلى غاية فترة موضوع الدراسة ما زال هناك بعـــض الممارسين لصناعة الأدوية من غير علم بقواعدها العلمية، بـــل يعـــدون دخـــلاء عليها، وفي نظر الباحث، فإنّ وجود مثل هؤلاء الممتهنين لصناعة الأدويـــة مـــن غير علم كان السبب في استحداث كل من المرابطين والموحدين لوظيفـــة رئيـــس الأطباء أو مزوار الأطباء لمراقبة حسن سير أعمال الأطباء الصيادلة.

ويضيف الطبيب العشاب أبو جعفر أحمد الغافقي: "... أنّ الطب والصيدلـــة إذن صناعتان مختلفتان، إلا أنهما متكاملتان، والطبيب الجيد الماهر هو الذي يكون في نفس الوقت صيدلانيا ماهرا..."[2].

هذا وعلى الرغم من مكانة هذا الطبيب العشاب العلمية فـــإن أغلبيـــة كتـــب التراجم ظلت صامتة عند ذكره فبقيت بذلك حياته الاجتماعية والعلمية إلى حد مـــا مجهولة، إلى أن توفي عام 560هـــ/1165م[3].

3- أبو العباس أحمد بن الرومية:

3-1- نسبه وشيوخه:

حظيت الأندلس إلى جانب الأطباء سالفي الذكر بطبيب صيدلاني آخر، وهـــو أبـــو العباس أحمد بن محمد بـــن مفـــرج بـــن الروميـــة الإشـــبيلي ولـــد عـــام 561هـــ/1165م[4]، ويشتهر باسم أبي العباس النباتي والعشاب لاهتمامه المفـــرط بالنبات[5].

---

[1] – د. ابراهيم بن مراد: المرجع السابق, ص 422.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 401– 461.

[3] – محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ص 26.
– د. زهير حميدان: المرجع السابق، ص 74.
– د. ابراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 405.

[4] – ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 107.
– ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر1، ج2، ص 487.

[5] – ابن الأبار: المصدر السابق، ص 107.

نشأ هذا الطبيب الأندلسي في بيت علم، حيث كان جده أبو الخليل مفرج الأموي عالما بعلم النبات[1]، كما كان والده أيضا أبو عبد الله محمد بن أبي الخليل المفرج علامة في علم النبات[2]. درس أبو العباس أحمد بن الرومية على يد جده ووالده معتمدا في الوقت نفسه على الدراسة الميدانية، حيث كان يتجول في كل بلد يسافر إليها بحثا عن نباتات جديدة، ورغبة عن كشف حقائقها، ولم يتوار من أجل تحقيق ذلك أن يطوف بلاد الأندلس والمغرب والمشرق[3].

ومما ينوه إليه، أنّ هذا الطبيب العشّاب وخلال رحلته العلمية هذه لم يكن حريصا على البحث والكشف عن النباتات الجديدة وحقائقها فحسب، بل كان حريصا أيضا لملاقاة العلماء بما في ذلك الأطباء الصيادلة نذكر منهم الصيدلاني الكبير ابن محمد بن نصر الأصفهاني[4]، والعطار ابن محمد بن بركة الحريمي[5]، فأفاداه هذان النبّاتان بما لديهما من علم[6].

3-2- علمه ومؤلفاته في الطب:

عرف الطبيب الصيدلاني أبو العباس أحمد بن الرومية بحبه المفرط للعلم، فحرص على تلقيه بسهر الليالي والترحال إلى البلدان لملاقاة العلماء والأخذ عنهم، وفي ذلك يقول ابن عبد الملك: "... وكان كثير الشغف بالعلم والدؤوب على تقييده ومداواة سهر الليالي من أجله..."[7]، فمكنه ذلك من أن يجمع بين علمين، فإلى جانب كونه طبيبا صيدلانيا، فإنه كان في الوقت نفسه عالما بعلم الحديث، حتى

- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 538.
- ابن الزبير: المصدر السابق، القسم5، ص 346.
- الذهبي: المصدر السابق، ج23، ص 58.

[1] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1، م2، ص512.

[2] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص 213.

[4] - المصدر نفسه، ص 210.

[5] - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 1، القسم2، ص 498.

[6] - المصدر نفسه، ص 489.

[7] - المصدر نفسه، ص 512.

لـــقب بـــأبي العباس المحدث[1]، كما كانت نتيجة ذلك أيضا أن برع وتميز في علـم الطب والصيدلة، ومما يدل على ذلك قول "ابن عبد الملك": "...كان حسن العـلاج في طبه مورد الموضوع لثقته ودينه وإمام أهل المغرب قاطبة في معرفة النبـات وتمييز الأعشاب وتحليتها، وعلم منافعها ومضارها غير مدافع عنه ولا منـــازع فيه..."[2].

تجلت معرفة هذا الطبيب العشاب بعلم الطب والصيدلة في رصيده العلمـــي المكتوب، حيث ألف العديد من الكتب في الطب والنبات من أشهرها كتاب "الرحلة المشرقية" صنف فيه النباتات مرتبا فيه أســماءها علـــى حـــروف المعجم[3]. مـــع اكتشاف الجديد فيها ودليلنا على ذلك قول ابن عبد الملك : "...إمام أهل المغـــرب قاطبة في معرفة النبات...وعاين في وجهته المشرقية كثيرا مما لا يكون بـللمغرب منه...ولم يزل باحثا عن حقائقه كاشفا عن غوامضه حتى وقف منه على مـــا لـــم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الإسلامية..."[4].

ألف الطبيب أبو العباس أحمد بن الرومية إلى جانب الكتاب السالف الذكـــر، كتابا آخر بعنوان "شرح حشائش ديسقوريدوس وأدوية جالينوس"، وفيـــه صحـــح المؤلف أخطاء مترجمي كتـــاب "الحشـــائش لديســـقوريدوس" وكتـــاب الأدويـــة لجالينوس[5]. وإن دلّ هذا على شيء، إنّـــما يدل على فضل أطباء الأندلس خـــلال

---

[1] – ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 107.

– الذهبي: المعين في طبقات المحدثين، ج1، ص 198.

– أ.عبد القادر زمامة: النباتيان العشابان الأندلسيان، ابن الرومية الإشبيلي وابن البيطار المالقي، مجلة أفـاق الثقافة والتراث، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربيـة المتحدة العددان 26– 26، 1420هـ/1999م، ص 181.

[2]– الذيل والتكملة، السفر1، م2، ص 512.

[3] – كمال الدين عمر بن أحمد بن جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج3، ص 1032.

– المقري: نفح الطيب، ج2، ص 199.

– إن هذا الكتاب يعد من الكتب الطبية التي ضاعت ولم يبقى منها إلا ثلاثة ومائة مادة في كتـــاب الجـــامع لمفردات الأدوية والأغذية لضياء الدين بن البيطار.

– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 289.

[4] – ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر1، م2، ص 512.

[5] – المصدر نفسه، ص 513.

– ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص 212.

القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على علم الطب والصيدلة، والذي لا يتوقف عن محاولة اكتشاف الجديد فيه، بل يزيد على ذلك محاولة تعريب للمصطلحات الطبية، وهذا ما يؤكد أيضا أن حركة الترجمة في علم الطب والصيدلة كانت متواصلة في هذه الفترة.

أجهد هذا الطبيب العشاب نفسه في معاينة النباتات والكشف عن حقائقها حتى بلغ في ذلك الذروة[1]، ولقد مكنه ذلك من أن يصحح لبعض من سبقه في علم الطب والصيدلة، فصحح للطبيب الأندلسي العشاب أبي جعفر أحمد الغافقي مؤلفا في ذلك كتاب بعنوان "التنبيه على أغلاط الغافقي في الأدوية"[2].

إنّ ما مكن هذا الطبيب العشاب إلى ذلك، إنّما يرجع إلى اختلاف طريقته في معاينة النباتات والكشف عن حقائقها عن غيره من الأطباء العشابين بالأندلس ممن سبقوه، فقد كان هذا الطبيب العشاب لا يركز خلال بحثه في علم النباتات على محاولة الكشف على القيمة الدوائية للنباتات، ومحاولة الكشف الجديد منها فحسب، وإنما كان يجهد نفسه أيضا في وصفها وصفا دقيقا من الناحية الظاهرية، فيصف النبات من حيث الشكل بصفة عامة، كوصفه للساق والعيدان والأغصان والقضبان والشوك والصمغ والورق والرأس والزهر والبزر والحجم والطول أو العرض، والامتداد واللون، مع ذكر المكان الذي ينبت فيه النبات وفصل نبته[3].

ولقد مكنته هذه الطريقة الدقيقة في بحثه العلمي من أن يتجنب الخلط بين أنواع النباتات المتشابهة كنبات "الماميثا" الذي يشبه إلى حد كبير نبات "الخشخاش الساحلي" والمعروف بـ "المقرن"، وقد تمكن هذا الطبيب العشاب من الفصل والتمييز بينهما بقوله: "...وقد خفى على من مضى من المحدثين... أن الخشخاش الساحلي فيه الحب المنكتة وغير المنكتة، والماميثا المحققة في البر مستأنفة الكون

---

[1] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 1, م2 ص 512.

[2] – المصدر نفسه، ص 513.

[3] – المصدر نفسه، ص 512.

– ابن الخطيب: الإحاطة، م1, ص 208.

– د. إبراهيم بن مراد: المرجع السابق، ص 289.

في كل سنة وتتحطم عند انتهاء الصيف، والمزدرع من الخشخاش الساحلي بالبساتين المسمى ماميثا عند أهل إشبيلية فإن الذي ينبت منه على الأصل تتحطم أغصانه وتبقى أرمته ينبت منها في المقبل... وأعلم أن الخشخاش المقرن والماميثا لا فرق بينهما في صورة الورق، والزهر والثمر... إلا ما أنبأتك به أوّلا وآخرا من اختصاص الماميثا بالبراري والأرض الطيبة، واختصاص الخشخاش بالسواحل البحرية..."[1].

استطاع هذا الطبيب العشاب وبعد ترحاله وتجواله والبحث – الذي لم يكن يهتم خلاله بالنباتات المعروفة، والتي أصبحت لا تثير أي إشكال في قيمتها الدوائية وخاصتها النباتية – أن يتوصل إلى معرفة القيمة الدوائية لكثير من النباتات، والتي كانت المعرفة بقيمتها الدوائية ناقصة من جهة، أو فيها خلط من جهة أخرى، ولقد بلغ عددها خمسين نباتا من بينها نبات "الآاكثار" و"الأرجيقنة"، وللجغرافي الأندلسي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الإدريسي(ت560هـ/1064م) الفضل في اكتشافها[2].

استطاع الطبيب العشاب أبو العباس أحمد بن الرومية أن يدلو بدلوه هو أيضا إلى جانب أطباء صيادلة القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، في تحضير الأدوية، وكيف لا يفعل ذلك وهو أكثر نبّاتي الأندلس دقة في وصف النباتات والكشف عن حقائقها الدوائية كما سبق الذكر، وفي ذلك ألف كتابا بعنوان "تركيب الأدوية"[3]، ولقد ساعدته ومكنته معرفته بعلم النبات لأن يكون صيدلانيا بارعا[4]، ومما يؤكّد ذلك قول ابن العماد الحنبلي : "... وكان يحترف من الصيدلة لمعرفته الجيدة بالنبات..."[5]. ومما ينوه إليه فإن هذا الطبيب العشاب قد توصل إلى

---

[1] – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص ص404– 405.

[2] – المصدر نفسه، م1، ص ص 7– 8، 27– 28. – د. ابراهيم بن مراد: المرجع لسابق، ص 291.

- Lucien Leclerc: Op. Cit. T2, P P 229- 230.

[3] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 1، م2، ص 513.

[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 538.

[5] – ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج3، ص 184.

اكتشاف عشرين نباتا جديدا لم تكن معروفة من قبل وهي:

آأفثرو[1]، إســـرار[2]، أكـــر البحـــر[3]، بطرة[4]، بـــــلان[5]، ذنـــب الخـــروف[6]، زفشته[7]، شبرم آخر[8]، ششترة[9]، شـــطيبه[10]، شـــورى[11]، صنيـــن[12]، عديســـة[13]، عكرش[14]، علقم[15] ، غلقي[16]، قزاح[17]، قللجه[18]، لقيبه[19]، قلجونه[20].

---

[1] – آفثرو: نبات ينمو بقرب مياه العيون والجبال، ورقه على قدر ظفر الإبهام وأغصانه قائمة، وله أزهار تظهر على القضبان يستعمل من هذا النبات شراب للنضج والتحليل والضماد.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص ص 8– 9.

[2] – إسرار: شجر ينبت في أقاصي البحر وفي سواحل لبحر الأحمر، وهو يشبه شجر الرند، أما تمره فيشبه تمر البندق. صلح للأكل وطعمه نافع لتسكين وجع الأسنان. –ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 45.

[3] – أكر البحر: نبات ينمو في مياه البحار ويصلح في جلاء الأسنان.– ابن البيطار:المصدرالسابق، ، ص71.

[4] – بطرة: نبات حمصي الورق، يكثر نموه بمدينة إشبيلية، وهو نبات صالح لعلاج النواصير.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 138.

[5] – بلان: نبات كثير الأغصان، له أزهار وثمر مر المذاق، بزره ينفع في مداواة البواصير.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 155.

[6] – ذنب الخروف: نبات ينمو بشرق الأندلس، عصارة أوراقه تصلح في علاج بياض العين.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 417.

[7] – زفشته:نبات ورقه أسود اللون طول ساقه شبر، مستدير الشكل ومشوك، يستعمل في مداواة الجرب وتحسين الشعر وقتل القمل. – ابن البيطار: المصدر السابق، م1، ص 472.

[8] – شبرم آخر:نوع من الشوك ينبت في الجبال، لونه أبيض وورقه صغير، وزهره أزرق اللون، ينفع شرابه في الوباء.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 69.

[9] – ششترة: نبات ينمو في الجبال العالية، بزره كمون الطعم، حلو ينفع في مداواة المعدة وتفتيت الحصاة.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 82.

[10] – شطيبه: نبات ربيعي مشوك، ينفع لمداواة الحمى. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 82.

[11] – شورى: شجرة تنمو في سواحل البحر الأحمر، مثمرة، صمغها يسكن وجع الأسنان.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 98.

[12] – صنين: نبات صغير ساقه لا يزيد عن شبر تعلوه زهيرة حمراء، أما أصله فهو دقيق وم، ينفع هذا الدواء في علاج النفخ. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 120.

[13] – عديسة: نبات ينموبالأندلس،وهودواء نافع في علاج التأليل.– ابن البيطار:المصدرالسابق، م2، ص 162.

[14] – عكرش: نبات عدسي الشكل، له زهر دقيق وبزره يشبه الحمص في الشكل والطعم.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 177.

[15] – علقم: نبات ورقه وتمره شبيه بورق وتمر الكرمة. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 183.

[16] – غلقي: نبات ورقه على شكل ظفر الإبهام، أخضر اللون وأغصانه صلبة، له زهر وثمر يستخرج منه شراب لعلاج التأليل. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 206.

[17] – قزاح: نبات له أغصان وورق وزهر وثمر دقيق، عطر الرائحة، يستعمل في تحضير الأشربة بالأندلس.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 262.

[18] – قللجه: نبتة تنمو بالمروج في جبل الشرق بإشبيلية، لها زهر عريض الشكل ذو اللون الأبيض والأصفر وثمره يشبه الزبيب. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 282.

[19] – لقيبه:نبات مشوك في جوفه ثمر،نافع لأمراض البطن. – ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 395.

[20] – قلجونه: نبات كثير الانتشار في سواحل إفريقيا، أغصانه كثيرة تعلو عن الأرض نحو الشبر، وله زهر أصفر اللون، طيب الطعم، وهو نافع لعلاج أمراض النساء.
– ابن البيطار: المصدر السابق، م2، ص 282

3-3- مكانته:

تميز الطبيب العشاب أبو العباس أحمد بن الرومية عن غيره من أطباء وعشابي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بالأندلس في منهجه العلمي باعتماده طريقة البحث الميداني والدقة في دراسته للنباتات والكشف عن الجديد فيها والحرص على وصفها ظاهريا حرصا كبيرا، فمكنه ذلك من أن يتمم مجهودات سابقيه سواءً بالكشف عن القيمة الدوائية لنباتات كانت معروفة من قبل، إلا أن معرفة قيمتها الدوائية كان ناقصا، أو أنّ هناك الخلط بين أنواعها لتشابه بعضها بالبعض الآخر شكلا. كما تمكن هذا الطبيب النباتي أيضا أن يوضح الفرق بين العديد من النباتات المتشابهة وأن يميّز بين قيمتها الدوائية، بل والأكثر من ذلك استطاع أن يكتشف نباتات جديدة لم يسبقه إليها أحد كما سلف الذكر.

مكنته هذه الخصوصية في طريقة بحثه العلمي أيضا من أن تكون له مكانة متميزة بين أطباء وعشابي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فلقد أشاد بذلك المستشرق الفرنسي لوسيان لكلرك حتى قدّمه عن بعض العشابين الغربيين للقرن الثامن عشر الميلادي[1].

إن سعة علم هذا الطبيب النباتي قد أكسبته شهرة كبيرة في الأندلس والمشرق الإسلامي، وعلى حد قول ابن أبي أصيبعة فإن هذا الطبيب العشاب: "... كان له الذكر الشائع والسمعة الحسنة..."[2]، الأمر الذي جعله محل احترام واهتمام وتقدير الأمراء والملوك، فما أن حل بمصر في رحلته المشرقية حتى استدعاه الملك الأيوبي العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب(635-637هـ/1238-1240م)[3]، وقرّبه إليه وأكرمه بما يليق به كعالم جليل[4]. فضلا عن ذلك، فإنّ أحد أمراء الأندلس وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود (ت 635هـ/1238م)

---

[1]- Histoire de la Medecine Arabe, TII, P 247.

[2] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 538.

[3] – عبد الرحمن السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 463.

[4] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص.

أمير مملكة بني هود بسرقسطة بشرق الأندلس، قد وصل احترامه له أن بادره هو شخصيا كأمير للملكة بني هود أن يبادره هو للتحية[1].

ولعل ما يؤكد مكانة هذا الطبيب وبراعته العلمية، تداول كتابه "الأدوية المفردة " في المغرب والمشرق[2]، وكون هذا الكتاب مرجعا لبعض الأطباء الصيادلة الأندلسيين ونخصّ بذلك الطبيب العشّاب ضياء الدين بن البيطار في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"[3].

لم يحظ هذا الطبيب العشاب بالاحترام والتقدير لدى الطبقة الحاكمة فحسب، بل كان محبوبا أيضا لدى العامة بالأندلس، ومما يدل على ذلك رثاء جماعة من طلبته له يوم وفاته[4]، كما رثاه أيضا بعض أصدقائه ومن بينهم صديقه القاضي الأديب أبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير بقوله: "

هذي المدارس قد خلت من أنسها بك في عداد الأربع الأدراس"

من ذا يعالج داءها من حفظه بعلاج لا ناس ولا متناس[5]

وفي نظر الباحث، فإنّ هذين البيتين لا يؤكدان على مكانة "أبي العباس أحمد بن الرومية" في قلوب أصدقائه فحسب، وإنّما تؤكد مناقب هذا الطبيب العشاب كأستاذ بارع ومتواضع، الأمر الذي حبب طلبته فيه، حتّى بدت المدارس بعد وفاته خالية. ولقد كانت وفاة هذا الطبيب العشاب سنة 637هـ/1239م[6].

وهكذا يتبين لنا مما سبق، أنّه على الرغم من اعتماد الأطباء الصيادلة بالأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على التراث العلمي

---

[1] – ابن أبي جردة: المصدر السابق، ج3، ص 1034.

[2] – المقري: نفح الطيب، ج2، ص.

[3] – ابن البيطار : المصدر السابق، م1، ص ص 98، 147، 193، 194، 218، 266، م2، ص ص 92، 98، 138.

[4] – ابن الخطيب: الإحاطة، م1، ص 214.

[5] – ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 1، م2، ص ص 514– 516.

[6] – ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 107.

– الذهبي: المصدر السابق، ج23، ص 59.

الإغريقي المترجم في بغداد، واعتمادهم أيضا على كتاب ديسقوريدوس المترجم في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلا أنه كان لهم الفضل في ابتكار أشياء جديدة في علم الطب والصيدلة، مطورين بذلك تراث الأوائل في هذا الفرع من العلوم، ومعتمدين في ذلك منهجا علميا جديدا يقوم على التجربة والملاحظة والاستقراء، من ذلك ما قام به الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر الذي كانت اكتشافاته الطبية قائمة على اعتماده الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض وعلاجاتها. كما اعتمد الطبيب العشاب أبو العباس أحمد بن الرومية طريقة خاصة في منهجه العلمي والمتمثلة في البحث الميداني في دراسة النباتات والكشف عن الجديد فيها مع الحرص على وصفها ظاهريا وصفا دقيقا، حتى لا يكون هناك خلط بين النباتات المتشابهة.

يرجع للأطباء الصيادلة لفترة موضوع الدراسة أيضا، الفضل الكبير في توسيع البحث في النباتات الدوائية، وفي مقدمتهم الطبيب العشاب أبو جعفر أحمد الغافقي الذي استطاع أن يكتشف إحدى عشرة نباتا جديدا مع تحديد قيمتها الدوائية. كما لهذا الطبيب العشاب الفضل في ترجمة بعض أسماء النباتات من كتاب الحشائش لديسقوريدوس إلى اللغة العربية، مبينا في ذلك أن هذه اللغة وكغيرها من اللغات، لغة علم وحضارة، فهذا الطبيب إذن لا تقدر جهوده العلمية في اكتشافه الجديد في علم النباتات وقيمتها الدوائية، بل كان له أيضا مجهودا لغويا في هذا الفرع من العلوم. استطاع الطبيب العشاب أبو العباس أحمد الغافقي بدوره أن يكتشف عشرين نباتا دوائيا مساهما بذلك في تطوير علم الطب والصيدلة بالأندلس في فترة موضوع الدراسة.

اهتمّ الأطباء الصيادلة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي اهتماما كبيرا بالوقاية وحفظ الصحة، محاولين قدر المستطاع توضيح ما لذلك من أهمية قبل الوقوع في المرض، ومما يؤكد ذلك ما بدأ به الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر في مقدمة كتابه التيسير في المداواة

والتدبير من توضيح لأهمية النظام الغذائي. ولهذا الطبيب أيضا كتاب خاص في ذلك وهو كتاب الأغذية.

اهتم الأطباء الصيادلة لفترة موضوع الدراسة بالأمراض الوبائية أيضا، فكان للطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر منهم، الفضل في اكتشاف "طفيلية الجرب"، كما يرجع للطبيب أبو الوليد بن رشد بدوره الفضل في اكتشاف عدم معاودة مرض الجدري لمن سبق وأن أصيب به. فضلا عما سبق فإن بعض أطباء فترة موضوع الدراسة قد اهتموا أيضا بالجراحة، موضحين علاقة الجراحة بالتشريح، وفي مقدمتهم الطبيب الجراح أبي الوليد بن رشد الذي تمكن وبفضل اهتمامه بعلم التشريح والجراحة، وتركيزه على ذلك أن يكتشف أشياء جديدة في ذلك.

جمع معظم أطباء فترة موضوع الدراسة، إلى جانب علمهم بالطب، العديد من العلوم الأخرى كعلم الفلك والفلسفة والفقه والحديث والموسيقى، فضلا عن علمهم وبراعتهم في علم اللغة، الأمر الذي ساعدهم على تأليف كتب في علم الطب والصيدلة مضمنين فيها إسهاماتهم العلمية، بل لقد قام البعض منهم بترجمة ما لم يتم ترجمته من بعض مؤلفات الإغريق الطبية. فأصبحت بذلك الكتب الطبية الأندلسية تنقل إلى المشرق، ونذكر في ذلك كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" للطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الذي أصبح يعتمد عليه في الدراسات الطبية في المشرق، وإن دلّ هذا على شيء إنّما يدل على أن العلم اتصال وتواصل وتأثير وتأثر. فبعدما كان الأطباء الصيادلة في الأندلس يعتمدون على كتب المشارقة والمغاربة في علم الطب والصيدلة، فإنّ هذا الأمر قد تغير في فترة موضوع الدراسة، حيث عرفت الكتب الطبية الأندلسية طريقها إلى المشرق والمغرب.

برع العديد من الأطباء الصيادلة بالأندلس في فترة موضوع الدراسة، في الطب والصيدلة وتوصلوا إلى اكتشاف أشياء جديدة فيها، لم يسبقهم إليها أحد، فألفوا فيها كتبا، والتي لم تنقل إلى المشرق والمغرب فحسب، بل ترجم العديد منها إلى اللغة اللاتينية والعبرية والسريانية، وإنّ بعضها أصبحت من المصادر المعتمد

عليها في الدراسات الطبية في الجامعات الأوربية ولقرون، الأمر الـــذي ينفـض الغبار عما أتهم به المرابطين من تخلف وعدم الصلة بالحضارة؛ فما هذا الإبـــداع الذي حققه الأطباء الصيادلة في فترة موضـــوع الدراســـة، إلا نتـــاج لتشـــجيع المرابطين والموحدين من بعدهم للعلم وللعلماء، وبذلك يكون لهؤلاء المغاربة دور لا يستهان به في الحضارة الغربية، ويؤكد أيضا، ما للعلماء المسلمين من فضـــل على علم الطب والصيدلة.

لعبت الأندلس وبسبب ما تم من تأليف كتب في علم الطب والصيدلـــة علـــى أرضها، دورا في نقل هذه العلوم العربية إلى أوربا، وبخاصة بعد ترجمة العديـــد من المؤلفات الطبية منها إلى اللغة اللاتينية والعبرية، الأمر الذي يؤكـــد فضـــل الطب العربي على الغرب، بعدما كان الفضل في ذلك لأطباء الإغريق، والأمـــر الذي يؤكد أيضا أن الحضارات اتصال وتواصل، ولكل دوره في تطويرها، سـواءً أكانوا عربا مسلمين أو أوربيين.

نستنتج مما سبق أيضا، ظهور بـــوادر التخصص فـــي عـــلم الطـــب، فالطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر قد ركز جـــل اهتماماتـــه الطبيـــة علـــى الأمراض وعلاجاتها، وركز الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد دراساته الطبيـــة على علم التشريح والجراحة، في حين ركز الطبيب العشـــاب أبو جعفـــر أحمـــد الغافقي وأبو العباس أحمد بن الرومية وأمية بن أبي الصلت، دراساتهم الطبية على علم النبات والصيدلة، مع العلم أنّ كلّ هؤلاء الأطباء كانوا على دراية بما اختص به غيرهم في علم الطب والصيدلة، ولعلهذا كله يحيلنا الى ما للأطباء الصيادلـــة بالأندلس من فضل في اكتشاف الجديد في هذا الفرع من العلوم والتوسع والتعمـــق فيه، حتّى دعا الأمر إلى الفصل بين أفرع هذا العلم من طـــب عـــام، وجراحـــة، وصيدلة، وهو الأمر الذي دعا إليه الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر.

الخـــــاتمة

من خلال دراستي للطب وللخدمات الطبية في الأندلس خـــلال القــرن الســادس الهجري / الثاني عشر الميلادي استطعت أن أصل إلى النتائج التالية:

أولا: أن علم الطب بالأندلس قد نال حظه من الاهتمام والرعاية ضمن مجمــوع الحركة العلمية، حيث اهتم به أمراء المرابطين والموحدين من بعدهم أشد الاهتمام علما ومهنة.

– فقربوا إليهم الأطباء وخصوا أنفسهم بالبعض منهم مغدقيـــن عليــهم العطــاء، ومشجعينهم على البحث في علم الطب والتعمق فيه، ولتحقيق ذلك عملـــوا قــدر المستطاع على أن يهيئوا لهم الظروف المناسبة لذلك، فكانت قصور الأمراء مهيأة بمكتبات خاصة عامرة بالمؤلفات الطبية والتي وضعت تحت تصرف الأطباء.

– شجعوا الأطباء الصيادلة على التأليف في الطب ونشر بحوثهم، مثل ما قام بـــه الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر من تأليف كتاب "الاقتصـــاد فـــي إصـــلاح الأنفس والأجساد"، وقد قام بذلك تلبية لرغبة الأمير المرابطي "إبراهيم بن يوســف بن تاشفين"، كما ألف الطبيب الجراح "أبا الوليد بن رشد الحفيـــد" أيضـــا شـــرح أرجوزة ابن سينا في الطب تلبية لطلب الأمير الموحدي "أبي الربيع سليمان بـــن عبد الله بن عبد المؤمن".

– فضلا عن ذلك فإن هؤلاء الأمراء كانوا يجالسون الأطباء في دورهم الخاصـــة وهي الدور الأميرية مشجعينهم على إقامة مجالس علمية، تناقش خلالها المســـائل الطبية، فكانت هذه المجالس حافزا للأطباء على البحث في علم الطب، ومحاولـــة كل واحد منهم إبراز تفوقه وإبداعه في هذا الفرع من العلوم. ومـــن بيـــن هـــذه المجالس العلمية ما حدث من نقاش طبي في مجلس الأمير المرابطي علـــي بـــن يوسف ومن بين الحضور في هذا المجلس الطبيب الأندلسي الشهير أبا مروان عبد الملك بن زهر، أما الموضوع الطبي الذي دار حوله النقاش فكان مرض حصـــاة أصيب بها الخليفة المذكور في كليته، فعجز الأطباء المختصون عن علاجه، فـــي حين وفق الطبيب "أبا مروان عبد الملك بن زهر" في ذلك. ولقـــد كـــان الأمـــير

الموحدي"يعقوب المنصور" يشارك هو أيضا مجالس الأطباء ويستمع إلى نقاشـــهم الطبي.

– انشـــأ أمرا ء المرابطين والموحدون في قصورهم صيدليات خاصة لتحضـــير الأدوية والعقاقير التي تستدعيها الضرورة لعلاج الأمراض التي قد تصيب الأمـير وأفراد أسرته.

– لم يتوقف اهتمام أمراء المرابطين والموحدين على علم الطب والأطباء عند هذا الحد بل لقد قلّدوا بعض الأطباء المناصب العليا في الدولة، نذكر من بينـــهم تقلّـد الطبيب الفيلسوف أبا بكر بن باجة لمنصب الوزارة لدى الأمير المرابطي أبي بكر بن تفلويت، كما تقلّد الطبيب أبا بكر بن الطفيل لنفس المنصب للأمير الموحـــدي أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

– لم يكتفي أمراء المرابطين والموحدين بالاهتمام بالطب علما، بل لقـــد اعتنـــوا كذلك بالمؤسسات التعليمية والتي كان يدرس فيها الطب، وأهمها المساجد، والتـــي إلى جانب دورها الديني كان لها دور تعليمي فتزايد عدد المساجد خلال القـــرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه المســـاجد قد ضاقت بعدد الطلبة الأمر الذي استدعى إنشاء المدارس. ومما ينوه به هنـــا أن الفضل في استحداث المدارس بالأندلس يعود للمرابطين وللموحدين من بعدهم، كما يرجع الفضل للموحدين على وجه الخصوص في جعل الدراسة إجبارية ومعممـــة في المحاضر لفئة الصبيان، وإن دل هذا على شيء إنما يدل علـــى دور هـــؤلاء المغاربة في استحداث نظام إجبارية التعليم في مرحلة معينة من مراحل التعليـــم، الأمر الذي يعكس إدراك هؤلاء لأهمية التعليم وتعميمه، وإدراكهم لمـــا يمكـــن أن يعكسه ذلك على المجتمع وتوعيته من جهة، وتطوره من الناحية الحضارية مـــن جهة أخرى. إن استحداث مثل هذا النظام في التعليم، ما هو إلا مظهر من مظـاهر الحضارة، وأقل ما يمكن أن يعكسه لنا هو مساهمة هؤلاء المغاربـــة فـــي المـــدّ الحضاري بالأندلس.

– في ظل اهتمام أمراء المرابطين والموحدين من بعدهم بحركة التعليم بـــالأندلس وبتعليم الطب بصفة خاصة، أقاموا مراكز خاصة لصناعة الورق وشجعوا حركـــة النسخ حتى تكون المصنفات العلميـــة فـــي متنـــاول الطبقـــة الخاصـــة والعامـــة بالخصوص، فعمرت المساجد بالمؤلفات الطبية، وكان يشرف عليـــها أشـــخاص يعملون على تزويدها بالجديد من المؤلفات حتى لو استدعى ذلك السفر والتنقـــل، وفي هذه الحالة لم يكن أمراء المرابطين والموحدين يبخلون بالأموال للوصول إلى هذا الهدف.

– اهتم كل من أمراء المرابطين والموحدين بإنشاء البيمارستانات لتكون مراكـــز لتدريس الطب، إلى جانب كونها أماكن لمعالجة المرضى ومما يؤكد ذلك، فإنـــه لا يعقل أن يصل علم الطب في الأندلس من حيث التطور والازدهار والإبداع إلـــى الذروة خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي دون أن تكون هنـــاك بيمارستانات لتكون مقرا للبحث في علم الطب والتعمق فيه.

– لم يكتف أمراء المرابطين والموحدين بالاهتمام بالطب والأطباء علما بل اهتموا بالطب مهنة أيضا، فساعدوا الأطباء على حسن ممارسة مهنة الطب، ويتجلى ذلك في حرص هؤلاء الأمراء على نظافة بعض المرافق العامة وقاية منهم للمجتمـــع من الأمراض والأوبئة، كالاهتمام بنظافـــة الشـــوارع والأســـواق والحمامـــات، والحرص على تعميق القبور عند حفرها بالقدر الذي لا يسمح لروائح الجثـــث أن تنتشر، فتفسد الجو وتعفنه مسببة أمراض وبائية، وغير ذلك من الأماكن العمومية، بل وأكثر من ذلك وحرصا من هؤلاء الأمراء على السير الحسن لمهنـــة الطـــب ومراقبتها، فإن المرابطين منهم قد استحدثوا منصب رئيس الصناعة الطبية، فـــي حين استحدث الموحدون منصب مزوار الأطباء.إن الحرص على هذه المظـــاهر العامة ونظافتها واستحداث كل من المرابطين والموحدين لهذا المنصب لمراقبـــة السير الحسن لمهنة الطب، ما هو إلا مظهر آخر من مظاهر الحضارة، ودليل آخر على أن هؤلاء المغاربة كان لهم دور كبير في المد الحضاري بالأندلس، وهذا مـــا

يدفعنا إلى نفي ما أتهم به المرابطون على أنّهم بدو رحل لا صلة لهم بالحضـــارة ومظاهرها على الإطلاق.

– إلى جانب دور أمراء المرابطين والموحدين في تطور الطب بالأندلس والاهتمام به علما ومهنة حتى بلغ الذروة، خلال القرن السادس الـــهجري/ الثـــاني عشـــر الميلادي، فإن أسباب أخرى كان لها دور في هذا التطور الذي بلغه علم الطـــب على أرض الأندلس خلال تلك الفترة وتتمثل:

ثانيا: لقد كان للمجتمع في الأندلس، خلال فترة موضوع الدراسة دورا في المضي قدما بعلم الطب وذلك بسبب اهتمامه هو أيضا بهذا الفرع من العلوم، لما له مـــن أهمية صحية لهذا المجتمع من ناحية، وخاصة وأن فترة القرن السادس الـــهجري/ الثاني عشر الميلادي كانت خطيرة بسبب حركة الاسترداد المسيحي. ورغبة منـــه لبلوغ أبناءه المناصب العليا– وقد أشرنا سالفا لما كان للأطباء من مكانة مرموقـــة لدى الحكام– ورغبة منه لنيل احترام المجتمع والحصول على لقب الحكيـــم مـــن ناحية أخرى.

ثالثا: وثمة سببا آخر كان له دور بالغ الأهمية في تطور علم الطب في الأندلـــس في فترة موضوع الدراسة وخاصة في عهد المرابطين ويتمثل فيمـــا بلغتـــه فئـــة الفقهاء من مكانة مرموقة لدى أمراء المرابطين، وتدخلها في شؤونهم وانعكـــاس ذلك على القرارات السياسية لهم، ولعل من ذلك ما قامت به هذه الفئة من دعـــوة لحرق كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي لما له في الظـــاهر مـــن علاقة بعلم الفلسفة، فأدى ذلك إلى ابتعاد الفلاسفة خلال فترة موضوع الدراسة عن علم الفلسفة والتوجه إلى علم الطب، من ذلك ما قام به الفيلسوف أبي بكر بن باجة بعدما اتهم بالزندقة بسبب إثارته لإمكانية إقامة مجتمع مثالي يحكمـــه عـــادلون، وبسبب اهتمامه أيضا بمشاكل مجتمعه وطرح الحلول الممكنة لها من خلال كتابـــه "تدبير المتوحد"، وتحقيق السعادة له مع إمكانية الاستغناء عن الفقـــهاء فـــي ظـــل مجتمع مستقر يحكمه عادلون لا يحرصون إلا على الفضيلـــة وعـــدم الاستســـلام للأهواء الشخصية.

رابعا: إلى جانب دور المجتمع والفقهاء وفضلهم في تطور علم الطب خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ودور وفضل أمراء المرابطين والموحدين في ذلك فإن ظرف آخر كان له أثره في تطور علم الطب بالأندلس في تلك الفترة، وهو ظرف خاص بالأطباء ويتمثل في البيئة والمحيط الذي نشأ فيه هؤلاء، فلقد نشأ أغلبهم في بيئة علم وجاه، بل وأكثر من ذلك فإن بعضهم كانوا من أباء وأجداد نبغوا في الكثير من العلوم، إلى جانب كونهم أطباء حرصوا على أن يورثوا علم الطب لأبنائهم، ونخص بالذكر في ذلك الطبيب الأندلسي الشهير أبا مروان عبد الملك بن زهر الذي كان والده أبو العلاء بن زهر عارفا بالأدب متفننا فيه، إلى جانب كونه طبيبا، ولمكانته العلمية البارزة كان يلقب بالعلامة. ولقد كان أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر الأيادي الجد بدوره متفننا في علم الطب وغيره من العلوم، جامعا لشعاعها ومستوفيا لأجناسها وأنواعها.ولقد كانت لهذه البيئة أثرها وبصماتها على الأطباء، والدليل على ذلك أن الطبيب أبا مروان عبد الملك بن زهر الحفيد قد حذا حذو والده في الاهتمام بعلم الطب وشغفه به حتى نبغ فيه مبدعا.

خامسا: إضافة إلى الأسباب السالفة الذكر والتي كانت حاضرة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فإنّ هناك سبب آخر كان له دور في تطور علم الطب بالأندلس في فترة موضوع الدراسة، وهو سبب سابق لهذه الفترة واستمر خلالها ويتمثل في حركة الترجمة التي قادها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لكتاب "الحشائش" للطبيب اليوناني الشهير ديسقوريدوس، ولتحقيق ذلك استعان هذا الخليفة بهيئة علمية بارزة في علم الطب والنبات واللغة، فأفادت هذه الترجمة الجديدة أطباء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بل وأكثر من ذلك أصبحت هذه الترجمة بعد ذلك مصدرا رئيسيا للطب في الأندلس بدلا من الترجمة التي تمت في بغداد خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

إضافة إلى ذلك، فإن هذه الترجمة كانت حافزا كبيرا لأطباء فترة موضوع الدراسة لمواصلة حركة الترجمة لمؤلفات الإغريق الطبية، ومشجعا لهم للمزيد من البحث في علم الطب والإبداع فيه.

- اجتمعت الأسباب السالفة الذكر كلها، فكانت نتيجتها أن تطور علم الطب بالأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تطورا كبيرا حتى بلغ القمة، وأنجبت الأندلس خلاله مجموعة من الأطباء الصيادلة نبغوا في علم الطب وأبدعوا فيه، ومما يدل على ذلك:

- فإنّه على الرغم من اعتماد الأطباء الصيادلة بالأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على التراث العلمي الإغريقي المترجم في بغداد، واعتمادهم أيضا على كتاب ديسقوريدوس المترجم في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلا أنه كان لهم الفضل في ابتكار أشياء جديدة في علم الطب والصيدلة، مطورين بذلك تراث الأوائل في هذا الفرع من العلوم، ومعتمدين منهجا علميا جديدا يقوم على التجربة والملاحظة والاستقراء، من ذلك ما قام به الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الذي كانت اكتشافاته الطبية قائمة على اعتماده الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض وعلاجاتها.

كما اعتمد الطبيب العشاب أبو العباس أحمد بن الرومية طريقة خاصة في منهجه العلمي والمتمثلة في البحث الميداني في دراسة النباتات والكشف عن الجديد فيها، مع الحرص على وصفها ظاهريا وصفا دقيقا، حتى لا يكون هناك خلط بين النباتات المتشابهة.

- يرجع للأطباء الصيادلة لفترة موضوع الدراسة أيضا، الفضل الكبير في توسيع البحث في النباتات الدوائية، وفي مقدمتهم الطبيب العشاب أبي جعفر أحمد الغافقي الذي استطاع أن يكتشف إحدى عشرة نبتة جديدة مع تحديد قيمتها الدوائية. كما لهذا الطبيب العشاب الفضل أيضا على الطب والصيدلة في ترجمته لبعض أسماء النباتات من كتاب الحشائش لديسقوريدوس إلى اللغة العربية، مبينا في ذلك أن هذه اللغة وكغيرها من اللغات، لغة علم وحضارة، فهذا الطبيب إذن لا تقدر جهوده العلمية في

اكتشافه الجديد في علم النباتات وقيمتها الدوائية فحسب، بل كان له أيضا مجـــهودا لغويا في هذا الفرع من العلوم.

استطاع الطبيـــب العشـــاب أبـــو العبـــاس أحمـــد الغـــافقي بـــدوره أن يكتشـــف عشرين نبتة دوائية مساهما بذلك في تطوير علم الطب والصيدلة بالأندلس في فـــترة موضوع الدراسة.

- اهتم الأطباء الصيادلة في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثـــاني عشـــر الميلادي اهتماما كبيرا بالوقاية وحفظ الصحة، محاولين قدر المستطاع توضيح مـــا لذلك من أهمية قبل الوقوع في المرض، ومما يؤكد ذلك ما بدأ به الطبـــيب أبـــو مروان عبد الملك بن زهر في مقدمة كتابه "التيسير في المـــداواة والتدبـــير" مـــن توضيح أهمية النظام الغذائي. ولهذا الطبيب أيضا كتاب خاص في ذلك وهو كتـــاب "الأغذية".

-اهتم الأطباء الصيادلة لفترة موضوع الدراسة بالأمراض الوبائيـــة أيضـــا، فكـــان للطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر، الفضل في اكتشاف "طفيلية الجرب"، كمـــا يرجع للطبيب أبي الوليد بن رشد بدوره الفضل في اكتشاف عدم معـــاودة مـــرض الجدري لمن سبق وأن أصيب به.

- فضلا عما سبق فإن بعض أطباء فترة موضوع الدراسة قد اهتموا أيضا بالجراحة، موضحين علاقة الجراحة بالتشريح، وفي مقدمتهم الطبيب الجراح أبي الوليد بن رشد الذي تمكن بفضل اهتمامه بعلم التشريح والجراحة، وتركيزه على ذلك أن يكتشـــف أشياء جديدة في ذلك.

- جمع معظم أطباء فترة موضوع الدراسة، إلى جانب علمهم بالطب، العديـــد مـــن العلوم الأخرى كعلم الفلك والفلسفة والفقه والحديث والموسيقى، فضلا عـــن علمـــهم وبراعتهم في علم اللغة، الأمر الذي ساعدهم على تأليف كتبا في علم الطب والصيدلة مضمنين فيها إسهاماتهم العلمية، بل لقد قام البعض منهم بترجمة ما لم يتم ترجمتـــه من بعض مؤلفات الإغريق الطبية. فأصبحت بذلك الكتب الطبية الأندلسية تنقل إلـــى المشرق، ونذكر في ذلك كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" للطبيب أبي مروان عبد

الملك بن زهر الذي أصبح يعتمد عليه في الدراسات الطبية في المشرق، وإن دل هذا على شيء إنّما يدل على أن العلم اتصال وتواصل وتأثير وتأثر. فبعدما كان الأطباء الصيادلة في الأندلس يعتمدون على كتب المشارقة والمغاربة في علم الطب والصيدلة، فإن هذا الأمر قد تغير في فترة موضوع الدراسة، حيث عرفت الكتب الطبية الأندلسية طريقها إلى المشرق والمغرب.

- برع العديد من الأطباء الصيادلة بالأندلس في فترة موضوع الدراسة، في الطب والصيدلة وتوصلوا إلى اكتشاف أشياء جديدة، لم يسبقهم إليها أحد، فألفوا فيها كتبا، والتي لم تنقل إلى المشرق والمغرب فحسب، بل ترجم العديد منها إلى اللغة اللاتينية والعبرية والسريانية، وإن بعضها أصبحت من المصادر المعتمد عليها في الدراسات الطبية في الجامعات الأوربية ولقرون، الأمر الذي ينفض الغبار عما أتهم به المرابطون من تخلف وعدم الصلة بالحضارة. لأنّ هذا الإبداع الذي حققه الأطباء الصيادلة في فترة موضوع الدراسة، ما هو إلا نتاج لتشجيع المرابطين والموحدين من بعدهم للعلم وللعلماء، وبذلك يكون لهؤلاء المغاربة دور لا يستهان به في الحضارة الغربية، ويؤكد أيضا، ما للعلماء المسلمين من فضل على علم الطب والصيدلة.

- لعبت الأندلس وبسبب ما تم من تأليف كتب في علم الطب والصيدلة على أرضها، دور في نقل هذه العلوم العربية إلى أوربا، وخاصة بعد ترجمة العديد من المؤلفات الطبية منها إلى اللغة اللاتينية والعبرية، الأمر الذي يؤكد فضل الطب العربي على الغرب، بعدما كان الفضل في ذلك لأطباء الإغريق، والأمر الذي يؤكد أيضا أن الحضارات اتصال وتواصل، ولكل دوره في تطويرها، سواءً أكانوا عربا مسلمين أو أوربيين.

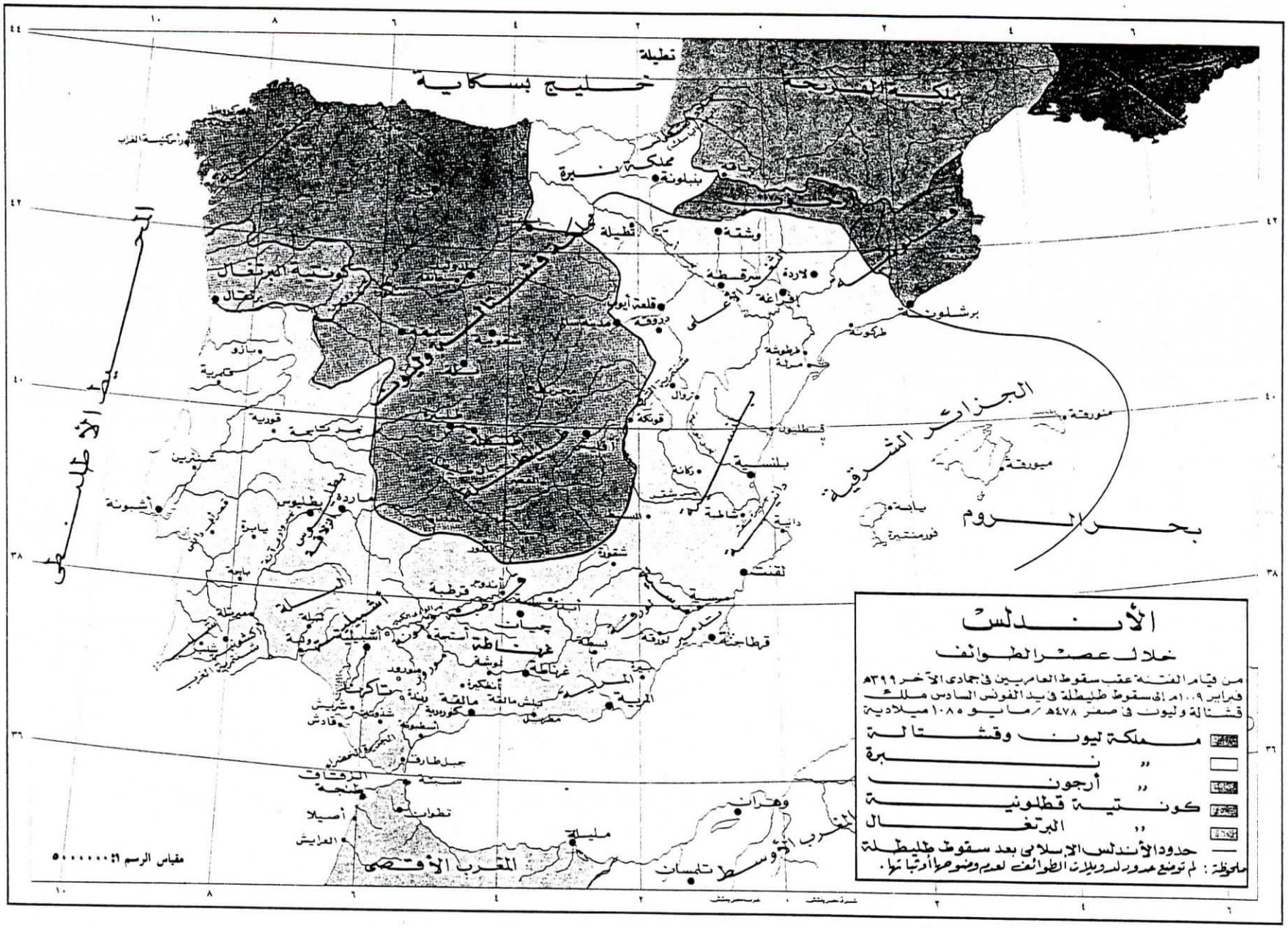
- نستنتج مما سبق أيضا، ظهور بوادر التخصص في علم الطب، فالطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر قد ركز جل اهتماماته الطبية على الأمراض وعلاجاتها، وركز الطبيب الجراح أبو الوليد بن رشد دراساته الطبية على علم التشريح والجراحة، في حين ركز الطبيب العشاب أبو جعفر أحمد

الغافقي وأبو العباس أحمد بن الرومية وأمية بن أبي الصلت، دراساتهم الطبية على علم النبات والصيدلة، مع العلم أن كل هؤلاء الأطباء كانوا على دراية بما اختص به غيره في علم الطب والصيدلة، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على ما للأطباء الصيادلة بالأندلس من فضل في اكتشاف الجديد في هذا الفرع من العلوم والتوسع والتعمق فيه، حتى دعا الأمر إلى الفصل بين فروع هذا العلم من طب عام، وجراحة، وصيدلة، وهو الأمر الذي دعا إليه الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر.

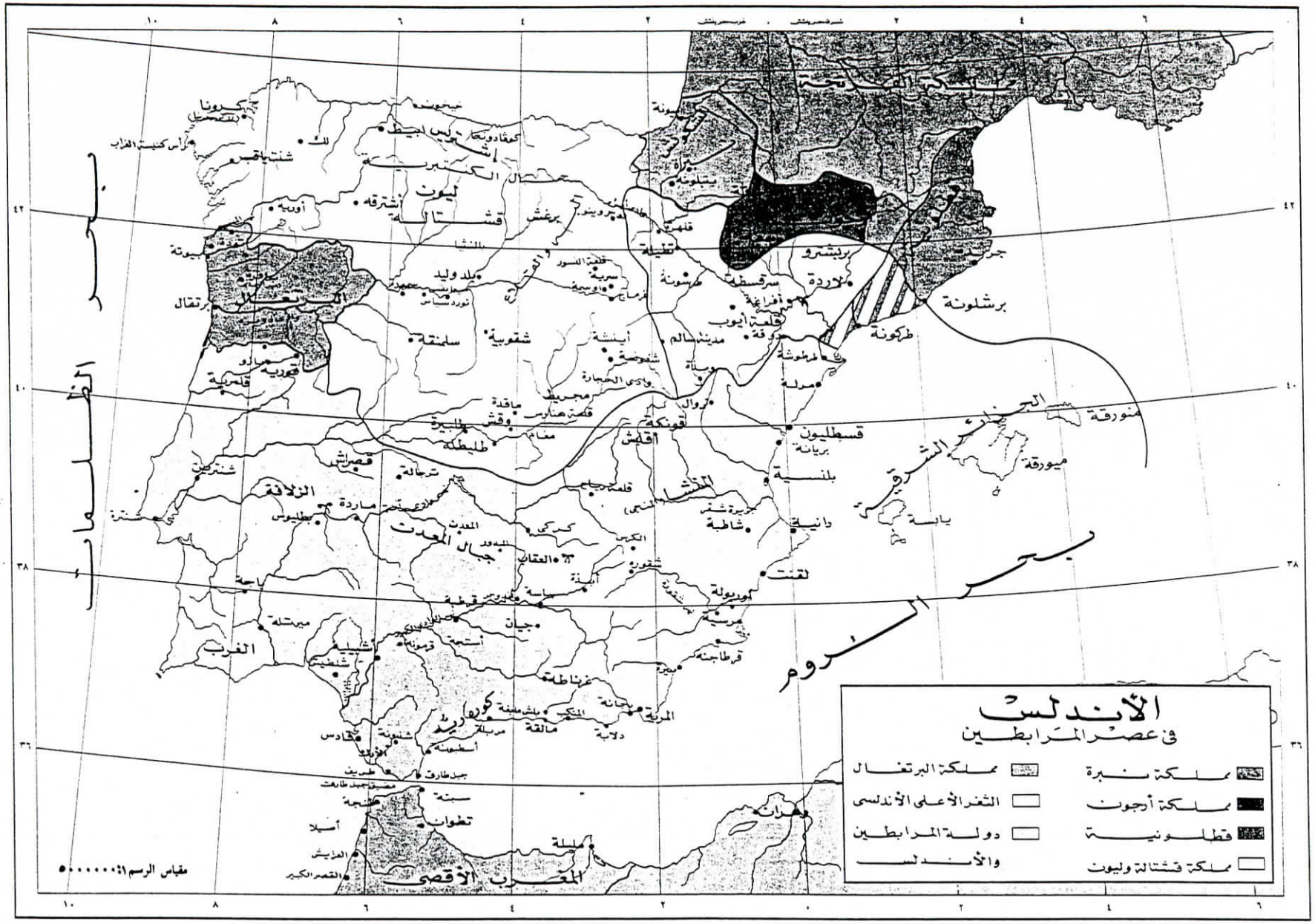
- وهكذا نستخلص من الدراسة في نهاية هذه الخاتمة أن علم الطب بالأندلس قد نال تطورا كبيرا خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حتى بلغ الذروة، وأنّ للمرابطين وللموحدين من بعدهم دورا كبيرا فيما بلغه هذا الطب من الازدهار والتطور، مما يؤكد مساهمة هؤلاء المغاربة في إثراء الحضارة الإسلامية في هذا الجانب الغربي من العالم الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى فإن هؤلاء المغاربة قد استطاعوا أن يقدموا للبشرية خدمات علمية جليلة، كالتي يقدمها الغرب، مساهمين هم أيضا في إثراء الحضارة الغربية.

ونستنتج أيضا أن العلم اتصال وتواصل وتأثير وتأثر، ولكل الفضل على الآخر سواءً أكانوا مشارقة أو مغاربة أو أوروبيين. وأن الحضارة هي نتاج العقل البشري من كافة الأمم وعلى مرور الأزمان.

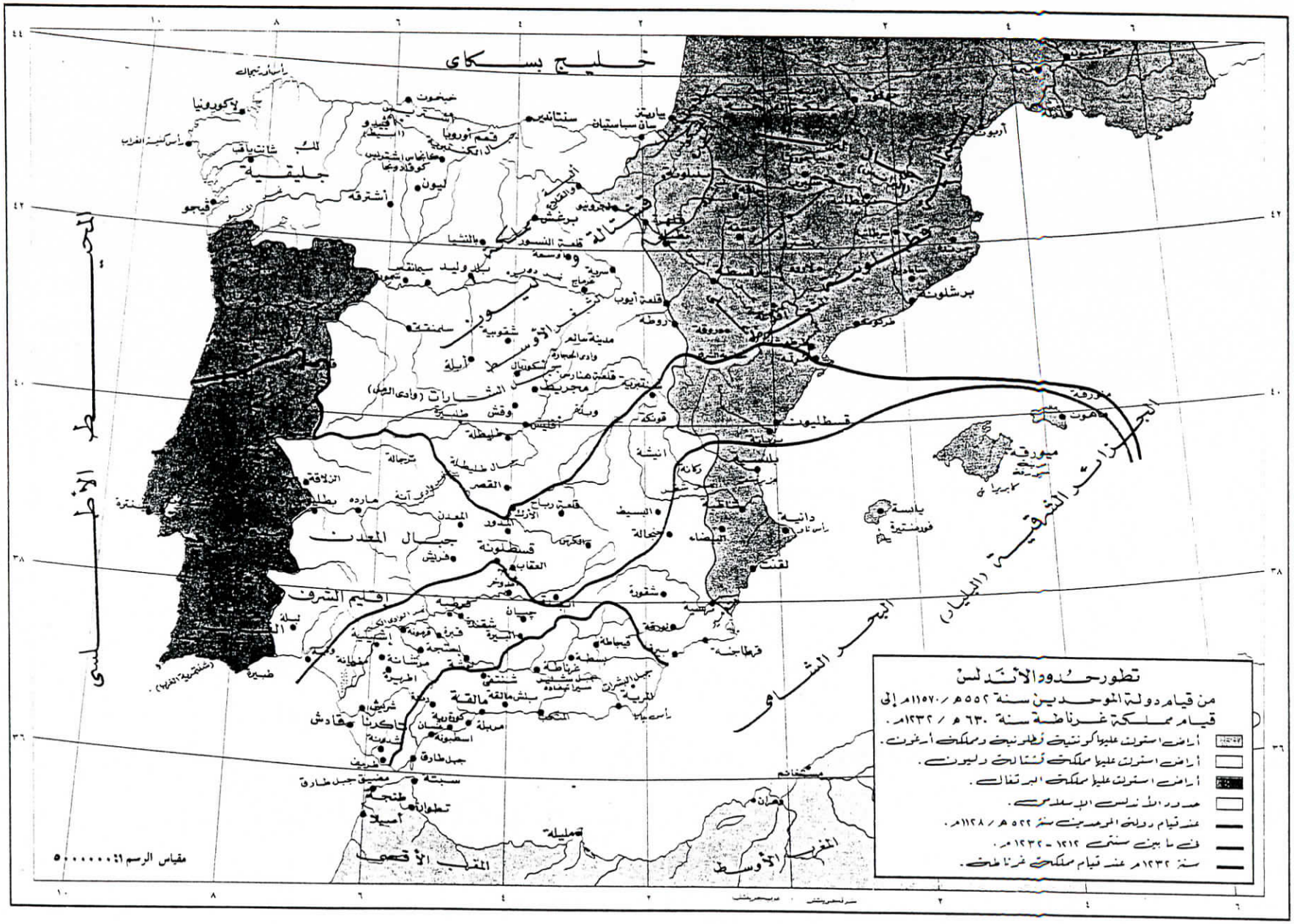
الملاحق



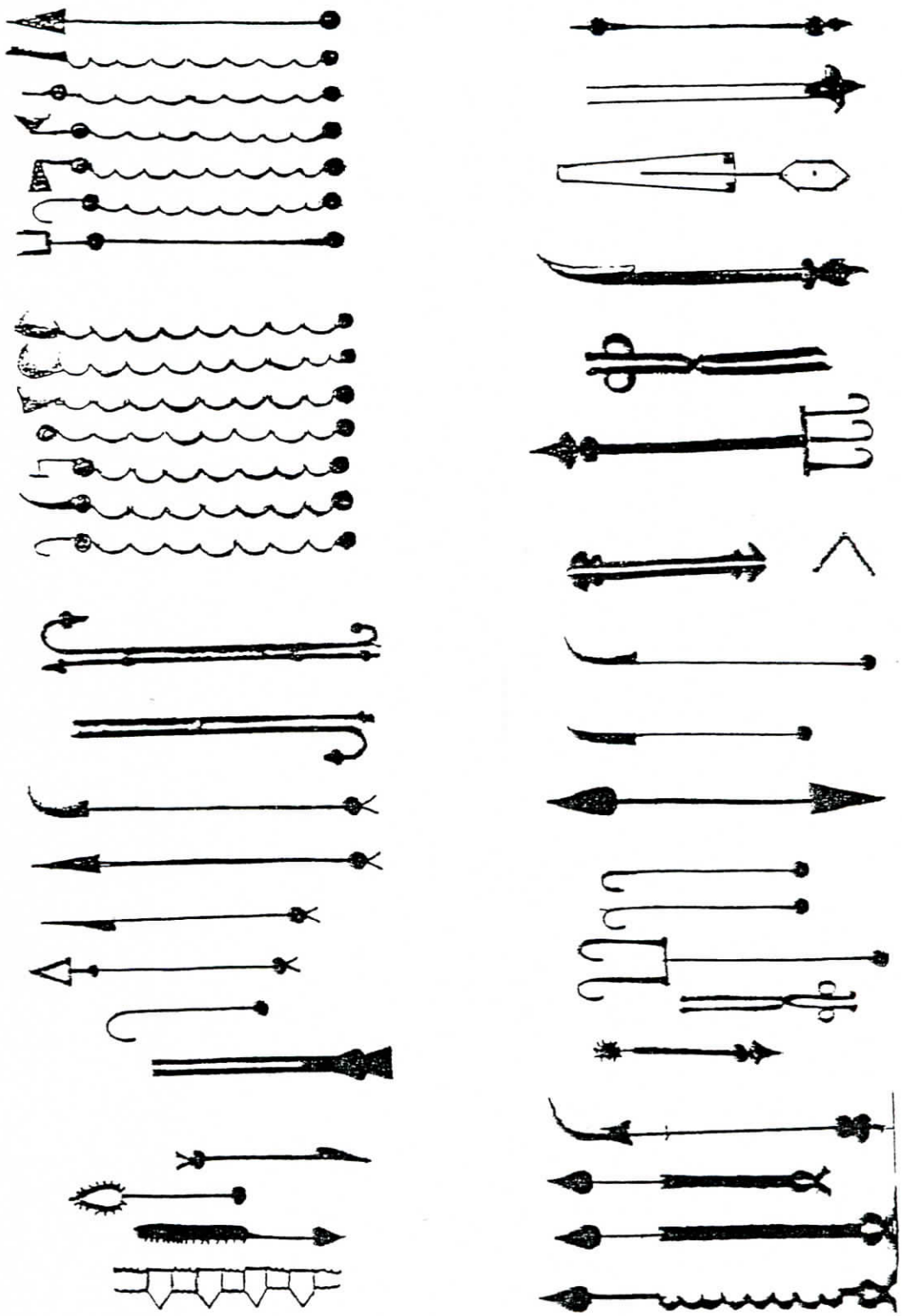
د. حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987، ص 173



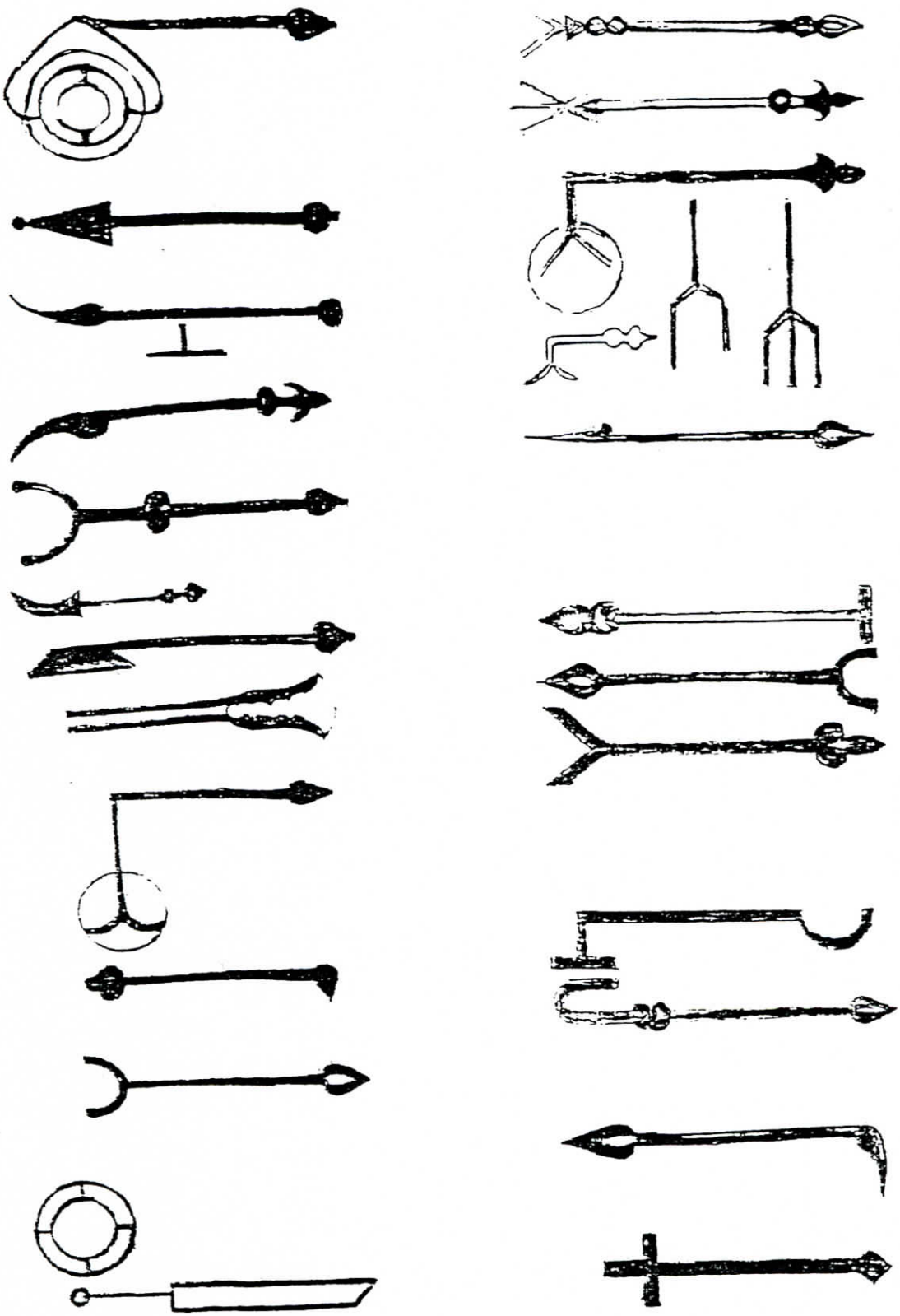
د. حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987، ص 174



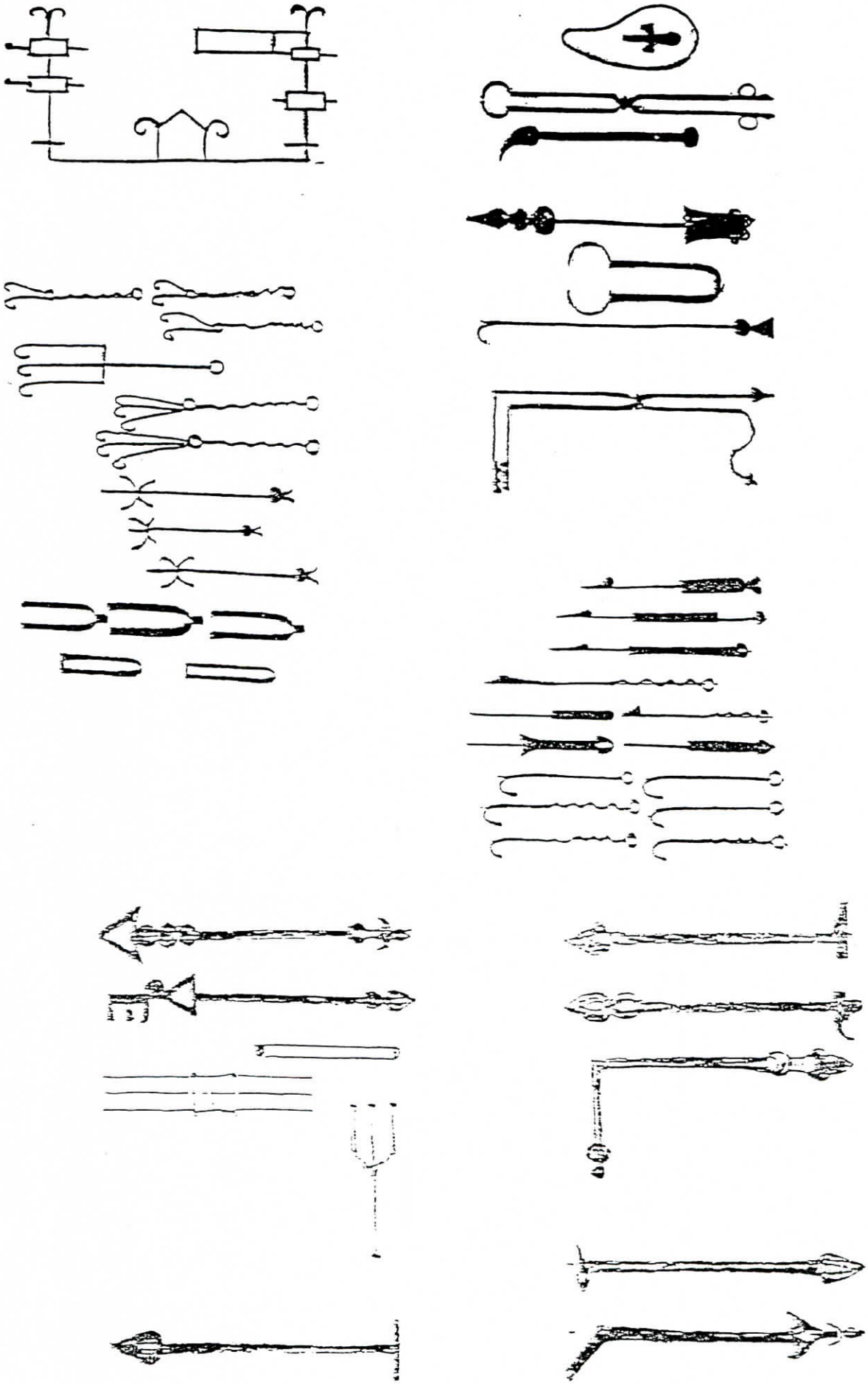
د. حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987، ص 175



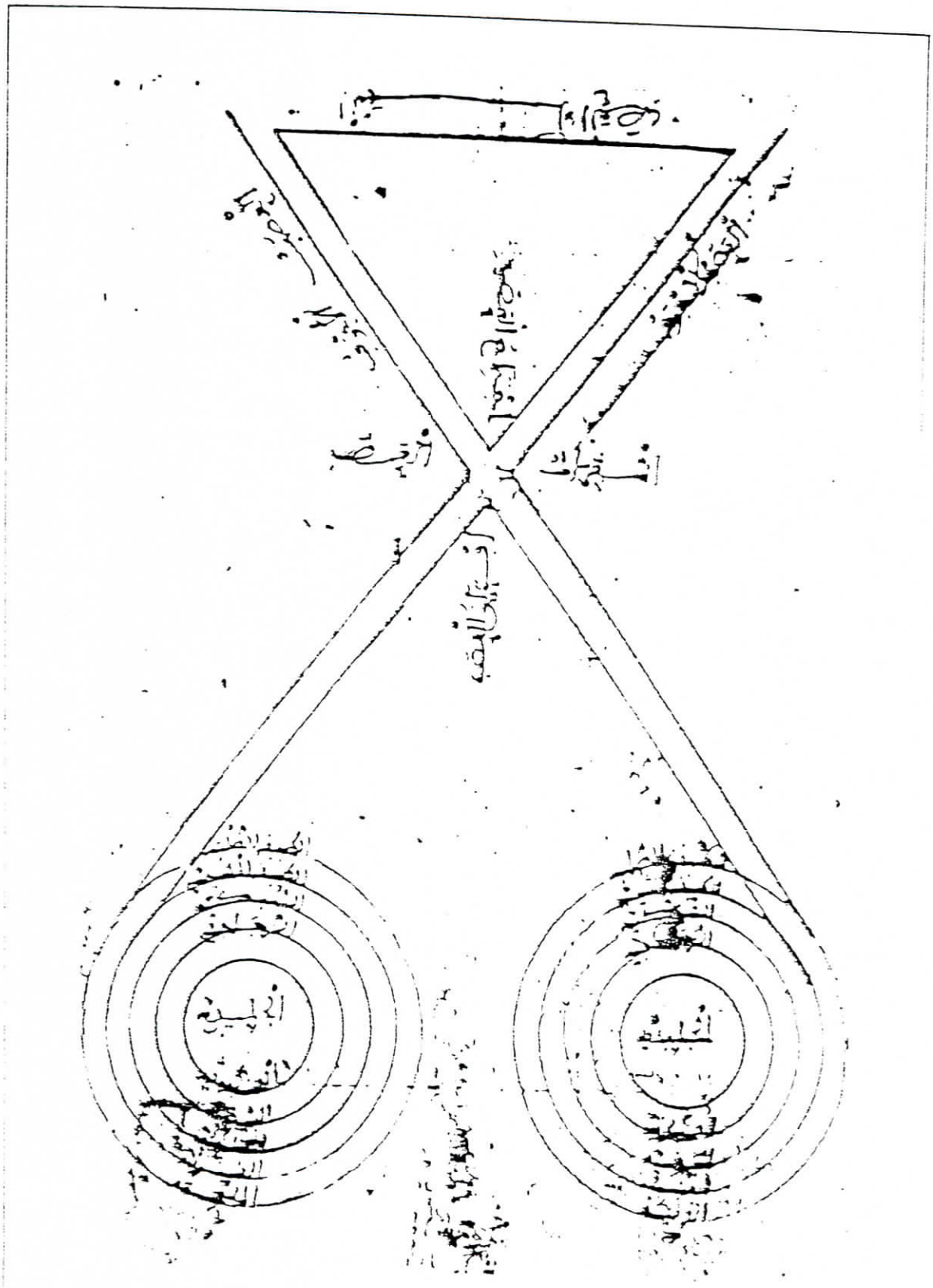
آلات الجراحة للطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي نقلا عن :
محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 271



آلات الجراحة للطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي نقلا عن :
محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس، ص 272.

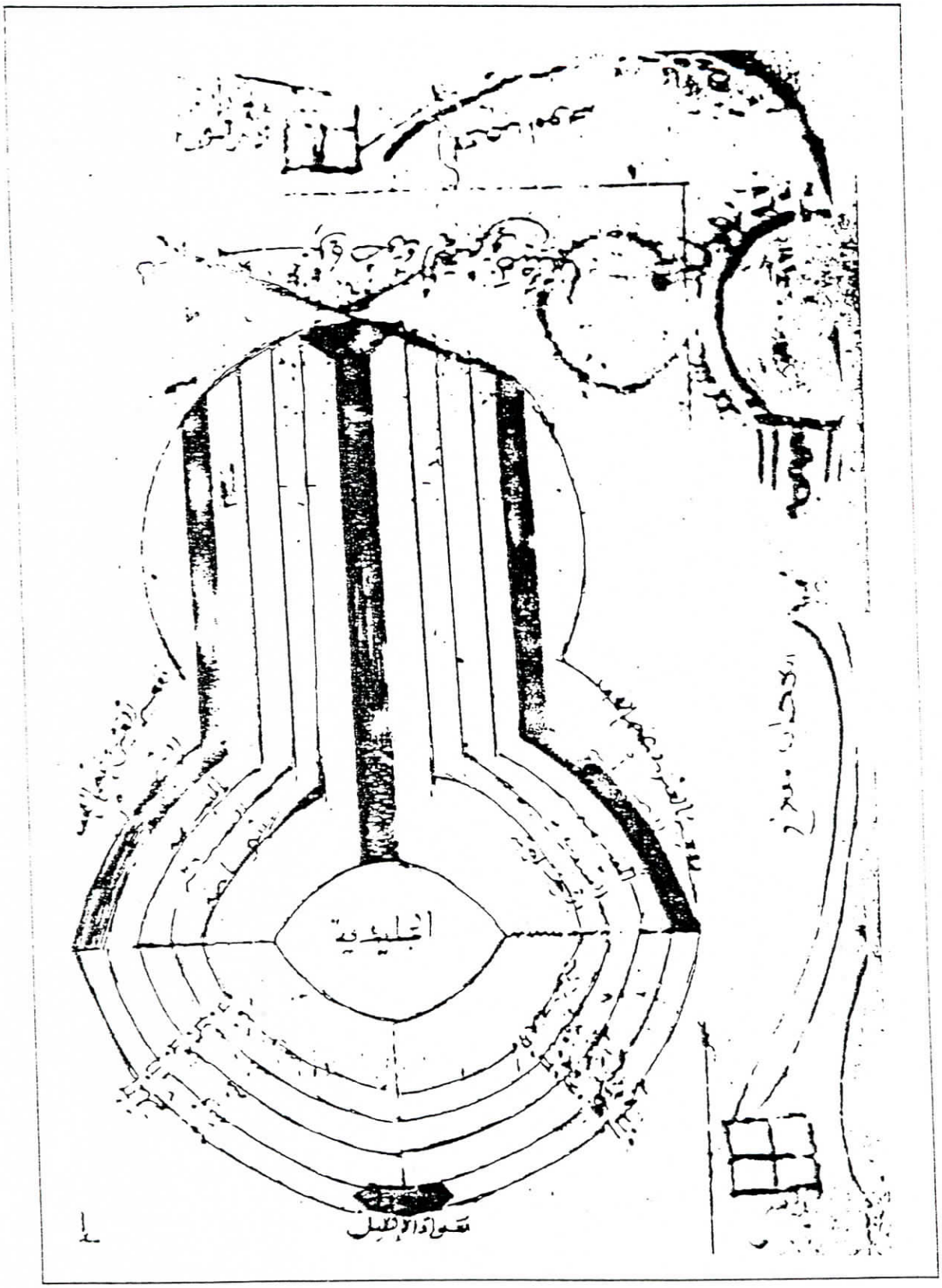


آلات الجراحة للطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي نقلا عن :
محمد العربي الخطابي : الطب و الأطباء في الأندلس، ص 273.



صورة لطبقات العين للطبيب أبي الوليد بن رشد نقلا عن :

محمد العربي الخطابي : الطب و الأطباء في الأندلس، ص، 365.



صورة لطبقات العين مع مسالك الإبصار للطبيب أبي الوليد بن رشد نقلا عن :
محمد العربى الخطابى : الطب والأطباء فى الأندلس، ص 366.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، الجزء الثاني, 1985م.

2- : المعجم في أصحب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/1967م.

3- : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق د/ عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع.

4- أبو بكر بن طفيل (محمد بن عبد الملك بن محمد القيسي): حي بن يقظان، قدم له وعلق عليه د.ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1968م.

5 - الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز): كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م ، الجزء الثاني.

6- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

7- ابن الأثير (الإمام علي بن أبي الكرم):الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الجزء الثامن ، 1386هـ/1966م.

8- ابن البيطار (ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالطي): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، المجلد الأول والثاني ، 1412هـ/1992م.

9- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي): كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق د. عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، 1986

10- البيروني (أبو إسحاق محمد بن أحمد): كتاب الصيدنة، تحقيق محمد سعيد ورانا إحسان، مؤسسة همدود الوطنية، كراتشي، الباكستان، 1973م.

11- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، القسم الأول من المجلد الأول، القسم الرابع من المجلد الأول،القسم الأول من المجلد الثاني، القسم الثاني من المجلد الثاني، والقسم الثالث من المجلد الثاني ، 1398هـ/ 1978م.

12- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك): كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، الجزء الأول والثاني ، 1966.

13- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد): رحلة ابن جبير، لمؤسسة الوطنية للفنون المطيعية، الرغاية، الجزائر، 1988م.

14- ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

15- أبو الوليد بن رشد الجد (محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي): فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق د. المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.
16- أبو الوليد بن رشد الحفيد (محمد بن أحمد بن رشد القرطبي): تلخيص السياسة لأفلاطون، محاورة الجمهورية، تحقيق د. حسن مجيد العبيد وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.
17- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، الجزء الأول والسابع، 1981م.
18- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي): كتاب صلة الصلة، تحقيق د. عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، القسم الثالث والرابع والخامس، 1992م.
19- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله): الأنيس المطرب لروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطبعة والوراقة، الرباط، 1973م.
20- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي): صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، الطبعة الأولى، القسم الأول، 1938م.
21- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب، تحقيق د. عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1982م.
22- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق د. طاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1977م.
23- ابن حيان القرطبي (أبو مروان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي): المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق د. عبد الرحمن علي حجي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1983م.
24- المقتبس قطعة من عصر عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد، حققه د. محمود علي مكي، القاهرة، 1395هـ/1971م.
25- المقتبس قطعة من عصر عبد الرحمن الناصر، نشر شالميثا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف كورنيطي، وم. صح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م.
26- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله الأزدي): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.
27- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1984م.

28- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثالث والرابع,1407هـ.
29- ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الجزء الرابع، 1956م.
30- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، دون تاريخ.
31- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزوري): تاريخ الأندلس، قطعة من كتاب "الإكتفاء في أخبار الخلفاء"، تحقيق د. احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.
32- كمال الدين عمر ابن أحمد بن أبي جرادة : بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثالث ،1988م .
33- مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها والحروب الواقعة بينهم ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، القاهرة، 1401هـ/1981م.
34- مؤلف مجهول: نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال، الرباط، 1352هـ/1933م.
35- مؤلف مجهول: كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق د. سهيل زكار، والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م.
36- مؤلف مجهول: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، تحقيق أ. عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1984م.
37- محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1349هـ.
38- محمد بن إسحاق أبو الفرج: الفهرست، دار المعرفة، بيروت الجزء الأول، 1378هـ/1978.
39- محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق د. محمود خاطر، مكتبة لبنان، لبنان، الجزء 1، 1415هـ/1995.
40- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبد الله البصري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.
41- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، تحقيق إبراهيم الريبقي، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.

42- مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.
43- المقري التلمساني (أحمد بن محمد): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صدر، بيروت، الجزء الأول والثالث، 1968م.
44- أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق د. ميشال الخوري، تقديم د. محي الدين صابر، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1983م.
45- النويري (أحمد بن عبد الواحد): نهاية الإرب في فنون الأدب -القسم الخاص بالمغرب- تحقيق د. مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.
46- ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك): المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الأول والثاني، 1417هـ/1997م.
47- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي) :العواصم من القواسم، تحقيق د. عمار طالبي، نشره بعنوان "آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، 1981م.
48- ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
49- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي): تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، القسم الأول، 1966م.
50- ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد بن يحي بن إبراهيم الباجي): المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987م.
51- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي البكر أبو الفضل): طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، 1403هـ/1982م.
52- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، طبعة مصر، الجزء الأول، دون تاريخ.
53- أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري: جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق د. عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، 1968م.
54- أبو عبد الله الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمز الذهبي) سير أعلام النبلاء، تحقيق د. شعيب الأرناؤوط ود. نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، الجزء 21، 1413هـ/1992م.

55- : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.
56- : العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، الجزء 4، 1948.
57- : المعين في طبقات المحدثين، تحقيق د.همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، الأردن،الطبعة الأولى، الجزء 1،1404هـ .
58-أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي: ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، الجزء 1، دون تاريخ.
59- عبد الواحد المراكشي (محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التجيبي):المعجم في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م.
60- :وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، الطبعة الأولى، 1997م.
61- عبد الحق بن أحمد العكري الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون طبعة، الجزء الثالث، دون تاريخ.
62- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله): فتوح إفريقية والأندلس، حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964م.
63 - ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي): الذيل ولتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، السفر الأول، القسم الثاني، 1965م.
64- :الذيل ولتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، السفر الخامس، القسم الثاني، 1965م.
65- :الذيل ولتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973م، السفر السادس.
66- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، أربعة أجزاء، 1983م.
67- :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر

رزمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1406هـ/1985م.
68- صاعد الأندلسي (أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي): طبقات الأمم، تحقيق، حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
69- صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978م، الجزء الثالث.
70- الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبيك): الوافي بالوفيات، باعتناء سي د. يدرينك، دار النشر، فرازز شتاينز بيفيسبادن، الجزء السابع، 1389هـ/1970م.
71- ابن القاضي المكناسي (أحمد بن محمد بن العافية): جذوة الإقتباس في ذكر من حل مدينة فاس، الرباط، الجزء الثاني، 1973م.
72- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/ 1980م.
73- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درس وقدم له وحققه د. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
74- القلقشندي (أحمد بن عبد الله): مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق د. عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، 1985م، الجزء الثالث.
75- ابن تغري البردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري الأتابكي) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة والنشر، مصر، الجزء الخامس، دون تاريخ .
76- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد السليماني ابن الخطيب): أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلال من ملوك الإسلام وما يجري ذلك من شجون الكلام، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، القسم الثاني، 1953هـ/1934م.
77- :الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، المجلد الأول، 1974م.
78- :اللمحة البذرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ/1928م.
79- أبو الخير الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الأول والجزء الثاني، 1995م.
80- ابن خير (أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي): فهرست من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق الشيخ فرنستكة قدادة زيدين، مطبعة قومس، سرقسطة، إسبانيا، الطبعة الثانية، 1963م.

81- ابن خلدون (أبو زيد عبد الحمن بن محمد): المقدمة، الدار التونسية للنشر، الجـــزء الثاني، 1984م.
82- :كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعـة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الرابع، 1967م.
83- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أبنـــاء الزمـــان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الجزء الرابع، 1968م.
84- الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني): قضـــاة قرطبـــة، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.

ثانيا: المراجع

1- المراجع العربية

1- د. إبراهيم بن مراد : بحوث في تاريخ الطب و الصيدلة عند العـــرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991 .

2- د. إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب و الأندلس في عصـــر المرابطيـن المجتمع، الذهنيات، الأولياء. دار الطليعة للطباعة والنشر، بـــيروت، ط1، 1993م.

3- :مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خـــلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998م.

4- : تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة فـــي بعـض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1994م.

5-د. أحمد مختار العبادي : دراسات في ثار المغرب و الأندلس مؤسسة شـــباب الجامعة الإسكندرية، ط1، دون تاريخ.

6- : في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربيـــة بـــيروت 1971م.

7- د. أحمد عبد الرزاق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة 1411 هـــ / 1991م .

8-د. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مطبوعة جمعيـــة التمـــدن الإسلامي، دمشق، 1357هـــ /1939م.

9- د.أحمد شلبي: التعليم والتربية عند المسلمين، ضمن دراسات في الحضـــــارة الإسلامية، القاهرة، مصر، مجلد I، 1985م.

10- :التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، مكتبـــة النهضـــة المصرية ، القاهرة ، ط2 ،الجزء الرابع، 1966م.

11- د.إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطيـن، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985م.

12- د. أمين توفيق الطيبي : دراسات و بحوت في تاريخ المغرب و الأندلـــس، الدار العربية للكتاب، تونس، جزء 2، 1997م.

13- جورج وهبة العفى : الصيدلية علم و فن و إنسانية، دار المعارف بمصـــر، القاهرة، 1966م.

14- د. زهير حميدان : أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساســـية والتطبيقية في الأندلس والمغرب والجزائر وتونس وليبيـــا، منشـــورات وزارة الثقافة، دمشق، جزء 5، 1996م.

15- د. حمدي عبد المنعم حسين : تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.
16- د. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط1، 1980م.
17- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية (711 هـ -756 هـ) الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1405 هـ/1985م.
18- : تاريخ المغرب و حضارته ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، مصر ، ط1 ، 1992م ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني.
19- : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987 .
20- د.حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والدين والثقافي والاجتماعي، في العصر العباسي الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط12، 1987، جزء3.
21- د.حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 416هـ/ 1996م.
22- حسن السايح: الحضارة المغربية البداية والاستمرار، منشورات عكاظ الرباط، المغرب، الجزء 2، 2000م.
23- د. حربي عباس عطيتو محمود ود. حسان حلاق : العلوم عند العرب، أصولها و ملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.
24- د.الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، دار المعارف، ط3 ، 1987م.
25- د. كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامية من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1991م.
26- بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م.
27- د. لطفي عبد البديع : الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1958م.
28- د. محمد بنشريفة : الأندلسيون من خلال أدبهم، المعهد الجامعي للطباعة، الرباط، 1972م.

29- د. محمد كامل حسين : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبع على نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية، دون طبعة، دون تاريخ .
30- محمد المنوني : التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1412هـ/1991م.
31- : العلوم و الآداب والفنون على عهد الموحدين، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 1369هـ/1950م.
32- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف من تأثيرات الفتح المرابطي، القاهرة، ط2، 1382هـ/ 1969م.
33- :عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1383هـ/1964م.
34- د. محمد عابد الجابري : نحن و التراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 1993م.
35- محمد العربي الخطابي : الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم ونصوص ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، جزء11، 1988م.
36- :الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، مدخل ونصوص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.
37- د. محمد عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، المغرب، 1953م.
38- محمد رشيد ملين: عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب ما بين 580-595 هـ، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1996م.
39-د. محمود على مكي: تاريخ الأندلس السياسي (92-897هـ/711-1492م) دراسة شاملة.بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1،جزء1، 1998م.
40- د. محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب، دار الفكر، بيروت ،ط 3 ، 1398هـ/1979م.
41- د. مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (91-422هـ/710-1031 م) ، الدار البيضاء،المغرب، 1983م.

42- د. مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف بين عصري المرابطين والموحدين، مطابع الشويخ، تطوان،المغرب، ط1، 1999م.
43- د. المختار بن الطاهر التليلي : ابن رشد و كتابه المقدمات، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م.
44- د. نيكولا زيادة: الحسبة والمحتسبة في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1963م.
45- د.سحر السيد عبد العزيز سالم:شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي (التاريخ السياسي والحضاري) ، مؤسسة شباب الجامعية ، الإسكندرية، 1995م.
46- :ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس في العصر الإسلامي، بحث مطبوع مقدم إلى ندوة المسلمين في أوروبا، القاهرة، 1991م.
47-د.السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1961م.
48- : قرطبة حاضرة الخلافة دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الجزء 1، 1984م.
49- : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط2، 1982م.
50- : ما لا يعرفه المسلمون عن حواضر الأندلس الإسلامية، بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
51- : في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1998م.
52- : التأثيرات العراقية في البناء الحضاري الأندلسي في عصر الدولة الأموية بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار، دار الغرب الإسلامية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
53- : تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.
54- د. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي (الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين) ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر، الجزء الثالث، 1990م.
55- د. عامر النجار : في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ،ط3 ، 1994م.

56- عبد الأحد السبتي و حليمة فرحات : المدينة في العصر الوسيط ، قضايا و وثائق من تاريخ المغرب الإسلامي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط1 ، 1994م.
57- د. عبد الله علي علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف ، مصر ، 1971م.
58- عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي، طنجة ،المغرب، 1960م.
59- د. عبد الناصر كعدان : طب الكسور في الطب العربي الإسلامي، سلسلة التراث الطبي العربي الإسلامي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط ، 1420 هـ/ 1999م.
60- د. عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، لبنان ، ط1 ، 1983م.
61- د. عصمت عبد اللطيف دندش : نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510 - 546 هـ/ 1116 - 1151 م) تاريخ سياسي وحضارة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1408 هـ/1988م.
62- :أضواء جديدة على المرابطين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1991م.
63- قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب ، مكتبة مصر ، 1956م.
64- د. رحاب خضر عكاوي : موسوعة عباقرة الإسلام في الطب و الجغرافية و التاريخ و الفلسفة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، الجزء الثاني، 1993م.
65- د. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 1987م.
66- د. شوقي ضيف : عصر الدول و الإمارات الأندلس ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1989م.
67- د. توفيق الطويل : العرب و العلم في عصر الإسلام الذهبي و دراسات علمية أخرى ، دار النهضة العربية ، مصر ، 1960م.

2- المراجع المعربة :

1- اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: الزراعة في إسبانيا المسلمة ترجمة أكرم ذنون، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ج1،1998م.
2- أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د. حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1955م.

3- أشباخ يوسف : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، ترجمة و تعليق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط2، الجـــزء الثاني، 1996.
4- جوزيف ماك كيب : مدنية المسلمين في إسبانيا ، ترجمة د. محمـــد تقـــي الدين الهلالي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ط2 ، 1985م.
5- جوزستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيســى البابي الحلبي و شركاؤه، مصر ، ط4 ، 1964م.
6- جوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة د. الطـــاهر أحمـــد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1994م.
7- جورج مارسيه : بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصـــر الوسيط ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، مراجعة د. مصطفى أبو ضيـــف أحمد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، 1991م.
8- جيمس دكي: غرناطة مثال من المدينة العربية بالأندلس، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فـــي الأندلـــس، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنـــان، ط1، ج1، 1998م.
9- هنري بريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائـــف ملامحـــه العامـــة و موضوعاته الرئيسية و قيمته التوثيقية ، ترجمة د. الطاهر أحمـــد مكـــي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1988م.
10- زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربيـــة في أوروبا) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بـــيروت، ط8، 1993م.
11- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية د. السيد يعقـــوب بكر ود. رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، الجزء الرابع، 1975م.
12- ليفي بروفنسال :محاضرات في الأدب الأندلسي و تاريخه، ترجمة د. عبـــد الهادي شعيرة و د. عبد الحميد العبادي، القاهرة، 1951م.
13- :الحضارة العربية في إسبانيا ، ترجمة د. طاهر أحمـــد مكـــي ، دار المعارف، القاهرة ، ط2 ، 1405 هـــ / 1985 م.
14-مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا ، ترجمة د. الســـيد عبـــد العزيز سالم و د. لطفي عبد البديع ، راجعه د. جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب الجامعة ، دون طبعة ،دون تاريخ.
15- ميغيل كروز هيرناندیس: الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية دراســـة شاملة، ترجمة رشيد الحور، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركـــز دراســـات الوحـــدة العربيـــة، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1998م.

16-السيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1981م .
17-روبرت هيلنبراند: زينة الدنيا قرطبة القروسطية مركزا ثقافيا عالميا، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1998م.
18-ريموند شايندلين: اليهود في إسبانيا المسلمة، ترجمة عبد مريم عبد القادر عبد الباقي، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1998م.
19-رينهارت دوزي : ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام ، ترجمة كامل الكيلاني ، مكتبة و مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاؤه، القاهرة ، ط1، 1351هـ / 1933 م.
20-شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر- المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ترجمة محمد مزالي وبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر، الجزء الثاني، 1983م.
21- خوان فرنيه: العلوم الفيزيائية والطبيعية و التقنية في الأندلس، ترجمة أكرم ذا النون، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1998م.

3- المراجع الأجنبية

1-André Miquel : l'Islam et sa civilisation, Armand Colin, Paris, 1990.

2- CH. E. Dufourcq, J. Gautier Dalché : Histoire économique et sociale de l'Espagne chrétienne au moyen âge, Librairie Armand Colin, paris, 1976.

3-Danielle Jacquart et Françoise Micheaux : la médecine arabe et l'occident médiéval, maisonneuve, larose, Paris.

4- D.et J. Sourdel : la civilisation de l'Islam classique, Arthand, France, 1989.

5-Emilie Savage Smith : Histoire des sciences arabes, édition du seuil, Paris VI, 1997.

6- HPJ Renaud : trois études de la médecine arabe en occident, nouveaux manuscrits d'Avenzoar, Tome 12, Hesperis, Fascule 3, 1931.

7- Levi provençal : Histoire de l'Espagne musulmane, la conquête et l'emirate Hispano Umaiyade, Tome 1, Paris Leiden, 1950.

8- : Alphonse VI et la prise de Tolède, Hesperis archives berbères et bulletin de l'institut des hautes études marocaines, Tome 12, Fascule 1 Larose, Paris, 1931.

9- : Réflexions sur l'empire almoravide au début XII siècle (cinquantenaire de la faculté des lettres d'Alger 1881-1931), Alger, 1932.

10- : Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, volume1, Leiden, 1881.

11- : Séville Musulmane au début du XII siècle, le traité d'Ibn Abdun sur la vie urbaine et les corps de Métiers, Librairie, Paris VII.

12- Lucien Leclerc : Histoire de la médecine arabe, les sciences en orient leur transmission à

l'occident, Tome 2, Réédite par le ministère des Habous et des affaires islamiques Royaume du Maroc, Rabat, 1980.

13-Manfred Ullmann : La Médecine Islamique, 1er édition, Presse Universitaire de France, 1995.

14- Meyerhof : Encyclopedia universalis, Volume 9, France 1971.

15-Pierre Guichard : Structures Sociales « Orientales » et « occidentales » dans l'Espagne Musulmane , monton , Paris , la Haye , 1977.

16- Reinhart Dozy: Spanish Islam, a History of the Moslems in Spain, translated with a biographical introduction and additional notes by Francis griffin Stokes, 1913.

17-Rosa khune : Abu Marwan b Zuhr -un professionnel de la médecine en plein XII siècle, acte du VII colloque universitaire Tuniso Espagnole sur le patrimoine Andalous dans la culture arabe et Espagnole, cahier du Ceres Série histoire n°4, Tunis, 1991.

18- R. Arnaldez : Encyclopedie de l'Islam, article Ibn Zuhr. Tome III, Maisonneuve larose, Paris, 1975.

19-Vernet Juan : Ce que la culture doit aux arabes d'Espagne, traduit par G. M agrois, Sindbad, Paris, 1985.

رابعا : المجلات :

1- د.إدريس الخرشاف:عطاءات علماء الإسلام بالأندلس في مجال البحث العلمي، مجلة الحضارة الأندلسية في الزمان والمكان مطبعة فضالة، المغرب، 1993.

2- د. أحمد مختار العبادي: الصقالبة في إسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، 1373هـ/1953م.

3- :الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، مقال نشر ضمن ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1411هـ/1995م.

4- د.محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، الجزء 17، مدريد، 1959م.

5- د.نشاط مصطفى: الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، سلسلة ندوات ومناظرات الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1995م.

6- د.عبد الواحد ذنون طه: استقرار القبائل البربرية في الأندلس، مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي الثقافي في مدريد، عدد4 ،1981.

7- د.عبد الوهاب بن خليل الدباغ: أثر الفتنة في الحركة العليمة بقرطبة(399-422هـ/1009-1031م)، مجلة أفاق الثقافة والتراث، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد، دبي، الإمارات العربية، عدد25-26، 1420هـ-1999م.

8- د.عبد العزيز بنعبد الله: أسرة بن زهر مدرسة رائدة، مجلة أكادمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،عدد9، 1992م.

9- أ.عبد القادر زمامة: النباتيان العشابان،ابن الرومية الاشبيلي وابن البيطار المالقي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، عدد26،27، 1420 هـ/1989م.

10- د.علي أحمد : المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوروبي، وكيفية انتقالها إلى الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، سلسلة مداولات ومناظرات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية ط1، عدد48، 1995م.

11- د.فرنشيسكو فرانكو سانشت: تطور الطب في الأندلس، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عدد27، تونس،سبتمبر 1994م.

خامسا : الرسائل الجامعية:

1- د.كليليا سارنللي تشركوا:مجاهد العامري وابنه إقبال الدولـــة فـــي دانيـــة وسردانية وجزر البليار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميـــلادي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير،كلية الآداب، جامعة القاهرة،1957م.

2- د. راوية عبد الحميد حسنين شافع: المرأة في الغرب الإسلامي من قيـــام دولة المرابطين حتى سقوط غرناطة (462-897هـ/1070-1492م)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية 1999 م .

فهرس محتويات البحث

- **مقدمة** -1-
- **تمهيد**
- **الفصل الأول : مكانة الطب في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي** -17-

المبحث الأول : الحركة العلمية في الأندلس -20-
1- تطور الحياة العلمية في الأندلس -20-
2- حركة الترجمة والطب -34-

المبحث الثاني : اهتمام الحكام بالطب -40-
1- المرابطون واهتمامهم بالطب -42-
2- اهتمام الموحدين بالطب -47-

المبحث الثالث : المجتمع الأندلسي ومكانة الطب لديه -53-
1- المستوى المعيشي للمجتمع الأندلسي وعلاقته بالطب -53-
2- دور المجتمع الأندلسي في تطور الطب -62-

-**الفصل الثاني : المنشآت الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي** -66-

المبحث الأول : التعليم الطبي ومؤسساته -68-
1- المساجد -68-
2- المدارس و المجالس الخاصة -72-
3- نظام التعليم الطبي في الأندلس -78-
المبحث الثاني : المكتبات -82-
1- خزانة القصر الأموي بقرطبة -82-
2- المكتبات الخاصة -86-
3- المكتبات العامة -89-
المبحث الثالث : المؤسسات الإستشفائية -91-
1- البيمارستانات -91-
2- الصيدليات -97-

- **الفصل الثـــالث : الأمراض والأوبئة في الأندلس وطرق علاجها** -104-

المبحث الأول : الأمراض والأوبئة في الأندلس -106-
1- الأمراض -106-
2- الأوبئة -117-

المبحث الثاني : المداواة بالأدوية -121-
1- تطور صناعة الأدوية بالأندلس -121-
2- المداواة بالأدوية -128-
3- الطب الوقائي (الوعي الصحي) -142-

المبحث الثالث : المداواة بالجراحة
1- تطور علم الجراحة بالأندلس -148-
2- المداواة بالجراحة

- **الفصـــل الرابـــع : الأطباء والصيادلـــة فـــي الأندلـــس خـــلال القرن السادس الهجـــري/الثانـــي عشـــر الميلادي** -161-

المبحث الأول : أطبـــاء الأندلـــس -164-
1- أبو مروان عبد الملك بن زهر -164-
2- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد -174-

المبحث الثانـــي : الأطباء الصيادلـــة -189-
1- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت -189-
2- أبو جعفر أحمد الغافقي -198-
3- أبو العباس أحمد بن الرومية -206-

- الخاتمة. -217-
- الملاحق. -227-
-قائمة المصادر والمراجع. -236-
- فهرس محتويات البحث. -255-